الاسيرة رقم ٩٣

مذكرات مديحة السلمان
زوجة الشهيد محمود سلمان



شاكر علي التكريتي

الاسيرة رقم ٩٣

مذكرات مديحة السلمان
زوجة الشهيد محمود سلمان

اعداد وصياغة
شاكر علي التكريتي



الاهداء

الى قائد المسيرة التاريخية

قطرات دم الى بحر الدمّ ! !
قطرات دم من شهداء مايس ١٩٤١.
الى بحر الدم لقادسية صدام المجيدة.

الى الأرواح الثائرة الناقرة الى السماء ! !
من حرب مايس ١٩٤١ ضد الاحتلال البريطاني.
الى حرب أيلول ١٩٨٠ ضد العدوان الايراني.

الى روح الأخت - مديحة - السلمان
صاحبة هذه المذكرات

أنا أخوك -يامديحة- وكم من أخٍ لم تلده أمك!! أنا وأنت -يامديحة- من طينة واحدة وسلالة واحدة يجمعنا قدر واحد وهمّ واحد وجيلٌ واحد ويحدونا أمل واحد في الحياة!! فأنا وأنت عفواً فأنت وأنا من مواليد (العشرينات). فلقد ولدت سنة ١٩١١ وولدتِ أنت سنة ١٩١٧... ولدت أنا بعد اعلان الدستور العثماني بثلاث سنوات وولدت أنت بعد نشوب الحرب العالمية الأولى بثلاث سنوات في ١٩١٧ أي في سنة (سقوط بغداد) عندما تراجع الجيش العثماني أمام الجيش البريطاني في تلك الحرب الضروس! أقول «سقوط بغداد» مجازياً لا تأريخياً لأن الاحداث الجسام والعواصف الهوج لم تستطعْ ولن تستطيع أن تسقط بغداد من حساب الواقع والتأريخ ومن حساب الزمان والمكان!! والعكس هو الصحيح فقد إستطاعت بغداد بقوة الصمود وصلابة العود ان تسقط كل تلك الفترات المظلمة واللاحضاريه واللااستقلالية واللاانسانية من حساب التاريخ والحضارة.. تماماً.. كما هي تسقط اليوم آخر الغزوات البربرية والخمينية والصهيونية والاستعمارية في عهد القائد المنصور صدام حسين - حفظه الله -

اذن فأنت وأنا -يامديحة- الأخت تجمعنا وحدة المولد والتأريخ والقدر، وتجمعنا كذلك وحدة مواكبة النضال الوطني والقومي منذ ثورة (العشرين) ضد الانكليز فثورة زوجك الشهيد ورفاقه الأحرار في سنة ١٩٤١ ضد الانكليز فثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ باعتبارها الثورة التي ثأرت لأبطال (٢ مايس) يوم علقوا على أعواد المشانق ويوم احتلت بغداد والعراق من جديد على يد الانكليز وعملائهم!!

وعدا رابطة المولد والتأريخ والقدر فنحن رفيقا طريق آخر انه طريق التربية والتعليم فلقد بدأنا من نقطة العلم والمعرفة بل من نقطة الاشعاع الفكري التي لولاها، لما كان هذا التطور الهائل السريع في العالم ولأصبحت الدنيا شريعة غاب!! كما شاركنا معاً عن طريق الكتاب والمنهاج رسلَ الجيل من زميلاتنا وزملائنا في عكس أضواء العلم والمعرفة على الأجيال الصاعدة فكان لك ولي اسمان متواضعان في سجل (الجنود المجهولين) من رسل العلم والمعرفة الذين حملوا مصابيح الهداية والنور أمام المدلجين وأوقدوا الشموع الكبيرة لقهر الظلام والجهل والامية في هذا البلد الحضاري الأصيل الخالد منذ آلاف السنين..

إذن لقد كنا -أيتها الأخت الكريمة الملهمة- على موعد واحد مع التأريخ والميلاد والقدر والكتاب وفي دائرة الضوء هذه ولم ير الواحد منّا الآخر! ! ولأول مرة وبعد (٤٦) عاماً من ميلادك المجيد يكون لقاؤنا حقيقياً لا مجازياً اذ تلتقي العين بالعين والقلب بالقلب والفكر بالفكر فتجلس الأخت والأخ على مائدة واحدة في دارك ودار المرحوم (محمد سلمان) شقيق الشهيد (محمود سلمان) خالد الذكر والفكر وعنفوان الوطنية والتضحية والفداء وصولجان الفروسية والعقيدة كان ذلك هو اللقاء الأول الذي جمعنا في دارك ١٩٦٣ بوساطة (الأخ الحبيب) طارق محمود سلمان الذي أعطى الكثير من صحته وحريته وسلامته وثقافته لهذا الوطن ولما يأخذ حتى الحد الادنى» من حقه وهو رجل تربية وقانون ونضال وأبن شهيد يشار إليه بالبنان! !

أي أختي المناضلة! ! لقد كان اللقاء الأول -كما ذكرت- حول مائدة الغذاء في دارك فكان حديثك «السهل الممتنع قد ترك انطباعاته العميقة في ذهني وروحي وكانت طريقة عرضكِ لمسلسل الوقائع والأحداث يزيدني اثارة وتشوقاً للاستماع فأنت من السيدات النوادر اللواتي عركن الأيام والأعوام طوال حقبة من تأريخ النضال الوطني الحاد وانت التي دخلت بوابة التأريخ مع زوجك الشهيد الخالد لانك جديرة بكل هذا ولأن قوة الإحتمال والصبر والتصبر والتأسي هي رمز الخلود والبقاء! ! وفي مذكراتك هاته التي أشرف اليوم على اعادة كتابتها وصياغتها ونشرها من الشواهد مايكفي لأن يطلق عليك التأريخ صفة «المناضلة» العراقية العربية التي ضربت بسهم وافر في ميادين الجهاد والنضال عبر اعوام طوال ثقال وعبر العراق وتركيا وايران والمانيا وغيرها حتى ثورة ١٧-٣٠ تموز التي أرست تلك الثورات التحررية على صخرة الوحدة الوطنية والقومية..

وبعد أيتها الأخت فلئن عجلت المآسي التي عشتها في أجلك ورحيلك قبل الاوان فان عزاءنا في هذا هو أنك- وأنت الباقة العطرة-قد خلّفت لأهلك ولوطنك هذه السيرة الذاتية والوطنية وكنت -حقاً وصدقاً-«مدرسة» قائمة بذاتها لنشر القيم والمثل وترسيخ العقيدة والايمان...

فأنت أنت ثورة الأمل والطموح وثورة الكرامة على الخضوع والخنوع... وإني -أيتها الأخت- لفخور بهذه الصلة الروحية والوطنية التي تربطني بك وبأبناء الشهداء الآخرين وفي طليعتهم الاخوة الأعزاء طارق محمود سلمان، وربيعة صلاح الدين الصباغ، وفيصل فهمي سعيد وغيرهم... وكما تعلمين جيداً انه بدون الموت لا تعرف البطولات والعبقريات وأن الموت هو الهدف الحق مادامت الطبيعة الاصيلة الحقة غير قابلة للزوال والفناء والامر أحلى واغلى من كل هذا عندما يكون الموت شهادة» في سبيل العقيدة والحرية والوطن! ! وكل نفس ذائقة الموت واذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون! ! وإذا صح ما أقول -وهو صحيح- بأن هنالك في العراق -يامديحة- عروس نضال فان هي الا أنت وان زفاف العروس هذه في موكب

التأريخ يكون من خلال نشري هذه المذكرات المؤثرة والملهمة لهذا الجيل الثوري الجديد الذي يقف اليوم قلعةً حصينة وطوداً شامخاً أمام كل التحديات والمؤامرات فرحماك رحماك أيتها الأخت وأنت شهيدة عقيدة ونضال وزوجة شهيد وأبنة شهيد!! وشآبيب الرحمة والرضوان على الشهداء الاحرار الخالدين وباقات ازاهير ورياحين عطرة على أجداثهم الطاهرة والبقاء لهذا الوطن الصامد الغالي على مسرح الخلود..

أخوك

شاكر علي التكريتي



التعريف بالمذكرات

قليلة هي مذكرات الزعماء والرجال المتميزين التي تثير «العواطف والعواصف» في نفوس القراء وابناء الجيل وتبصرهم بالماضي القريب والبعيد عبر التأريخ. وأقل من تلك المذكرات هي مذكرات النسوة النوابغ اللواتي رافقن أزواجهن في بطولاتهم وتضحياتهم وشاركنهم في السراء والضراء وأرتضين عن عقيدة وايمان الوقوف معهم والى جانبهم في سوح القدر الواحد والهم الواحد والمصير الواحد! من أولئكن النسوة المتميزات في هذا المجال ؛ السيدة الجليلة مديحة السلمان زوجة الشهيد البطل محمود سلمان، وأم المغيرة والدكتور معد سلمان.. فلقد كتبت مذكراتها بحروف ملتهبة من نار ونور وروح ثورية نادرة وعواطف مشبوبة ودموع ساخنة غزار، وآلت على نفسها أن تبقى مجهولة في مذكراتها، وهي المعروفة بصبرها وجلدها وتضحياتها...

ولكني-ولافخر-استطعت بعد جهدٍ جهيد ورجاءٍ متواصل لدى الأسرة الكريمة ان أحصل على هذه المذكرات التي تقع في دفتر ونصف الدفتر من القطع المتوسط، وأن يكون لابن أخي (حسام الدين عبد العزيز العلي) الفضل في انتزاع هذه المذكرات من وارثها الأخ الدكتور (معد سلمان) ابن صاحبة المذكرات. وانه-والله- يسرني ويشرفني أن أتولى إعداد وصياغة هذه المذكرات ونشرها وبخاصة بعد ثورة السابع عشر/الثلاثين من تموز ١٩٦٨.. الثورة التي كانت وماتزال كريمة مع «الأكرم منا جميعاً» الشهداء الذين رووا شجرة الحرية والتحرر بدمائهم الطاهرة الزكية...فمن هي صاحبة المذكرات هذه!؟

وماذا عن مذكراتها؟؟

من هنا يكون التعريف بها والجواب فأقول....منذ إثنتين وسبعين سنة، أي في سنة ١٩١٧ على وجه التحديد، سقطت-بغداد-بلد الرشيد ومنارة المجد التليد» على يد الانكليز الطغاة البغاة، ودخلوها دخول «المحررين» لا الفاتحين!! على حد تعبيرهم بعد أن أصبح «الرجل المريض» العثماني على سرير الموت، ومال العلم الأخضر» الى الانتكاس، وبدأت شمس الخلافة» بالغروب وراح الحالمون بالانتصار الذي تحقق في الحرب العامة الأولى يرسمون «الخارطة الجديدة» لمنطقة الشرق الأوسط ولأوربا كلها وللعالم أجمع... في تلك السنة ذاتها (١٩١٧) أنجبت بغداد مولودة جديدة قدر لها ان تلعب دوراً ما في مرحلة ما من تاريخ العراق الحديث، وأن تقف الى جانب زوجها (الشهيد) ورفاقه الشهداء الأحرار وقفة كلها فخر وعزة وشهادة على وطنية المرأة العراقية المناضلة والمرأة العربية بوجه عام... تلك الطفلة البغدادية، إنها «مديحة السلمان» صاحبة المذكرات التي فقدت أباها العسكري ولما تنيثق عيناها للوجود وذلك في حصار الكوت في الحرب العامة الأولى بعد أن اخترقت صدره رصاصة انكليزية خر صريعاً على أثرها يمتزج دمه

الطاهر مع دماء الشهداء الأحرار التي تدفقت شلالات هادرة تسقى تربة هذا الوطن الحبيب من اجل الحرية والاستقلال وتثبيت كيان العراق الحديث بعد أن سقط مجده العباسي منذ قرون وقرون، وتوالت عليه الغزوات البربرية الكثيرة عبر التأريخ؟

وقد تهيأ كذلك لهذه المولودة البغدادية «مديحة» أن تتربى تربيةً نضالية على مستوى العائلة والمجتمع والوطن وأن تتخرج من دار المعلمات فتشارك في حقول التربية والتعليم واعداد الجيل وأن تقف مع زوجها الشهيد البطل محمود سلمان في حرب الانكليز. أو في ثورة مايس سنة ١٩٤١... لقد أثرت حاسة اليتم في نفسية مديحة وكانت وهي الطفلة المدللة -عند جدتها وأمها تتساءل عن أبيها-الشهيد-وأين هو؟ كلما ترددت كلمة-بابا- على شفاه صديقاتها الصغيرات ولم تحظ-مديحة- بجواب حقيقي من جدتها وأمها سوى أن «بابا» مسافر وأنه سيعود عما قريب!

وما هي الا أن تعتزم عائلة-مديحة- السفر الى تركيا للترويح عن النفس وتبديل الاجواء الكئيبة وقد وصلت الى -قونية-إحدى مدن الاناضول، ولكن سرعان ماتستقر العائلة على أمر جديد فتقطع سفرتها الى تركيا وتقفل راجعة الى -حلب- إحدى المدن السورية الكبرى ؛ وذلك في ظروف محروبة يلعلع في أجوائها إزيز الرصاص، ويخيم عليها الهلع والجزع والارهاب. وهناك في «حلب» تتلقى دروسها الابتدائية وتقوى رغبتها الملحة في الدخول الى مدرسة الطب يومذاك ولكنها لم توافق على ارسالها الى -أمريكا- لاستكمال دراستها هنالك.. وتمر الأيام سراعاً، فتعود وعائلتها الى الوطن الحبيب العراق، حيث تنكب بوفاة جدتها الأثيرة الى قلبها باعتبارها المربية الاولى لها قبل أمها وباعتبارها الحادبة العاطفة على -المدللة مديحة-والمثل الأعلى لها بل معبودتها الوحيدة في دنيا العائلة!! وماهي الا أن تتجاوز -مديحة-مراحل الطفولة والصبا واليفاعة والشباب، وتتزوج من -محمود سلمان-الذي كان يحتل منزلة عسكرية مرموقة، ومنصباً ادارياً وعسكرياً في الكلية العسكرية حيث كان استاذ الفروسية فيها لا ينازعه منازع في هذه المهارة التي اصبحت من اختصاصه النادر، وقد تخرج الكثيرون من الطلاب على يديه...من هنا واتاه الحظ عندما اختاره الملك فيصل الأول مستشاراً لديه وتم تعيينه في البلاط الملكي....

وبعد زواج السيدة -مديحة-صاحبة المذكرات من -محمود سلمان- تبدأ صفحة جديدة بل صفحتان جديدتان مشرقتان في تأريخ العائلة... صفحة الأمومة التي تتجسد في «عبقرية» المرأة في الحنو على أولاد زوجها طارق وعدنان...تماماً...كما الحنو على أولادها والعمل على خلق جو عائلي مثالي متحرر من المشاكل والعقد النفسية لانها تدرك بفكرها وتربيتها العالية بأن «العائلة» المتماسكة المثالية هي وحدها أساس المجتمع المثالي المتماسك... وصفحة وطنية اخرى، هي المشاركة الفعلية في بناء الوطن والعمل على تحريره من الاستعمار/ الانكليزي «والحكم المزدوج» و «التبعية» الأجنبية التي يعاني منها العراق يومذاك وذلك بالوقوف الى جانب زوجها المناضل البطل محمود سلمان.

سيدة في التجربة

تجربة اضافية تعيشها -صاحبة المذكرات- استطاعت ان تختبر من خلالها الناس من حولها وذلك عندما اصبح زوجها -محمود سلمان- مرافقاً للملك -غازي- ورفيقه واستاذه في الفروسية ومن الرائع والممتع أن يقرأ جيل الثورة في تلك -المذكرات- مواقف وتصرف هذه السيدة عندما أصبح زوجها -محمود- محسوداً من قبل البعض لانه كان مرافقاً للملك غازي واستاذه في الفروسية -كما ذكرت وذا الخطوة الأولى في البلاط الملكي ولدى الملك بالذات، فقد حرص -جلالته- على إبقائه بهذه المناصب والمسؤوليات المرموقة استثناء من القانون العسكري النافذ -حينذاك- والذي كان ينص على العمل في الوحدات المتنقلة والبقاء في تلك المواقع لمدة محدودة! من هنا أصبح -محمود- محسوداً من لدن بعض العسكريين وبدأت تلك السيدة زوجته تدرك لأول مرة أعراض الحسد والانانية والاثرة التي تضطرب بها نفوس «بعض» الحاكمين - وتؤثر تأثيراً سلبياً على مجريات الأمور العامة وينشأ عنها ذلك الاصطراع الظاهر والخفي بين الشخوص وبين مراكز القوى الحاكمة ذات النفوذ في البلاط الملكي والسلطة التنفيذية! ان تلك الأجواء التي كان يعيشها زوجها وتنعكس عليها بصورة غير مباشرة بل وبصورة مباشرة احياناً قد أضافت تجربة جديدة الى تجارب صاحبة المذكرات والقت بعض الأضواء على مسرح الحكم الملكي والقصر الملكي الذي كان يمور بالتيارات المتناقضة الكثيرة وعلى شخصية الملك غازي القوية ورؤساء الوزارات والأعيان والنواب ذوي الصلات القريبة من البلاط! بالاضافة الى رؤساء الاركان ووزراء الدفاع في تلك «الحقبة الملكية» التي كانت تعيش الصراعات الحادة بين البلاط من جهة وبعض رجال الحكم -من غير البلاطيين- من جهة اخرى. وبين الساسة الطامعين في الحكم انفسهم! وبين الساسة الذين هم موضع ثقة الانكليز من جهة والساسة الذين يسعون للتحرر من النفوذ الانكليزي من جهة اخرى وبخاصة التحرر من قيود معاهدة (١٩٣٠) الجائرة والتي قيدت حتى النطف التي ماتزال -يومها- في الأرحام!!

وقد تطرقت السيدة -مديحة- الى وزارة -ياسين الهاشمي- او «بسمارك» العرب.

كما كان يسميه القوميون يومذاك، واصرار - الهاشمي ، على تبديل الحاشية الملكية من اجل مصلحة البلاط الملكي ومصلحة الملك بالذات! كما كان الهاشمي يبرر ذلك في مجالسه الخاصة والعامة...

اضيف الى ماتقوله – صاحبة المذكرات – ان حكومة المرحوم ياسين الهاشمي التي تألفت سنة ١٩٣٥، وهي اقوى الوزارات السابقة كانت قد وضعت مسودة لائحة باسم قانون (حماية البلاط الملكي والملكية في العراق) ولكن الملك – غازي – لم يوافق على استصدار وتشريع مثل هذا القانون، لانه اعتبره تقييدا لحرية الملك والبلاط، وخروجاً على الدستور الذي ينصّ على ان (الملك مصون وغير مسؤول).

وكنا يومها – ونحن شباب الثلاثينات – نطلع على بعض مايدور من جدل واراء في الاوساط العامة حول هذا الموضوع، وعلى الاشاعات والاراجيف الكثيرة حول وجود خلافات بين الملك من جهة، وياسين الهاشمي وحكومته من جهة اخرى، وخاصة بعد ان زار الهاشمي البصرة وأرتجل خطابه التاريخي المشهور، وبعد ان الغى الاحزاب كلها بما فيها حزبه (الاخاء الوطني)، ووضع منهاجه الاصلاحي الذي كان سينفذ خلال عشر سنوات قادمة!!

وتتطرق – صاحبة المذكرات – الى الرسالة التي كان تسلمها زوجها – محمود سلمان.

فسلمها بدوره الى رئيس اركان الجيش – طه الهاشمي – وفيها اشارة الى اتهام – لبكر صدقي – بالتآمر على النظام القائم ولم يصدق – طه – بذلك لان «بكراً اخوه – على حد تعبيره! كما تقرأ في المذكرات تلك شيئا عن موقف (نوري السعيد) وزير خارجية – ياسين الهاشمي – من – محمود سلمان – وعن العلاقات السلبية والايجابية، والصداقات والصراعات بين المسؤولين الكبار، والتي كان لها الدور الفعال في «فبركة» وصناعة الاحداث المريعة في العراق، حيث نضجت وتفجرت في حركة مايس ١٩٤١.

التي عبدت الطريق الى ثورة (١٤) تموز سنة ١٩٥٨، وكانت «الجسر الاول» الى حياة سياسية ووطنية جديدة، وكانت الفيصل الحاسم بين الملكية التي جر عليها الدهر اذيال النسيان، والجمهورية التي ماتزال تتكالب عليها المؤامرات من الداخل والخارج!

مديحة وتوفيق رشدي اراس

وتروي – مديحة السلمان – قصة او لوحة تاريخية بعد انقلاب – بكر صدقي – سنة ١٩٣٧، وعندما كان – طه الهاشمي – في تركيا بمهمة رسمية وهو رئيس اركان الجيش في وزارة اخيه (ياسين الهاشمي –)! وماذا قال توفيق رشدي اراس وزير خارجية تركيا يومذاك؟ ورئيس الوفد التركي لتوقيع ميثاق «سعد اباد» في طهران. فلقد جاء توفيق رشدي آراس الى العراق بطريقه الى ايران. وعند قدومه الى بغداد – والكلام لصاحبة المذكرات – كان قد أخبر زوجي بانه عندما كان في تركيا كان قد تلقى من وزارة الخارجية العراقية برقية ترجو فيها اخبار – طه الهاشمي بان لا يعود للعراق توا بسبب الانقلاب العسكري بقيادة – الجنرال – بكر صدقي، والقضاء على وزارة

«الهاشمي» الكبير، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة – حكمة سليمان ... ومن المصادفات العجيبة – كما يروي اراس ان – طه الهاشمي – كان مدعوا على مائدة العشاء في دار توفيق رشدي اراس في تلك الليلة! فما كان منه – اي اراس – الا ان اخفى البرقية ولم يشعر – طه – بها!! وبعد انتهاء الحفلة وانصراف المدعوين بما فيهم – طه الهاشمي –!

اتصل – اراس – تلفونيا بالهاشمي في داره، وانبأه بأنه قادم اليه الليلة لامر هام!

ولدي وصوله اعرب عن اسفه بان يقدم له تلك البرقية – غير السارة – والواردة اليه من بغداد... ويقول – اراس – بانه كان ينتظر «رد الفعل» من جانب الهاشمي، ولشد ما كان عجبه من تلك اللحظة التأريخية!

اذ اطلع – الهاشمي – على البرقية، وبعد ان قرأها طواها بكل هدوء، واعادها الى «اراس» شاكرا اياه لاطلاعه عليها ولم يقلق من اي شيء!

حديث مع اراس

وتستطرد – صاحبة المذكرات – في الحديث عن – اراس – حيث يسأل زوجها – محمود سلمان – عن رأيه في الانقلاب العسكري وفي الحكم الجديد، وبعد ان اعرب محمود – عن رأيه بذلك قال له – اراس.... ولكني – ياعزيزي – ارى بأنه من الصعوبة بمكان تغيير هذا الوضع الجديد لان – بكرا – داهية!! ولم يعقب زوجي بشيء على رأي – اراس – سوى بابتسامة!!

وهنا، وبدوري – كمعلق – على هذه اللوحة التأريخية اقول بان من حق – اراس – ولاغرابة في ان يرى مثل هذا الرأي في انقلاب – بكر صدقي – الداهية كما وصفه! ذلك لان – اراس – لايدرك تماما تلك التيارات والصراعات على الحكم في العراق، ولايتفهم تماماً تلك الروح الوطنية الملتهبة الموجهة ضد الانكليز والحكم المزدوج في البلاد. لان «نوري السعيد» الداهية هو الاخر، وابن العراق أصالة، كان يعتقد ان «ميثاق سعد اباد» وحلف بغداد «صمام الامن» والحصانة القوية للعراق والشرق الاوسط من الرجّات والانقلابات وكل الحركات الثورية، وكذلك من تسرب الشيوعية والافكار المستوردة في ضوء تعبير تلك المرحلة التأريخية!

اول محاولة لقتل محمود سلمان

ولاول مرة تكشف – صاحبة المذكرات – الستار عن المحاولة الاولى لقتل زوجها – محمود سلمان – وعن رسالة تهديد سرية كانت وجهت اليه ونقش عليها صورة جمجمة ترتكز على

عظمتين!

فلم يخبرها - محمود - بتلك الرسالة وانما عثرت عليها بالصدفة في جيبه!

وهنا يدور حوار - بطولي - بين محمود ومديحة، هو في نظري «قمة حوار» يدور بين زوج بطل ثائر، وزوجة توصي زوجها بالحيطة، والحذر في كل تحركاته اناء الليل واطراف النهار! لان عدوه - اي بكر صدقي - متآمر وداهية.... وتنهى الحوار بهذه الكلمات (سر على بركة الله والله يرعاك).

كما تكشف - صاحبة المذكرات - عن محاولة اخرى لالقاء القبض على - بكر صدقي - في احدى الحفلات الخاصة التي كان من المؤمل حضوره اياها... والقائم بتلك المحاولة - محمود سلمان - ورفاقه وفهمي سعيد وصلاح الدين الصباغ وكامل شبيب... كما تسجل - اي مديحة - مقابلة عجيبة بين - محمود - و - بكر صدقي - يشاهد فيها - بكر - وهو يسرع في وضع يده على المسدس الذي كان امامه تحسبا لما قد يحدث، ويقول - بكر - اهلا بك - يامحمود - كيف صحتك.. لان محمودا كان - قبل المقابلة - مريضا ويكرر القول (اهلا بك.. الحمد لله على سلامتك».. وتعلق - مديحة - على هذا الموقف او اللقاء التاريخي بقولها (انه لمنظر مضحك حقا!! اذ من يصدق ان حاكما يرتكب واعوانه كل الجرائم السياسية والاخلاقية ويشجع زمرته على الانحراف ويقتل الروح القومية، يخشى من رجل اعزل يدخل غرفته بناء على موعد سابق، فضلا عن ان هذا - الدكتاتور - محاط بعصابته ويتدلى من نطاق كل واحد منهم مسدس ضخم يضاهي مدفع رشاش بضخامته!! ومن ثم تقارن - مديحة - هذه الشخصية المتوجسة المضطربة بشخصية - طه الهاشمي - الجريئة المثقفة، علماً بأن - محموداً - كان قد اختلف مع - طه الهاشمي - عندما كان رئيساً لاركان الجيش قبيل انقلاب - بكر صدقي -... ولكن الخلافات الشخصية - كما يقول محمود سلمان - لزوجته تذوب كلها في بوتقة المصالح العليا للبلاد، وان الذي يسعى لتحرير امته يتحمل كل شيء بل يهون عليه حتى النفي والسجن والشنق في سبيل الحرية والتحرر...

محمود سلمان ولعبة البولو!!

وتتحدث صاحبة - المذكرات - عما قاساه زوجها - محمود - من لعبة - البولو - التي كان هو فارسها الاول حقاً، وكيف نجا باعجوبة في احدى المباريات بسبب ضربةٍ مميتة وجهها اليه لاعب من الفريق المقابل قصدا مستهدفا حياته، ولكن الله سلم، وكيف قام الدكتور - امين رويحة - بمعالجة زوجها على الوجه السليم... وامين رويحة هذا صديق حميم لآل - محمود سلمان

الجنابي – ومن الاطباء بل الحكماء المتميزين، ومن العائلة القومية العربية التي ضربت بسهم وافر في مجالات الطب والتضحية والنضال، وللدكتور رويحة هذا اصدقاء ومعارف كثيرون على مستوى العراق والوطن العربي الكبير، منهم كاتب هذا التعليق، حيث كنت اعلق على بعض الكتب التي يصدرها، وخاصة كتابه المشهور (التداوي بالاعشاب) كما احتفظ برسالتين شخصيتين كان بعث بهما الي من الاردن الشقيق..

مقتل الملك غازي

تتحدث – صاحبة المذكرات – عن مقتل الملك غازي وتنصيب الملك فيصل الثاني ملكاً على العراق، وعبد الاله وصيا عليه، كما تتحدث عن رغبة زوجها وزملائه العقداء الثلاثة في تنصيب – عبد الاله – وصيا لانه من العائلة المالكة الهاشمية، وشاب خجول و (عاقل) يومها في مقدوره ان يتحمل مسؤولية العرش في تلك الظروف الحرجة! كما تتحدث – مديحة سلمان – عن زياراتها لجلالة الملكة من حين لأخر، وتركز بالذات على زيارة التعزية بعدما نعي الملك غازي – رحمه الله – الى الرأي العام العراقي وللعرب أجمع. كما تسجل حديث الملكة لها بالذات عندما تلقت النبأ الفاجع لاول وهلة... تروي الملكة القصة كالاتي (... انها كانت جالسة في القصر الملكي، وفجأة انطفأت الانوار، فهبت للاستفسار عن السبب فسمعت احد الذين تربوا في القصر يطلب النجدة، ويقول «الحقونا»! سيدي مصاب.. سيدي مصاب حصل حادث للسيارة (وكانت العبرات تخنقها.) واسترسلت تقول.. فركضت وهرعت بكل قواي الى محلّ الحادث فوجدت سيدي الملك – كما كانت تلقبه – حيث كان يلقبها جلالته (بستي الملكة) فوجدته ملقى ومغمى عليه والدم ينزف من رأسه... فوضعت يدي على قلبه فوجدت القلب مايزال يخفق. وهنا طلبت استحضار الأطباء بسرعة وأهبت بالحاضرين ان يسعفوني بقطن – شاش – عسى ان يقف النزيف.

وكان كل واحد من حولي مرتبكا لايدري ماذا يعمل؟ وصرت امسك الجرح باي شئ كان تقع عليه يدي.. ولكن الملك كان فاقد النطق، وكل شئ يدل على انه فاقد للحياة سوى دقات قلبه ونظراته! وخلت الدقائق التي تمر علي اطول من الاعوام حتى جاءنا الدكتور (سندرسن) والدكتور (صائب شوكة) وغيرهما من رجال القصر.

وكنت اهيب بهم الى ان يعملوا المستحيل لأنقاذ حياته.. وقد اجروا الكشف عليه ولكنهم اصبحوا واجمين حيث أسلم الروح بعد برهة!... وتسترسل الملكة في الحديث فتقول.. وكان أحد الذين رافقوه في السيارة حيا وقد اصيب بكسر واحد في يده حيث روى لي صورة الحادث

المربع بقوله.. عند عودة جلالة الملك من قصر الحارثية الى قصر الزهور ادار محرك السيارة وانطلق بها بسرعة - كما هي عادته - دائماً. وكان ان اصطدمت السيارة بعمود كهربائي ودارت حول نفسها ووقفت.. ومن شدة الصدمة انفتح الباب وانسد ثانية على يد العبد ولم يفق من شدة الالم الا بعد لحظة رأى بعدها منظر سيده جالسا في مقعد القيادة والعمود نازل على رأسه والدم ينزف منه!! وكان في السيارة شخص اخر من البوليس الحرس ولم يصب بسؤ!! وقد رجت - مديحة - الملكة ان تتذرع بالصبر الجميل وتلوذ بالايمان وتضبط نفسها وعواطفها في هذا الحادث الجلل والمصيبة الكبرى التي اصيبت بها البلاد، وان لاتستمع الى الدعايات التي راح يشيعها المغرضون ودعاة السوء، وان يكون الملك الصغير - فيصل الثاني - سلواها وعزاءها الوحيد وانا لله وانا اليه راجعون.

اجتماع خطير في دار محمود سلمان

تطرقت - صاحبة المذكرات - الى أخطر اجتماع عقد في دارها - دار محمود سلمان - ذات مساء لتداول الاراء في اجتماع مجلس الوزراء الذي كان عقد في الصباح حيث قال فيه نوري السعيد وزير الخارجية حينذاك. «بأن الانكليز غير مرتاحين من سياسة العراق الحالية وان وراء الأكمة ما وراءها!! وانه لايتحمل المسؤولية بعد الان بأية حال ولابد من تقديم استقالته الى رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني «ولكن الكيلاني يرد عليه بأن العراق دولة مستقلة ذات سيادة، ولايجوز التدخل في سياستها الداخلية والخارجية من قبل اي كان... ولهذا فأنه - اي الكيلاني - يقترح رفع احتجاج شديد اللهجة الى الحكومة البريطانية.. وللوزراء الذين لايوافقون على رفع مثل هذا الاحتجاج مطلق الحرية في تقديم استقالاتهم كما فعل زميلهم نوري السعيد. وانه - أي الكيلاني - مصمم على ذلك ولو بقي وحده في الوزارة!

وهنا - وكما تروي مديحة والاجتماع في دارها - تكهرب الجو الوزاري. وحمى وطيس الجلسة ونزل الجميع عند رأي الكيلاني. وعدم تقديم استقالاتهم!! وفي تلك اللحظة تقدم - طه الهاشمي - من الكيلاني وسحب من يده استقالة نوري السعيد وقال للسعيد.. احتفظ بهذه الاستقالة لحين ورود الجواب عن احتجاج الحكومة الذي ووفق عليه وهكذا كان..

وفي اجتماع المساء الذي اشارت اليه مديحة والمنعقد في دار محمود سلمان جعل «العقداء الاربعة» وغيرهم من الوزراء والساسة الحاضرين يهنئون - الكيلاني - على موقفه الصلب هذا. ويعربون عن وقوفهم الى جانبه مهما كانت النتائج وتطورت الأمور حفاظا على سيادة الدولة وكرامتها وسلطانها.. وماهي الا بضعة ايام حتى يأتي الجواب من الحكومة البريطانية فاقترح

- نوري السعيد - ان يتلى الجواب بحضور الوصي عبد الاله والذي يشارك نوري السعيد رأيه وموقفه وميله للوقوف الى جانب السياسة البريطانية...

وهكذا كان حيث انعقد الاجتماع التاريخي الخطير في البلاط الملكي وكان الوصي - قبل تلاوة الجواب يعتقد بان الجواب في غير صالح العراق واذا بالجواب البريطاني على الاحتجاج يكذب حدسه وظنه، واذا بالحكومة البريطانية تقدم اعتذارها - في مضمون الجواب - لحكومة العراق وتأسف لما حدث، وتحمل السفير البريطاني في بغداد مسؤولية كل ما حدث، وانها لاشأن لها البتة في اقالة الوزارة او بقائها في الحكم... كما ان الحكومة الامريكية - هي الاخرى كانت بعثت ببرقية الى حكومة العراق تشجب فيها تهور السفير البريطاني في بغداد وترجو حكومة العراق الوقوف ابدا الى جانب بريطانيا والحلفاء ضد دول المحور، الى غير ذلك من المواقف والصور التي سجلتها - صاحبة المذكرات، والتي لايستغنى اولئكم المعنيون بتدوين التأريخ عن الاطلاع عليها، واعتبارها جزءا من «الارشيف» الوثائقي في تاريخ العراق المناضل المتوثب..

سفر - مديحة - صاحبة المذكرات

الى طهران بعد ثورة مايس ١٩٤١

وبعد ان تفجرت ثورة (٢ مايس ١٩٤١) وفيما كانت - طهران - يومذاك تقع بين فكيّ الكماشة حيث يكاد الروس يطبقون عليها من الشمال والانكليز من الجنوب، وبعد ان غادر «ابطال ٢ مايس ١٩٤١» بغداد الى طهران، قررت السيدة - مديحة - الالتحاق بزوجها محمود سلمان لان بغداد - في نظرها - اصبحت أضيق من كفة الحابل، ولان العملاء والدخلاء في بغداد راحوا يحصون عليها انفاسها، ويرصدون تحركاتها، ويراقبون - تلفونها - ويتربصون بها الدوائر! ! وهكذا كان... فلقد تركت - مديحة - بغداد في يوم ١٩٤١/٧/٢ الى طهران مع طفليها «المغيرة» الذي يتجاوز عمره الثلاث سنوات، و «معد» الذي يبلغ السنة والشهرين من العمر. فكان سفرها بالسيارة عن طريق البر، ووسط جو ضبابي كئيب مشحون بالالام والانكسار، عدا هموم الغربة والتخوف من المستقبل الرهيب! ولكن الله القدير الذي وسع كرسيه السموات والارض وشملت عنايته الاكوان كلها كان في عونها، والله في عون العبد مادام العبد في عون اخيه... فلقد كانت - مديحة - حقا وصدقا في عون زوجها واخوانه المناضلين الاحرار، وفي عون وطنها الحبيب، فكان الله في عونها في الحل والترحال...

وهنالك - في طهران - وكما تروي صاحبة المذكرات تبدو «الحساسيات» بين العسكريين. القادة العراقيين من جهة، وبين السياسيين العراقيين من جهة اخرى! وكانت مثل هذه الخلافات

والحساسيات قد بدات – اول مابدات – بين صلاح الدين الصباغ ورشيد عالي الكيلاني، حيث تفجرت بعد هذا في المانيا بين جماعة الكيلاني – و جماعة – المفتي – الحاج امين الحسيني.

من هنا ندرك ان عشرات من المفاجات والمواقف والمغامرات والمخاطرات كانت عاشتها تلك السيدة المجاهدة – صاحبة المذكرات – لكنها ابدا تتغلب عليها اكثرها وتظل مرفوعة الرأس والكرامة، وتعيش العزة والكبرياء الوطني وتخلد وكأنها «قهرمانة» قومية من طراز خاص!!

عودة الى بغداد

وتعود – مديحة – كرة أخرى الى بغداد مع طفليها الحبيبين... وفي بغداد الرازحة تحت وطأة الانكليز والجواسيس تعاني ماتعاني، فتعتزل الدنيا العراقية في عقر دارها، وينصرف عنها كل الاقارب والاصدقاء والمعارف! ذلك لان دارها كانت مراقبة من قبل السلطات الامنية، كما كانت مراقبة من قبل... وهكذا اصبحت – مديحة – رهينة المحبسين «الرهبة» و «الرهبنة» في ان واحد!! بعد ان كانت دارها «جنة» يؤمها رجال الفكر والسياسة والعسكريون الاحرار الشرفاء الذين عبدوا بدمائهم الطاهرة طريق التحرر والحرية والاستقلال. وبعد ان كانت – مديحة – ربة البيت – وللبيت رب يحميه – هي الامرة والناهية وهي الماسكة بالصولجان» في «مملكتها الصغيرة» فقد تبدلت الصورة!! لكن هذا الذي نشير اليه الان من المواقف والصور، بالاضافة الى مالم نشر اليه من الوان المعاناة مما انطوت عليه ، المذكرات – لم يفت في عضد – مديحة – وهي التي ادركت كيف تتعايش مع المحن والإحن، وكيف تختبر الحياة بحلوها ومرها، وهي التي شمت – بحاسة اليتم – ارياح المصائب كما شمت رائحة اليتم المبكر! ! فلقد افتقدت – اباها – الشهيد في حرب الكوت ولما يتجاوز عمرها السنة الواحدة! ولكأن العناية الالهية والاقدار شاءت لهذه – السيدة – ان تكون ابنة شهيد وزوجة شهيد، وهذا اقصى ما يطمح اليه الانسان المناضل من اجل وطنه العزيز، ومن اجل الحياة الحرة الكريمة...

ذكريات مديحة

انها لتذكر «محمودها» وهو في المنفى في ايران.. انها لتذكر سلواها وعزاءها وقمة مجدها في الحاضر والمستقبل.. انها لتذكر «اميرها» الذي كان يلقبها غالبا «بالطفلة المدللة» ويفتح لها قلبه الذي كان يفيض حنانا وحبا للزوج الرؤوم ويتفجر حقدا مقدسا وغيضا على الجناة المستعمرين وعلى سماسرة الحكم في بغداد من اصدقاء «الصاحب» الانكليزي وعملائه الذين اوصلوا البلاد

الى الهاوية بل الدرك الاسفل من النار وراحوا يتفاخرون - تحت قبة البرلمان - بأن يجعلوا حتى سطوح دورهم مطارات لطائرات الانكليز بعد فشل ثورة (مايس ١٩٤١) وفي بحران الحرب العامة الثانية!

انها لتستلهم الكثير من ذكريات - محمود - واخوانه المناضلين الابطال وهم في المنفى وتبتل «وسادتها» بالدموع والزفرات الحرى، وتعيش باحلامها «الوردية» والوطنية في مستقبل افضل! وبينما هي كذلك واذ «بالمذيع البغدادي» يقطع منها وريد الامل وشريان الفأل. ويذيع النبأ الصاعق بان محاكمة غيابية قد جرت بحق ابطال ثورة مايس ١٩٤١، فصدر الحكم بالاعدام على رشيد عالي الكيلاني، وصلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد، ومحمود سلمان، ويونس السبعاوي وعلي محمود الشيخ علي، وبالسجن على امين زكي رئيس اركان الجيش... الى آخر القائمة!!

ولم يخفف من وقع النبأ الصاعق هذا تسلم - مديحة - رسالة من - محمود - وكونه ورفاقه قد غادروا (الاحواز) الى البصرة على ظهر باخرة وباتوا عبر شط العرب.. وفي تلك الرسالة يوصي - محمود - زوجته بان تعتصم بالصبر الجميل، وتتحمل المحنة، وتقوم على تربية الاطفال وارضاعهم لبان العلم والتضحية والكفاح. كما يعرب - محمود - في الرسالة عن حنينه وحبه للوطن لان حب الوطن من الايمان، وقبل كل شئ وفوق كل اعتبار... وفي تلك الرسالة - ذاتها - وهو يعيش محنة العمر والتأريخ لم ينسَ مداعبتها - كالعادة - فيقول لها بالحرف الواحد (لاتغاري اذا ماكان الوطن الحبيب الغالي شريكك في القلب والروح والحب..) ويقول كذلك بالنصّ الواحد (.. اذا اقتضت الحال فاني مستعد لان أضحّي بكم انتم اعزائي وأحبائي - يقصد عائلته - للحبيب الاول الوطن العربي الكبير..)

في سجن (ابو غريب)

اما كيف سلم الانكليز ثوار مايس ١٩٤١ الى الحكومة العراقية، وكيف كبلوهم بالسلاسل والاغلال الحديد في سجن ابو غريب وكيف جرت «المهزلة الكبرى» اي المحاكمة الصورية كما يقول - محمود السلمان - في وصيته اما ماهي وصايا - محمود سلمان - الخالدة لزوجته واولاده ولابناء وطنه اما قصة الشعب العراقي الثائر المكبوت بعواطفه واحاسيسه الوطنية والقومية. اما النذالات والاهانات التي وجهت الى الصنوف الثورية المختارة. اما اللوحة التي علقها العملاء على قبور الشهداء الخالدين وهي (هذا جزاء الخائنين!!) والتي مزقها الشعب وابدلها باللوحة النظيفة الشريفة (هنا يرقد الابطال الشرفاء الشهداء).. اما كل هذا وذاك فان مذكرات -

مديحة – غنية بهذه المواقف والصور التي تعلم الاجيال كيف تبنى صروح الحرية والاستقلال على جماجم الشهداء، كيف يرتقي الشهداء اعواد المشانق مهللين مكبرين، ليكونوا الشموع المضيئة التي تنير دروب الأجيال... اماً اولئكم الذين غاصوا وخاسوا في اوحال الخيانة والجرائم الوطنية الى الاذقان، وصافحوا الطغاة البغاة يداً بيد وقلباً بقلب، وباعوا انفسهم بأبخس الاثمان للشيطان! فقد باؤا بغضب من الله عظيم واستحقوا لعنة التاريخ والاجيال.

فكانوا اثرا بعد عين وجر الدهر عليهم اذيال العفاء، ونفق اكثرهم كما تنفق الحمير والسوام!!

٥ – وأخيراً – وليس آخراً – فان مضايقات (نوري السعيد) وزبانيته للسيّدة صاحبة المذكرات» كانت في مستوى النظام القائم وخاصة بعد ان اعدم زوجها واخوانه الاحرار، فقد ضرب الحصار حول دارها وارغمت على مغادرة العراق الى تركيا حيث مكثت في – استانبول – ثمانية أشهر... وهنا يبدأ فصل جديد من ستاريو» المضايقة والمطاردة لذوي الشهداء ولهذه السيدة – مديحة – بالذات فقد استدعيت – ذات يوم – من قبل دائرة الامن التركي لتهيئة نفسها لمغادرة البلاد التركية الى المانيا!!. حيث قال لها مدير الأمن العام التركي بأنه متاسف جدا لاخبارها بضرورة مغادرة تركيا في السرعة الممكنة وخلال عشرة ايام فقط! ذلك لان تركيا موقفها حيادي بالنسبة للطرفين المتحاربين!! وقد أجابت السيدة العراقية المناضلة المفوضة أمرها الى الله وحده، مدير الامن العام بأنها قد عاركت الايام وعركتها وانها تطبعت على النكبات والازمات، وأن السلطات التركية في هذا الأمر تتجنى عليها وعلى أولادها، وأنها لاخيار لها غير سلوك هذا الطريق الذي لاطريق غيره، وهو السفر الى المانيا!! ومعنى هذا – في نظر السيدة – بأنها ستذهب – رضيت أم أبت – الى جهنم، فقد تموت هي وأطفالها هنالك من جراء القنابل والغارات، والاجواء العسكرية المرعبة!! وأضافت تقول لمدير الأمن العام التركي بأنها واثقة تماما بأن نوري السعيد هو الذي طلب منكم ترحيلي عن تركيا الى المانيا. ذلك لأن «الباشا» السعيد سبق أن أمر باخراجي من داري في بغداد، ووجه الي انذارا بضرورة اخلاء الدار خلال عشرين يوما ليسكنه (القائد البريطاني) المحلي!! بموجب المادة..... كذا وكذا التي تبررها الضرورة العسكرية في اثناء الحرب!! وهي المادة التي تسوغ للانكليز السيطرة على اي دار أو موقع في العراق!!

وهكذا تتحرك الساعات والايام العشرة سراعا وتستكمل السيدة الابية العربية معاملات سفرها الى المانيا عن طريق – صوفيا – وبلغراد، وفينا، وتعيش أم المغيرة ومعد، رحلة من أشق الرحلات في التاريخ بالنسبة لها!! والذي يزيد في خطورة الرحلة صفارات الانذار والغارات الجوية على طول الطريق، وكذلك التوقف الطارئ في بعض المحطات والمطارات والهرع الى

المخابئ أكثر من مرة بالاضافة الى أجواء الحرب الكئيبة البادية على وجوه الناس، والتيارات التي تتقاذفهم ذات اليمين وذات الشمال، وتتحكم في مستقبل أوروبا بل العالم أجمع!!

ويكفي لتوضيح تلك الصورة المرعبة المرهبة أن تصف - صاحبة المذكرات - احدى الغارات الجوية التي استمرت ثلاث ساعة ونصف استخدمت فيها قنابل (المهداد) وقنابل (ضغط الهواء) التي تعتبر من أخطر القنابل التي صمّمها العلم الحديث يومذاك! عدا قنابل الحريق التي كانت تنهمر فوق الرؤوس وكأنها المطر، فتصب جام غضبها على البشرية البريئة التي لا ذنب لها ولارأي لها في تلك الحرب الضروس المهلكة!!

فماذا كانت - مديحة - تعمل في تلك اللحظات الرهيبة وهي مسلحة بالعقيدة والايمان. وتغطي كالفراشة بجناحيها طفليها المغيرة ومعد، فيالها من لبوة!! ويالها من حمامة وديعة. تحنو على اعز ما تملكه الام في الحياة، على ثمرتين من شجرة مباركة، ماذا كانت - مديحة - تعمل في تلك اللحظات الرهيبة!؟ كانت تتلو وتردد اية الكرسي» من الذكر الحكيم!! كانت تتلو وتردد (اقتربت الساعة وانشق القمر»!! غير ان الساعة لم تقترب! والقمر لم ينشق. ولكن ظلم الانسان لأخيه الانسان لشديد!! اما «محمد سلمان» شقيق الشهيد (محمود سلمان) فقد كان يقول في تلك اللحظات... امنت بالله رافع السموات والارض، وايقنت بالسر الالهي الذي انجانا من الموت المحقق الزؤام بسبب القنابل الصواعق، فقد تحولت عنا بقدرة قادر. وأصبحت رمادا تذروه الرياح!!

مديحة في دريسدن

بعد هذا هيأت الحكومة الهتلرية السكن الجديد للاجئين السياسيين العراقيين في قرية كبيرة تتألف من عدة قرى صغيرة هي (دريسدن). وقد تعرفت - مديحة - في تلك القرية وعن طريق الصدفة، وفي فندق - بلفو - بذلك الرجل النحيف الضعيف قصير القامة، وبه عرج.. ذلك الذي كان يهز بصوته «مكروفونات» الاذاعات الألمانية، وتهتز له الاجواء الاثيرية والاعلامية... ذلك الرجل الذي طار صيته في انحاء العالم. ذلك الرجل الذي دخل فندق (بلفو) ووقف له الناس اجلالاً ورهبة انه «غوبلز» وزير دعاية هتلر!!

وفي - دريسدن - نفسها تلك القرية (الظالم والمظلوم) اهلها وضيوفها ولاجئوها السياسيون، كانت دار رشيد عالي الكيلاني الذي دعا ذات مساء الى (طعام العشاء) «محمد سلمان» شقيق الشهيد (محمود سلمان) وهنا تروي السيدة (صاحبة المذكرات) طرفاً من حديث

الكيلاني مع محمد سلمان في الصالون، حيث كان - اي الكيلاني - عاتبا ان لم يكن غاضبا على الشهيد (محمد يونس السبعاوي)!! ولكن السيدة استطاعت بلباقتها ومعرفتها ان تنتصر للمرحوم السبعاوي وتسأل - الكيلاني - عن سبب المعاتبة او المغاضبة فأجابها - الكيلاني - «بأنه قد بلغه بأن يونس عندما كان يحاكم في بغداد انحى باللائمة علي لكي ينقذ نفسه!!) فردت عليه - مدبحة - بأن مابلغه غير صحيح، وان مثل هذه التلفيقات يعوزها الدليل المادي وان الوشاة والكذابين، ومعدومي الضمير كثيرون!! وخاصة في محنة الأمة، وان الشهيد السبعاوي - كما هو معروف - قد استغرق دفاعه عن ثورة مايس ثلاث ساعات. وفي دفاعه عنك وعن الثورة دفاع عن نفسه بالذات وبطبيعة الحال!! فأجابها الكيلاني بعد شكرها «أسف، وماكنت أعلم بهذا قبل الان!»

(الكيلاني وصلاح الدين الصباغ)

وفي تلك الاثناء كان العقيد صلاح الدين الصباغ في تركيا وكانت حكومة بغداد قد أرسلت «مدعيها العام» الى الحكومة التركية لتسليم «الصباغ صلاح الدين. ذلك لأنه في نظر الحكومة مجرم عادي، وليس لاجئا سياسياً!! وعندما علمت الحكومة الالمانية بذلك، فاتحت الكيلاني بذلك وأرادت ان تتحسّس رأيه فيما اذا طلب الصباغ من المانيا حق اللجوء السياسي اليها لانقاذ - الصباغ - من المصير الاسود الذي كان ينتظره فيما لو سلم الى حكومة العراق!! ولكن - الكيلاني - على ذمة - صاحبة المذكرات - ما كان منه الا أن تملكه الغضب، وابدى - للجهة الالمانية - التي فاتحته بذلك بعدم الموافقة! بل كان حدّياً مع الالمان، فاما هو في المانيا واما صلاح الدين الصباغ! والذي حدث بعد هذا ان الالمان ضربوا صفحا عن ذلك، بسبب الاخبار الجديدة التي وصلتهم، والتي تقول بأن تركيا رفضت تسليم الصباغ للعراق!!.

هذا «موقف» للكيلاني من صلاح الدين الصباغ، اكتفي بتسجيله ونقله من - المذكرات - كما هو ولايسعني نفيه او تصديقه! فهذا من شأن المؤرخين المعنيين بكتابة تأريخ العراق المعاصر، وتأريخ ثورة (٢ مايس سنة ١٩٤١) وبالتيارات السياسية والشخصية التي أصبحت تتقاذف رجال الثورة من عسكريين وسياسيين بعد فشل الثورة!

«موقف» اخر او رواية أخرى في - المذكرات - اضعها أمام المؤرخين ماتزال تفتقر الى التدليل والتمحيص! هي ان - الكيلاني - وعندما وصل الجيش الالماني الى القفقاس كاد يطير فرحا ويتعشم العودة الى العراق بعد طرد الانكليز منه، وأكثر من هذا - كما جاء في الرواية في صلب المذكرات - أنه شكل حكومة موقتة، وقد سمى بعض وزرائها. وكان - محمد سلمان -

شقيق محمود سلمان – حاضرا تلك الجلسة، والذي قال للكيلاني بالحرف الواحد (ياسيّد رشيد! اذا كان الأمر كما تقول وتتصور، وان الالمان سيهبطون من على جبال القفقاس خلال بضعة ايام! الا ترى معي ان من الاهمية بمكان ان نطلب من الالمان تزويدنا باسلحة تكفي لتجهيز فرقتين او ثلاث فرق لنتعاون معهم عسكريا.. ولكن الكيلاني رد عليه بما يلي و بالحرف الواحد (لا... ياابا جاسم! لالزوم للاسلحة الان لاننا بعد وصولنا العراق سنبعث بعض الخبراء العسكريين العراقيين الى المانيا ليختاروا السلاح الذي نحتاجه!!) فرد عليه – محمد سلمان – بأن الخبراء العراقيين موجودون الان في المانيا. فالسيد ابراهيم الراوي اللواء معنا وهو قائد فرقة سابق معروف. وكذلك معنا بعض الطيارين الممتازين. وانا – اي محمد سلمان.. من قسم الالية وكلنا نعرف كم نحتاج اليه الفرقة الكاملة من السلاح. وهذا هو الوقت المناسب لان نطلب السلاح من الالمان... ولكن – الكيلاني – انزعج ولم يحبذ تلك الفكرة وقال هذا امر نبحثه بعد الان..

ولابد من الاشارة بهذا الصدد الى ان العراقيين في المانيا يومذاك كانوا منقسمين الى معسكرين. معسكر المفتي الحاج امين الحسيني من جهة ومعسكر رشيد عالي الكيلاني من جهة اخرى. وقد حصلت مشادات كلامية وجدلية يومها بين الفريقين... وحصلت ذات مرة مشادة معروفة بالذات عندما دعا – محمد سلمان – الحاج الحسيني الى داره، فأثارت تلك الدعوة غضب الكيلاني، وتسببّت فيما يشبه القطيعة بين الكيلاني ومحمد سلمان.

وبينما العراقيون هنالك في المانيا تتقاذفهم الافكار والاحلام والاخيلة والامزجة المختلفة، كانت الاوضاع العسكرية والسياسية في المانيا تسير حثيثا وسريعا الى الحضيض والاسوأ وهنا بدأ العراقيون يفكرون بمغادرة المانيا الى حيث النمسا فسويسرا وخاصة عندما اعلن «النبأ العظيم» عن نهاية هتلر في برلين وتسلم (دونتيز) المسؤولية خلفاً له.

وقد استمع بعض العراقيين هذا النبأ الصاعق وهم يطلبون البنزين للسيارات التي تقلهم من قائد ثكنة عسكرية فأسقط في ايديهم وعاشوا على مفترق طرق وبخاصة عندما رفضت الحكومة السويسرية قبولهم كلاجئين سياسيين!

وهنا، وفي هذه اللحظات الحاسمة تقول – صاحبة المذكرات – بأن الكيلاني بلغ حدا من التأثر لايوصف، ووجه الكلام لزوجته قائلا (.. اني لاحس بالحبل يطوق عنقي يالمعة!!) ويقصد حبل المشنقة.

وخير مااختم به هذا التعريف بالمذكرات هي تلك الكلمات الخالدات التي قالها الشهيد محمود سلمان لزوجته ولولده طارق، قبل لحظات من ارتقائه ارجوحة الشرف، الى اعلى عليين. الى سماء المجد والخلود، الى حيث الابرار الشهداء، الى حيث جنات النعيم..

سيدة مع زوجها

قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه.

تقول السيدة الصابرة المناضلة التي فوضت أمرها وأمر العائلة الى الله (دخلت على - محمود - فوجدته جالساً على سريره المكسر، ويداه، ورجلاه مصفدة بسلاسل الحديد!! وعندما التقت عيناي بعينيه في تلك اللحظات الرهيبة قال.. الحمد لله الذي جعلني اراك قبل ان افارق هذه الدنيا!! فقد حسبت اني لن اراك.. وجلس - طارق - على سرير والده حيث كان يجهش بالبكاء.. اما أنا فلم اعد أعرف بل لااذكر في تلك اللحظة موقعي!! افي حلم رهيب انا؟ ام في واقع مر؟ ام اني انسانة كتب عليها ان تعيش قساوة الاقدار.

وقد نفذ بي حكم الاعدام قبل ان ينفذ في زوجي ورائدي وقدوتي ونموذجي وملاكي في الحياة.. لإاذكر شيئا من كل هذا. ولكن الذي اذكره هو اني كنت غير قادرة على البكاء وغير قادرة على الكلام!! اذكر بعدها ان - محمودا - سالني عن «المغيرة و «معد» فاستفقت قليلا، وأجبته بأنهما تعبا في النهار فناما ولم اهيئهما للحضور فأرجو السماح!! فقال حسنا فعلت فلا ارغب في ان يكون هذا المشهد عالقا في مخيلتهم وبأذهانهم.. يا - مديحة - انتبهي جيدا لما اقوله لك.. اريد ان اقول لك شيئا.. وهو انك تقدرين جيدا تضحيتي لهذا الوطن العزيز وان موتي او استشهادي سيكون فخرا لك ولاولادي فارجو ان لا يقعدك مصيري هذا عن تربية اولادي تربية وطنية صالحة... وستكونين مسؤولة امام الله اذا لم تربي اولادي على حب الوطن وخدمته، حتى ولو كان مصيرهم كمصيري هذا! ارجو ان تشدي ازرهم وتدفعيهم الى مافيه الحرية والاستقلال كما كنت انت تقفين الى جنبي وتشدين ازري..) وتستطرد - مديحة - فتقول (.. وفي تلك اللحظات الفاصلة كنا نسمع اصوات المسامير تدق في اعواد المشانق فارتعشت اعصابي وارتعبت. ولكن - محمودا - ابتسم وقال.

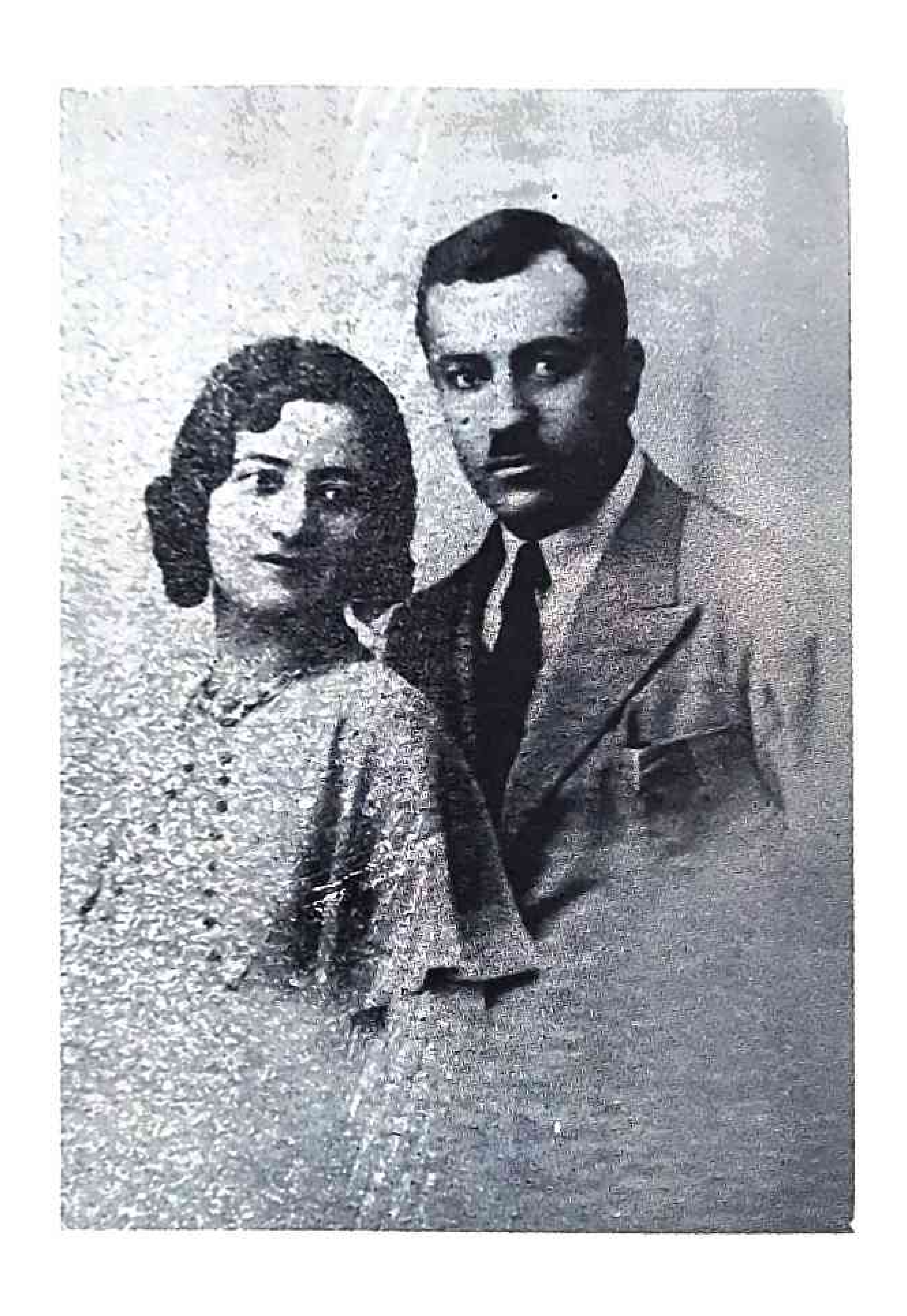
اني لم اعهد فيك الخوف والرعب من قبل .. ان هي الا اراجيح الشرف سنرتقيها بعد قليل! اعلمي - يامديحة - ان جماجمنا ستكون حجر الاساس لصرح هذا الوطن المنكوب. وانك لتعلمين جيدا نوايانا الصادقة فلم تكن لنا اغراض شخصية والله وانا سنلقى ربنا بضمائر طاهرة ومرتاحة لاننا قمنا بواجبنا المقدس تجاه الوطن والامة واننا قد بدانا الشوط وعلى اولادنا استكمال ماتبقى منه ومابدأناه... - يامديحة - يكفيني زهوا وفخرا وخلودا وشرفا اني اضحي بك وبالاولاد واترككم دون نصير تحت رحمة الله والله خير الراحمين... لتبقى روحي ترفرف حولك من اجل ان اطمئن عليك.. ان اخي - محمد - الذي احبيته كما احبك بعيد الان وهو الذي

اعتمد عليه في تربية الاولاد وحتى يجمعه الله بكم ستبقى روحي حائرة ومعذبة. وحتى اخي (داود) مايزال بعيدا عنكم في السجن.. مسكين داود!
بلغيه - يامديحة - حبي واوصه بالصبر الجميل على فقدي! اه - يامحمد - لقد قدر لي ان لااراك بعد غيبتك الطويلة... ثم قال - نسيت - يامديحة - ان اخبرك انهم احضروا لنا بعد عودتنا من المحكمة كاتب عدل ليكتب وصايانا فكتبت وصيتي ويمكنك بوساطتها انقاذ املاكي من المصادرة فطالبي بالوصية وقد نصبتك وصية على الاولاد كيلا تتعذبي من هذه الناحية.:. ولقد كانت الابتسامة لاتفارق شفتيه والحديد لايفلّ من عزمه وايمانه. ان هذا المشهد وحده مساعدة لي على تحمل الصدمة بصبر وجلد وإرادة..
ومن ثم سألته عما اذا كانت الارادة الملكية قد صدرت بتنفيذ حكم الاعدام بكم اما انكم تبلغتم بقرار المحكمة فقط.. فضحك - وهو في هذه الحال - وقال.
الم اقل لك من قبل بأن المحكمة مهزلة لقد قرأوا علينا الارادة الملكية في المحكمة في نفس اللحظة التي صدر فيها القرار! ! وانهم على مايبدو مستعجلون! ! فلا تعبأي بذلك ولاتبالي وكوني صابرة، فحياتك لم تعد لك وحدك - بعد استشهادي - بل لاطفالك وللوطن. والتفت الى - طارق - وقال له لاتبك ياولدي طارق افانت شجاع وانت راشد. كن رجلا فانت اكبر اخوانك وتعاون مع الوالدة على تربية اخوانك. كما يجب عليك ان لاتبتئس بل ان تفرح بمصيري هذا فانني لم اقم بعمل يخجلكم بل يشرفكم ويرفع رؤوسكم عاليا.
فكن فخورا بنفسك ومضحيا من اجل وطنك ليحفظكم الله جميعا ويساعدكم على ما ينتظركم من صعاب! تعالوا لاقبلكم قبلة الوداع فانهم - على مايظهر - مستعجلون ولايريدون ان اشبع منكم. وهنا قبل طارق وقال هذه قبلة اخرى لعدنان الذي لم اره من زمان فليشفه الله...
والتفت الي وقال (... اما انت يااعز من املك فقد تحملت الكثير الكثير بسببي وكنت اشعر بهذا الكثير على الرغم من كبتك وكتمانك اعلمي - يامديحة - بانني لست نادما على كل ما عملته في حياتي سوى انني ظلمتك كان يجب ان لااتزوج بل اتفرغ لعملي الوطني فقط. ولكن هذه مشيئة الله.
والأن اسأل. اتغفرين لي هذا العمل!؟
وهنا ومن دون ما وعي وشعور، ارتميت على صدره وصرخت عاليا! ليقتلونا معاً.. انني لااطيق الفراق... فقال.. ماهذا الذي اسمع!!. لقد اصبحت لست ملك نفسك بل ملك ابنائك فلا تجزعي ولاتستسلمي للحزن والهلع، كيلا تمرضي وتسؤ صحتك فاولادك في حاجة اليك في هذه المرحلة.

وانا ذاهب عنكم ومفارقكم لملاقاة ربي مطمئنا قرير العين، نظيف الفؤاد. وقد تركت الاولاد امانة في عنقك بوصفك الام الرؤوم التي ستكون لهم اما وأبا في وقت واحد... والان - يامديحة - كفكفي دموعك وتماسكي واعتصمي بالعروة الوثقى، وتفاءلي واضحكي، لكي ارتاح واطمئن قبل ان افارق الحياة بعد لحظات!

فلا تدعي لاحد او لعدو مجالا لان يشمت بك وبنا جميعا. وتذكري وصيتي هذه (رب اولادك على حب الوطن وعلى الموت المقدس في سبيل الوطن المقدس!!

إما بعد.. وبعد هذا الحوار المقدس الذي يسجله في «انجيل الثورة» قديس شهيد مع زوجة صالحة مناضلة قبل الاعدام بلحظات فقد اقتربت الساعة الرهيبة ولم ينشق القمر! وانما انشقت «العائلة» الممتحنة في طريقين طريق - مديحة - وطارق واخوانه الى الدار المظلمة الكئيبة.. وطريق - محمود سلمان - الى حيث يرتقى ارجوحة الشرف، المشنقة.. فطوبى! للخالدين في الارض والسماء.. وتبًا للرعاديد الجبناء! والحياة الحرة العزيزة للعراق والعروبة ولكل من يتعشق الحرية والعزة والكرامة...



السيدة مديحة كامل مع زوجها الشهيد محمود سلمان



الفصل الاول

هذه هي مذكرات مدينة السلمان تحكي قصة اعنف الثورات ضد الانكليز وترسم الخط الفاصل بين الاحرار والعملاء وتروي بالدموع والدماء شجرة الحرية في العراق.

ولادتي. هويتي. مدرستي

هكذا هي الحياة ميلاد ومن ثم موت!! وبين صرخة الوضع وأنة النزع أعوام عجاف وأخرى لطاف. وحلقات تتلوها حلقات.. بعضها مأساة وأخرى ملهاة!! هكذا هو القدر لقد أبى الا أن تكون–صاحبة المذكرات– ابنة شهيد وزوجة شهيد! وإلا أن تسبح في بحار من اليتم والألم والمصائب وأن تسبح بحمد الله العظيم خالق هذا الكون العجيب ومصور هذا الانسان الغريب على هذه الأرض الفانية.. أضواء كشافة أسلطها على هذه المفردات والفقرات من قاموس الحياة الذي كتبته السيدة المناضلة – مديحة السلمان – بشكل مذكرات.

تقول صاحبة المذكرات..

في ظهر يوم قائظ من شهر يوليو (تموز) اللاهب من عام ١٩١٧ وفي مدينة بغداد ولدت حيث كان السكون والوجوم مخيميّن على الدار التي ولدت فيها على خلاف ما يحدث–عادة–عند ميلاد أي طفل كان! ولعل السبب في هذا –وهو كذلك–يعود الى أن ولادتي كانت بعد وفاة أخي الصغير الذي لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره! والذي كان «قرة عين» والدي حيث كان وحيدهما من الذكور وكان الاستعداد والتحضير على قدم وساق لنشر الأفراح والاحتفال بيوم ختانه ولكن القدر الذي لا يرحم أبى إلا ان يفجع العائلة بهذا الغصن الصغيروان يقلب الافراح أتراحاً في ليلة أصابه فيها مغص لم يمهله الا بضع ساعات فيا للصدمة العنيفة يصاب بها والداي ويااللحزن العميق الذي لف الجميع بوشاحه الأسود! بعدها وفي هذا الجو الكئيب وبعد سنة تقريباً رزقا بي فتبدّد الأمل في أن يعوضّها الله بولد بديلاً عن (فاضل) –شقيق المتوفي– فكانت ولادتي صدمة جديدة هي الأخرى لم تحتملها والدتي فداهمها المرض الشديد الذي كاد يودي بحياتها لولا أن تداركها الله بفضله.....أما أبي فلم يكلف نفسه النظر الى وجهي عندما أخذتني القابلة (الداية) اليه وانما اكتفى بأن شكرها على تعبها وقال لها الحمد لله على ما رزقني به. كنت آمل ان يرزقني الله بديلاً عن (فاضل) ولكن هذا نصيبي والحمد لله.. وكان–والدي– رجلاً ورعاً متديناً.

حمد الله وسكت.

لقد مرت الأيام والاسابيع وترعرعت في كنف العائلة وتغلبت عاطفة الأبوة على والدي فازداد رصيدي ونصيبي من المحبة والحنان، كلما كبرت قليلاً حتى قيل لي بعد هذا أن والدي كان لا يطيق

تحويل عينه عن وجهي! وكان أن اصبت بمرض (الحصباء) الخطر ولكن الاصابة كانت بسيطة فكان والدي يدعو لي في صلاته أناء الليل والنهار بأن يمن الله علي بالشفاء العاجل، وكان يتمنى أن لو يفتديني باحدى عينيه! وأصبح بعد هذا كثير المباهاة بي وكان وجهه يطفح بالبشر والسرور كلما رآني ولعل في هذا تكفيراً عن ذلك الاستقبال البارد الذي استقبلني به يوم جئت للحياة!

كان والدي – يومها– في دور النقاهة من جراح اصابته في احدى المعارك في العراق حيث يبدو من تأريخ ميلادي (١٩١٧) ان الحرب العالمية الأولى كانت مستعرة. وبعد شفائه غادرنا الى جبهة القتال حيث كان يقود فوجاً في جبهة الكوت – احدى المحافظات العراقية – التي حصلت فيها الموقعة المشهورة باسمها موقعة حصار الكوت – عندما دخل الانكليز العراق في الحرب العامة الأولى. وكانت اخبار والدي لا تنقطع عن والدتي. وبعد مرور بضعة اشهر كان والدي خلالها قد أبلى بلاءً حسناً في تلك المعركة الرهيبة استحق الترقية ونيل وسام رفيع (نيشان) مع كتاب تقدير من وزارة الحربية. وقد أبرق لوالدتي بهذه البشارة فكان فرحها لا يوصف وكنت حينذاك قد بلغت العام الأول من عمري حيث وضعت والدتي بنتاً أخرى منذ سبعة أيام فقط... ولكن الفرحة سرعان ما تبددت. اذ في مساء ذلك اليوم الذي تسلمت فيه والدتي برقية البشارة طرق عليها الباب رسول خاص من وزارة الحربية ينعى اليها إستشهاد والدي في ساحة الجهاد والشرف والدفاع المقدس عن الوطن ويبلغها بعزاء وزارة الحربية.... هكذا قدر لوالدتي المسكينة ان تصبح –أرملة– وهي في ريعان الشباب ولما تستكمل الثالثة والعشرين من عمرها! وان نُصبحَ نحن بناتها يتامى ونحن الثلاث مانزال طفلاتٍ لا يتجاوز عمر كبرانا السنة السادسة! وكان عمري عاماً واحداً وعمر أختنا الصغيرة أسبوعاً واحداً فقط!! ولأن والدتي وحيدة أمها فقد فقدنا الوالد الشهيد وتركنا من دون معيل، وليس لنا غير الله القدير وسوى جدتي (والدة أمي) التي كان حنوها علينا جميعاً يفوق حنان الأب..

وبعد مرور أربعين يوماً على استشهاد والدي برصاص الانكليز الغادر طلب (والي) بغداد الى جدتي وحسب تعليمات وزارة الحربية أن تسافر بنا مع الجيش العثماني عند انسحابه من بغداد، ذلك لأنها أصبحت مهددة بالسقوط واحتلالها من قبل الانكليز وان جدتي ووالدتي وبناتها يخشى عليهن من عذاب الانكليز لأن والدي كان قد كبدهم الكثير من الخسائر في الحرب فما كان منا الا أن حزمنا أمتعتنا في السرعة الممكنة وحملنا منها ماخف حمله وغلا ثمنه وغادرنا بغداد الى الموصل احدى مدن العراق الثلاث المهمة حيث مكثنا فيها سنة كاملة.. وقد علمت بعد أن شببت وكبرت بأن تلك السنة المشؤومة كانت من أعسر السنوات التي عاشتها الحدباء لعدم توفر الغذاء بسبب ظروف الحرب القاهرة والغلاء الفاحش.. وفي تلك السنة ذاتها كانت أختي الصغرى قد اهتصرها الموت فبقيت وأختي الكبرى في جو من الحزن والخوف والهلع، وأصبحت

والدتي فريسة للأمراض العصبية والنفسية، وكانت تخشى علينا من أن تفقدنا في يوم من الأيام..

- - - -

سافرنا بعد هذا من الموصل الى تركيا فوصلنا (قونيه) احدى مدن الاناضول ولا أدري كم من الوقت مكثنا فيها واعتزمت جدتي على السفر بنا الى (الاستانة) وبعد ان أعدت العدة لذلك غيرت رأيها فجأةً وقررت أن تكون وجهة السفر الى سوريا... وقد علمت بعد هذا ان السبب في هذا هو وجود أهل والدتي وأقاربها هنالك في استانبول لأن جدي (اي والدها) كان تركي الأصل.. وقد تحسبت جدتي أن قد يرغموها على البقاء هناك وهي تفضل العودة بعد أن تستقر الأمور العامة فيها الى بغداد وطنها الحبيب الذي لا تحب سواه على الأرض ولا ترضى بغيره بديلا وهكذا ومن أجل التقرب الى بغداد سافرنا الى حلب فوصلناها ابان طرد الجيوش التركية من قبل العرب والانكليز ودخلناها تحت وابل من الرصاص! وسرعان ما اهتدينا الى سكن بصورة مؤقتة لدى عائلة وما نكاد نستقر في الحجرة المخصصة لنا وما يزال (الحوذي) ينزل العفش من العربة حتى اخترقت حجرتنا رصاصة مجنونة فطار صواب جدتي وأشفقت علينا وغلب عليها الشؤم وقررت عدم البقاء في هذا المكان وخرجت من توها تفتش مكاناً أو مسكناً آخر دونه بحيث يكون بعيداً عن الاطلاقات النارية والخطر!! وهنا وبينما جدتي تفتش عن دار للايجار صادفها رجل وقور وسألها عما اذا كانت بحاجة الى مساعدة حيث أنه عرفها من زيها غريبة عن البلد. وعندما شرحت له مقصدها اخبرها بأن لديه هو داراً خالية وفي امكانها رؤيتها حالاً! وهكذا اخذها الى زوجته وخرجوا معاً لرؤية الدار.... وكان للرجل هذا ثلاثة دور يظهر أنها كانت داراً واحدة ومن ثم قسمت الى ثلاثة لكن المدخل اليها واحد.. وكان الرجل مع عائلته يسكن احدى هذه الدور ويسكن الدار الثانية مهاجرون من الأرمن الذين كانوا يتربصون الفرصة للهروب خشية من الاتراك! أما الدار الثالثة فقد اتفقنا على استئجارها. وقد ارسل الرجل أولاده مع — جدتي — لمساعدتنا في نقل —العفش— لعدم وجود حمالين بسبب اشتداد اطلاق النار في تلك الساعات الحرجة وهكذا تمت عملية النقل والسكن في هذا الوسط الخطر واسترحنا في الدار الجديدة بفضل الصدفة وهذا الرجل الطيب (جزاه الله خيراً)...

ولما حان وقت العشاء زارنا صاحب الدار وزوجته ودعونا لتناول الطعام في دارهم ورجونا أن نكون ضيوفهم ثلاثة أيام حسب التقاليد العربية. وقد كانوا كرماء ظرفاء حقاً وبقينا في هذه الدار طوال الفترة التي عشناها في حلب الشهباء))! وفي كل يوم نرى من لطف هذا الرجل وزوجته مالم ينس على مدى الأيام... وقد عرفنا بعد هذا ان الرجل كان تاجراً للجواهر وأسمه (محمد أفندي الجمالي) وهو من العائلات المعروفة في —حلب—.

كما التقينا ونحن في حلب بعائلة المغفور له -ياسين الهاشمي- وعوائل عراقية عديدة كان أزواجهن قد سافروا الى الشام يومذاك. وطال بقاؤنا في الديار السورية الى ان توّج المغفور له فيصل الاول ملكاً على سوريا حيث صدر أمر ملكي بعودة كل عربي غير سوري الى وطنه. وهنا اضطرت -جدتي- على الاستعداد للسفر بنا الى الوطن العزيز وعدنا بعد سفرة شاقة استغرقت حوالي (٣٦) يوماً نظراً لبطؤ وسائل السفر وقلتها حينذاك ... ولدى وصولنا بغداد لم يعترضنا أي أحد. وقد سمعت من -جدتي- بأن سفرتنا الشاقة هذه كانت دون جدوى واننا لو بقينا في العراق ولم نسافر الى حلب لما تجرأ أحد على الاعتداء علينا أو الانتقام منا حيث لم يمس الآخرين الذين بقوا اي ضرر أو خطر! ولكن هكذا هي الأقدار شاءت أن نعيش أتعاب السفر والخطر والعذاب والغلاء والقحط وأن نصرف من المال والجهود مالايطاق!

— — — —

يتيمة لا تعرف أنها يتيمة!!

وحتى الآن وأنا لا أعلم بأن والدي شهيد متوفى، وعندما أسأل أمي أين أبي؟ تجيبني بأنه مسافر، وأنه سيعود عما قريب فأقتنع بمثل هذا الجواب، وأعيد السؤال بعد فترة فأتلقى نفس الجواب واقتنع به كما اقتنعت من قبل! حتى جاء يوم لا ولن أنساه ماحييت. وهو اليوم الذي علمت فيه بأن والدي كان قد استشهد وأنه سقط صريعاً في معركة الكوت برصاص الأنكليز! لقد سمعت الحقيقة الصارخة من سيدة كانت في زيارة لدارنا، وكان زَوجها معاوناً لوالدي -قائد الفوج- وقد حضر لحظة استشهاد والدي! لقد قصت الزائرة لوالدتي القصة عندما كان يتفقد حالة الجنود في خنادقهم وكان بالطبع خارج الخنادق وكان زوجها -معاونه- برفقته حيث كان والدي قد صاح بقمة صوته الماء الماء!! من زوجها حيث جرح جرحاً بالغاً! ولكن زوجها استغرب اذ لم يسمع اية اطلاقة مدفع أو صوت رشاش فبأي سلاح جرح؟ فنظر الى والدي نظرة تعجب وكاد لا يصدق لولا أن رأى الدم الغزير يتدفق من الاصابة في فخده الأيمن!! فسارع لتقديم الماء واسعافه ولكن الجريح فقد الحياة بأسرع من لمح البصر. وظهر بعد هذا ان اصابة أبي كانت بمسدس أطلق عليه من مسافة قريبة من قبل انكليزي تقدم خلسة وقتل والدي.

كان هذا الحديث بين والدتي وزائرتها، وكنت على مقربة منهما استرق السمع وأرى أمي التعسة تكفكف دموعها الهاطلة وعند ذاك فقط علمت بالمأساة وبشهادة والدي في ميدان البطولة والشرف وعلمت باني يتيمة وأن والدتي أرملة وأن ابي لن يعود من سفرته الأزلية الى الأبد ولم أعد أسأل أمي بعد هذا ذلك السؤال المكرر أين أبي ياأمي ؟؟ وجد في ذهني سؤال آخر

هو لم لم أخلق صبياً لأحارب أعداء عراقي وعروبتي لآخذ بثأر أبي !؟ منذ ذلك الحين صرت أقسم بروح والدي وأتمنى أن أرى صورته ولكن لم أكن لأتجاسر على طلب الصورة من والدتي! اشفاقاً عليها من التأثر ومرارة الذكرى!

بعد هذا صرت كلما عدت من الدوام في المدرسة أصرف بعض الوقت في التفتيش عن صورة والدي إذ وجدتها ذات يوم في داخل دولاب كبير في غرفة والدتي يحتوي على جميع كتب أمي.. فوجدت صورة شاب غير متأكدة أهي صورة والدي الشهيد أم هي صورة غيره ؟!؟ وماهي الا أن استجمع شجاعتي ذات مرة فأسأل والدتي والصورة بيدي فتملكتها الدهشة والمباغته ولم يكن بد من الاعتراف وأنها صورة والدي وأني وجدتها في الدولاب الكبير.. بعد أن أجابت بنعم طلبت مّني ان اعيدها حيث وجدتها وأنا أكاد أطير فرحاً بعد أن عشت ألماً! ولكن لم اعد الصورة الى محلها بل رأيت ان من حقي الاحتفاظ بها لانها صورة والدي وهكذا احتفظت بها بين طيات كتبي المدرسية تذهب معي الى المدرسة وتعود معي الى البيت...

لقد كنت -قبل العثور على الصورة- أحلم بوالدي في عالم الخيال ولا أزال استعيد الى ذاكرتي تلك الأحلام الذهبية فأتصوره واقفاً شامخاً يكلمني وكأنه يمسح على رأسي وخصلة شعري ولكني لا أتبين وجهه وكل ما أتخيله منه جسم إنسان ورأس انسان بلا وجه! وبعبارة أخرى.. انه ليست له تقاطيع وملامح واضحة من عيون وفم ووجه واذن وأنف.. فأصحو من نومي وخيالي حزينة كئيبة لأني لم أتعرف على وجه أبي فأهرع الى أختي وأسألها عن شكل والدي ووجهه وملامحه فتجيبني بأنها لا تتذكر جيداً وكل ماتذكره من قبيل التصور والأحلام! آهٍ آهٍ إن حرماني من أبي لشيئ مؤلم.

ومثير للعاطفة! ان حرماني من لفظة (بابا) أمام اصدقائي من اطفال المدرسة لايشبهه حرمان! إنهم يحلفون برؤوس ابائهم، وانا احلف بروح ابي!! امن حق عيوني ان تهطل منها الدموع مدرارا وغزارا؟ امن حقي ان اطبع القبلات على الصورة كلما خلوت الى نفسي، وان يتفطر قلبي من الحسرة واللوعة واليتم؟ وكنت اتصور اني وحدي اليتيمة دون غيري من الاطفال، وماهي الا ان اشب فاعلم بان هنالك الكثيرين من اليتامى، والكثيرين من الايامى مثل والدتي! من هنا ازداد حبي لهؤلاء الذين حرموا من الاب، واميل الى مساعدتهم قدر الامكان لاننا نعيش في ذات الاطار من اليتم والحرمان!

اما امي فقد كان همها الوحيد ان لاتدعني واختي نشعر بفقد والدنا، وكانت تلبي جميع مطالبنا العائلية والمدرسية الى حد التضحية بكل شيئ ولكن هيهات هيهات!

لقد كنت اتمتع بمحبة جدتي ووالدتي كثيرا، وكنت مطيعة لهما، مقدرة تضحياتهما من اجلنا... وقد لاحظت ان جدتي كانت تبيع املاكها تدريجيا، ويعلم الله انها ما كانت تبيعها

لسد حاجة او عازة وانما كان يعوزها الرجل الذي يشرف على ادارة الاملاك.. ولان عائلتنا الصغيرة «المؤنثة» المؤلفة من جدتي وأمي واختي وانا تعدم الرجل الذي يتحمل مسؤولية العائلة والحفاظ على ادامة وادارة الاملاك، فقد لجأت الجدة الى بيع بعض الاملاك حيث لايعتمد على «الوكلاء» الذين قد يكون ديدنهم الاستغلال والسرقة والتصرف باموال الغير كما يشتهون!! وكانت جدتي في كل مرة تبيع فيها عقارا تغدق علينا الدراهم وتبتاع لنا بعض الخواتم والسوارات والالبسة الفاخرة، لاتبغي من وراء ذلك غير دفع السرور لانفسنا وتخفيف حاسة اليتم في نفوسنا....

جدتي هذه!!

وعندما اذكر جدتي هذه في مذكراتي اكثر من غيرها بل اكثر من والدتي، ذلك لان هنالك سببا يستوجب كل ذلك! ذلك لانها عطف وعطاء.

وهي الكل في الكل بالنسبة لنا. فضلا عن ان والدتي كانت صغيرة السن والفتاة الوحيدة لامها، وكانت «المدللة» الوحيدة لدى امها، حتى فجعت بأبي واختي، فلم تكن قادرة على القيام بالمسؤولية العائلية، واعتمدت في كل شئ على والدتها القادرة على ذلك... وما شببنا وكبرنا حتى جعلنا ننظر الى الوالدة هذه نظرة الاخت الكبرى، والى الجدة نظرة الام والاب في وقت واحد... وكانت لاتسمح لنا بزيارة صويحباتنا في بيوتهن، وتقول دعوهن يأتين هن لزيارتكم، حيث لارجل عندنا، وقد يأخذن، حريتهن أكثر في دارنا... كما انني لااسمح لكما بزيارة اي دار اخرى حفاظا على السمعة والتقاليد المرعية!! وكنا وقتها لاندرك مثل هذا التوصيات، ونسألها لماذا؟ فتجيب بأن الفتاة الفاضلة وابنة العائلة الشريفة، رصيدها في سمعتها وتربيتها، وانكما ليس لكما الاب والاخ اللذان يرهبهما الناس. فقرن في داركما ومدرستكما وادعوا من تشاؤون للبيت من صديقاتكما... ولاتسألاني اكثر بعد هذه التوصيات التي يجب ان تلتزما بها دائما وابدا... فكنا نصمت واحس بالذات بأن هذا الكلام يدمي قلبي. فكنا نذهب الى المدرسة صباحا ونعود الى البيت مساء.

واحيانا نصطحب الوالدة اذا ماقامت بزيارة بعض صديقاتها. وكنت في غالب الاوقات ارابط في البيت مع جدتي فتسليني ببعض القصص والاحاديث، وتسرد علينا المعاناة التي عشناها بعد مغادرة بغداد بسبب الحرب... كما كانت تحدثني عن ابي الشهيد التي كانت تحبه وتسكن اليه كثيرا وترى فيه القدوة والمثل.

وكانت كلما تذكره تنهمر الدموع من عينيها، وترتفع الاهات من حنايا صدرها.... وحدثتني

عن اخر يوم سافر فيه ابي الى جبهة القتال، بأنه وهو يودعها وكأن في اعماقه هاجس خفي بأنه الوداع الاخير وانه لن يعود، وانه يودع زوجته وبناته، وانه سيموت مطمئنا راضيا لأنها على رأسهن، وبمثابة الاب لهن... ثق ياوالدتي العزيزة (هكذا كان يسميها) ان في اعماقي شعورا غريبا باني لن اعود، ولن اراكم ثانية بعد هذا الوداع! ان وطني ليناديني الى التضحية، وهو قبل بناتي وعائلتي جدير بالتضحية والفداء... ان الاستشهاد في سبيل الوطن خير من حياة الذل والعبودية.. استودعك الله، وليحفظك الله لهن.... وبعد هذا الحديث المثير فإن والدك قد صدق إحساسه، ولم يعد وكان قد اعتمد علي في رعايتكن، وها انا ابذل جهدي في تأمين راحتكن، ولاابغي سوى شيء واحد... هو ان لاتتألمن لحرمانكن منه، لانه فضل وطنه الحبيب عليكن انتن فلذات كبده. لان الوطن حبيب عظيم مقدس يستحق التضحية والشهادة.. فكوني بأبيك فخورة ولاتيأسي. انا اعتمد عليك ابدا... انني كلما اراك واطمئن الى نجاحك في المدرسة وتفوقك على زميلاتك، يطفح قلبي سرورا وحبورا... وكذلك هو رأي والدك فيك يامديحة!! واكثر من هذا فقد كان ينظر اليك نظرته الى الفتى لاالفتاة! بالنظر لشجاعتك الادبية وارادتك القوية منذ الطفولة.. وهذا مايجعلني استشيرك في بعض الامور... ولكن المؤسف حقا ان ارى جدتي تسير الى الشيخوخة، ولم تكن سنها كبيرة، واني اخشى عليها من الموت قبل ان اكمل دراستي واستطيع ان املأ الفراغ الذي تخلفه في العائلة قبل والدتي واختي.... وكنت محبوبة من لدن الناظرة (المديرة) ومعلماتي...

اكملت الدراسة الابتدائية، واستقدمت وزارة المعارف احدى السيدات الامريكيات، لتعيينها ناظرة في مدرستنا.

والجدير بالذكر انها كانت تحسن التركية، في الوقت الذي احسن فيه انا التركية الامر الذي سهل امامي التفاهم معها، عدا المامي باللغة الانكليزية... وقد استطاعت - الناظرة - الجديدة من تطوير المدرسة ودفعها الى امام بسبب كفاءتها الادارية والثقافية. اذ تمكنت من ادخال بعض النظم التربوية الحديثة، وخاصة دروس تدبير المنزل والتصوير والاشغال اليدوية. وبهذا اصبحت مدرستنا تضاهي احسن المدارس العراقية وكان اسمها «المسز كيز» التي تعلمنا منها الشيء الكثير... سألتني ذات يوم... مارأيك - يامديحة - في الدراسة في امريكا؟؟ فاجبت بكل سرور وعال جدا... وانبأتني بأنها حصلت على موافقة وزارة المعارف على ارسالك الى امريكا تقديرا لقابليتك فاستعدي منذ الان.. فقلت لها... ولكن قبل هذا علي ان احصل على موافقة جدتي فرغبتها قبل كل شيء... وهنا ابدت استغرابها وقالت.

ماعلاقة جدتك في رسم مستقبلك!؟ وكيف لاتوافق على ذلك وقد سنحت لك هذه الفرصة!؟ وفي تلك المرحلة كان من الصعوبة بمكان ارسال الفتاة الى بيروت على حساب البعثة،

فكيف بها الى امريكا... وقد صدق ظني، فلم توافق الجدة على ذلك، وزارتنا الناظرة في دارنا لاقناعها، فشكرتها جدتي على هذا اللطف واعتذرت ببعد الطريق وصعوبة السفر الى العالم الجديد، ولانني ما ازال صغيرة السن، وقليلة التجربة في الحياة!! وعندما اسقط في يدها حاولت اقناعي بالسفر دون موافقة اهلي، وعلى مسؤوليتها.

فأجبتها بأن هذا يتنافى مع تقاليدنا العائلية والاجتماعية، وان جدتي لها الضلع الكبير في تربيتي وتنشئتي، وقد ضحت بالكثير من أجل تربيتي واختي وحتى والدتي!

وهكذا مرت الأيام والأعوام وتخرجت من دار المعلمات بتفوق وكان هذا التخرج من مطامح الفتاة العراقية يومذاك. وتقدمت مع ثمانٍ من زميلاتي الخريجات للدخول الى مدرسة الطب ولكن طلبنا هذا رفض لعدم السماح للبنات بأن يجلسن جنباً بجنب مع الشباب على مقاعد الدراسة الطبية وغيرها...ولم أجد أمامي غير طريقين... فأما الأعتكاف في البيت وإما الاشتغال في التعليم فقررت الطريق الثاني وتعينت معلمة في نفس المدرسة التي تخرجت منها.. كما ان زميلاتي من الخريجات تعيّنّ في مختلف مدارس البنات الأخرى...وحدث وأنا في منتصف السنة الدراسية الثانية أن تمرضت جدتي ولم يمهلها المرض الا أربعة عشر يوماً بعدها اختارها الله الى جواره... وقبيل أن تفيض روحها نادتني -وهي بكامل قواها العقلية- وقالت (يامديحة إنني سأموت وانك تعلمين بأن أمك لا يمكنها تحمل مسؤولية الحياة وحدها فأوصيك بها بحيث تكونين عوناً لها في كل شيء.. انني اعتمد عليك وأوصيك بأمك بدلاً من أن أوصي بكما أمكما أنتما الأختين.. وإنني لواثقة بانك ستكونين لها ولاختك خير عون...وعندما رأت دموعي تسيل على خدي تأثرت وقالت... يعلم الله يامديحة! يعلم الله اني عملت ماعملت لكم لكي أمسح الدموع عن صدوركم واني في غاية السرور الآن ومرتاحة الضمير لأني قمت بواجباتي كاملة تجاهكم والحمد لله على ان مد الله بعمري حتى رأيتكم كبرتم وأنهيتم دراستكم وأصبحتم أهلاً للحياة وتحمل المسؤولية. والذي يؤلمني هو أن أترك أمك وحيدة. فلا تدعوها تبكي في البيت وخففوا من حزنها واهتموا بصحتها. وكونوا لها الأم والاخت والابنة في آن واحد!!

هكذا قضت السيدة الجليلة وبقيت الذكريات والإنطباعات شاخصة في ذهني لا يمحوها تعاقب الأعوام لان الأم المكافحة المناضلة هي أبداً خالدة عبر الاجيال ولأني وأختي مستمرتان على الدوام في المدرسة أرشدني تفكيري الى أن أقنع احدى صويحباتها التي فقدت كل أهلها وبقيت وحيدة بأن تعيش مع أمي تحت سقف واحد وهكذا كان بعد الحاح وتوسل... وقد تمرضت والدتي فاستقدمت لها بعض الأطباء الاختصاصين وظهر أن عندها ضغط الدم العالي وأجرت بعدها فحوصاً لدى طبيب آخر فظهر أنها لا تعاني من مرض سوى من ضعف الأعصاب وبدأت تتناول بعض المسكنات!!



مديحة قبل الزواج

خمسة طلبوا يدي

بعد مضي أربعين يوماً على وفاة جدتي تقدم خمسة أشخاص في وقت واحد يطلبون يدي من والدتي فكانت والدتي تردهم وتعتذر منهم فأنسحب بعضهم واستمر البعض على الألحاح والرجاء، لمدة ثلاثة أشهر. أما أنا وبدوري فكنت أفكر في مرض والدتي وفي دارنا التي تفتقد الرجل المسؤول وان المسؤولية العائلية من الصعوبة بمكان، وفي رغبتي الملحة في استكمال دراستي في الخارج... ولم يكن ليخطر على بالي بأني سأغدو يوماً ربة بيت لان هذا آخر أمل قد أفكر

فيه!! وماهي الا ان تفرض الظروف القاسية ومرض أمي ارادتها عليّ في الاخير.. لابد ان أقول بأنه لم يتقدم أحد في ذلك الوقت بالذات لطلب يد أختي لأن جدتي كانت تمانع في ذلك لا لسبب مقبول سوى انها لا تود رؤية صهر آخر يعد المرحوم والدي!! وهذا منتهى الوفاء من قبل زوجة لزوجها الشهيد!!

وكنت اتساءل في داخل نفسي... ترى ماذا يجئ لنا القدر لو ماتت والدتي وبقينا فتاتين وحيدتين لا نصير لنا. بعد الله! وفي تلك الاثناء كثر الالحاح على والدتي بطلب يدي وكان المتقدمون لخطبتي كلهم من الشبان الذين لا يردون وتتمنى كل أم.أن تكسب مثل هؤلاء الأصهار!! وهنا شاورتني أمي في الأمر وخيرتني بين القبول أو الرفض فكان أن وقع اختياري على واحد منهم وأسمه -محمود سلمان- ولم أكن سمعت حتى بأسمه قبل الآن! ولم أره ولو بطريق المصادفة وكل ما سمعت عنه أنه رجل كفوء نزيه بكل معنى الكلمة وأنه يشغل منصباً ادارياً عسكرياً في الكلية العسكرية واستاذ الفروسية فيها، وكان له (ولدان) من سيدة كان قد تزوجها وتوفيت -رحمها الله- بعد أن خلفت هذين الطفلين... ومأزال أتساءل عن السر الذي جعلني أختار هذا الرجل دون غيره مع العلم بأن الآخرين الذين تقدموا لخطبتي كان لهم من المؤهلات والمناصب المرموقة الجيدة! ولكن هذه ارادة الله وهذا الذي كان والحمد لله وكانت أخت -محمود سلمان- قد عرضت على والدتي فيما اذا كانت تريد رؤية (الخاطب) قبل اتخاذ أية خطوة حاسمة وقد عرضت عليّ والدتي الفكرة. فما كان مني الأ ان رفضت وقلت لها.. انني قد رضيت به شريكاً للحياة قبل أن اراه وأعرف عنه شيئاً! فدعيني أجرب حظي في الحياة! وهكذا حدد الموعد المضروب لعقد القران (كتب الكتاب) وفي تلك الأيام بالذات سمعت أن الملك فيصل الاول قد اختاره «ياوراً» له وتم تعينه في البلاط الملكي. وبعد عقد القران وعند المساء قدم الى الدار للتعرف بي وهذه هي المرة الأولى التي أواه فيها! وها أنا وجهاً لوجه أمام هذا الشخص الذي أخترته دون سواه رفيق عمر وشريك حياة. ولا أستطيع أن أتحسس شعوري في لحظات التعرف عليه ولكن الذي أتذكره هو أني بكيت بعد انصرافه ولم يغمض جفني تلك الليلة من شدة التأثر والبكاء! لماذا؟ ألم يكن رجلاً كاملاً وشخصية جذابة؟ ألم يكن حسن الحديث والسيرة والاصالة؟ ألم يكن من عائلة عريقة معروفة؟؟ كل هذه الحقائق الناطقة بالاضافة الى ما ألاحظه فيه من سرعة الخاطر والذكاء المتوقد تبشرني بمستقبل سعيد زاهر اذن لماذا كنت قد أجهشت بالبكاء وغلبني الأرق في تلك الليلة. هذا مالم أكن أعرف له سبباً أو مبرراً تلك الليلة.

سفر الملك فيصل الأول

وفي هذا الوقت كان الملك فيصل الأول قد سافر الى انكلترا أثر دخول العراق عصبة الأمم وكان ابنه وولي عهده الأمير (غازي) يشغل منصب (نائب الملك) لأول مرة حيث كان قد بلغ السن القانونية وكان القصد من جراء ذلك هو تدريبه على القيام بأعباء الملك ووالده على قيد الحياة وبعد سفره بمدة قصيرة جداً ثار الآثوريون الذين استوطنوا العراق بعد الحرب العامة الأولى -وهم الليفي- وثاروا على الحكومة العراقية مطالبين باستقلالهم الذاتي وكان ذلك في عام ١٩٣٣. فما كان من الأمير غازي ولي العهد و -نائب الملك- إلا أن أرسل قطعات من الجيش العراقي الباسل لتأديب الثوار! وقد سألوا سموه -يومذاك- ألا يرى سموه طريقاً آخر غير السلاح!؟ فأجاب بأنه عسكري والعسكري لا يكون رده على قوة مسلحة ثائرة بغير السلاح!

وهكذا تقدم الجيش بسرعة والتحم مع الآثوريين في شمال العراق فأبلى بلاءً حسناً، وأعطى درساً قاسياً لهؤلاء المتمردين الذين أساؤا الى الوحدة الوطنية بعد دخول العراق عصبة الأمم ولمن كان يمدهم ويمونهم بالذخيرة والسلاح. وهم الانكليز حلفاء العراق الذين دخلوا البلاد «محررين» لا فاتحين على حد زعمهم! !وكان لانتصار الجيش العراقي الباسل وتأديبه للاثوريين أثره البالغ لدى ابناء الشعب وابراز لشخصية الأمير غازي من ناحية اخرى واثارة لغضب الانكليز وسخطهم هذا الذي أعربوا عنه بصراحة لوالده الملك فيصل الأول الأمر الذي حمل الملك على قطع زيارته لبريطانيا وعودته بسرعة الى العراق من أجل أن يجد حلاً سياسياً لثورة الاثوريين وقد انتهى الأمر بعد عودة الملك..! والآثوريون قد أخمدت ثورتهم والجيش الباسل يقيم إستعراضه العسكري بمناسبة انتصاره الرائع وهكذا كان ...وماهي الا بضعة ايام حتى يسافر الملك فيصل الأول الى سويسرا للاستشفاء حيث كان يشكو من مرض في أمعائه فكان الوداع الأخير لبغداد عاصمة ملكه وللعراق الحبيب اذ اختاره الله الى جواره في اثناء المعالجة ونعت اسلاك البرق ذلك الملك المؤسس الجليل ونودي بالأمير غازي ملكاً على العراق... ولكن الانكليز بدورهم لم يعودوا مرتاحين لهذه المناداة بالملك الجديد (غازي) فقد عرفوه -بعد ثورة الاثوريين -شاباً وطنياً جريئاً قوياً يبادله شعبه حباً بحب واخلاص باخلاص...

مات الملك..عاش الملك

ارتدى العراق أثواب الحداد على الملك الراحل فيصل من اقصاه الى اقصاه وشاركت دول الشرق والغرب في ذكرى «الاربعين» التأبينية فألقيت الخطب والقصائد من لدن أبناء العراق والعروبة وعلقوا الآمال الجديدة على الملك الشاب الجديد وقيادته الشجاعة للعراق الحديث

باعتباره الطليعة القومية للامة العربية وهكذا دخل العراق مرحلة جديدة من التطور والتقدم في النواحي العلمية والاقتصادية والاجتماعية ووضعت الخطط والبرامج لتحقيق هذه الأغراض فارسلت البعثات العلمية الى خارج العراق وبذلت الجهود الكبيرة لتقوية الجيش العراقي البطل وتزويده بالسلاح الحديث –رغم العراقيل التي كانت توضع في سبيل ذلك في حينه– بحيث أصبح في طليعة الجيوش العربية من حيث التدريب والتسليح والروح الوطنية... أما الروح القومية فقد التهبت على عهد الملك (غازي) الذي علا نجمه بعد اخماده ثورة الأثوريين وعقدت عليه المطامح والآمال الكبيرة....

زواج سعيد – وحب مبارك..

بعد ان انتهت فترة الحداد على الملك فيصل الاول، وخلع العراق اثواب الحداد، وتوج الملك غازي الاول، ونشرت اعلام الافراح والمهرجانات.. بدات مرحلة جديدة من حياتي العائلية والاجتماعية حيث تم زواجي من محمود سلمان في اوائل سنة ١٩٣٤. وكانت الفترة بين الخطبة وعقد القران، وبين الزفاف لا تزيد عن اربعة اشهر كانت كافية لان يتعرف الواحد منا على الاخر ونزداد تعلقاً وتجاوبا مع بعضنا ونتطلع الى حياة زوجية مثالية ونتحسس بمستقبل رائع. ولا بد ان اسجل الحقيقة – في مذكراتي هذه – بأني قد احسنت الاختيار لشريك حياتي – محمود سلمان – واني لسعيدة جدا بهذا الاختيار واني لم اتسرع ولم اجازف عندما اخترت وتزوجت وحتى عندما عشت المعاناة والغربة!!

وبعد هذا كنت قدمت استقالتي من التعليم بعد عقد القران امتثالا لرغبة كان ابداها لي محمود وكنت وقتها قد رقيت الى (ناظرة) – اي مديرة مدرسة –. ورغم ان هذه الترقية كانت مدعاة لسرور محمود الا انه آثر اعتزالي للوظيفة وتفرغي له فقط...

فلم يسعني الا النزول عند رغبته لكي اصبح (ربة بيت) بكل معنى الكلمة وتصبح والدتي مرشدتي ومعلمتي لتدبير شؤون المنزل وما يقتضي له من خدمات وبخاصة توجيه الخدم توجيها جيدا.. وكلما تعلمت درسا في تدبير المنزل من امي كنت أنبئ – محمودا – بذلك فيدخل السرور الى قلبه ويقول يا لك من ذكية! بل يكاد يطير من الفرح... الحق اني كنت في غاية السعادة بحياتي الزوجية هذه ولكن اية سعادة تمت في الحياة حتى تتم سعادتي؟ وهل من هدنة دائمية مع القضاء والقدر لكي اعقدها معه الى اخر عمري!؟ ان والدتي هي مربيتي ومرشدتي وقد اعتادت ان تزورني كل صباح حيث تسكن في دار مجاورة لداري لكنها في هذا الصباح بالذات لم تزرني وقد اطبقت عقارب الساعة على الحادية عشرة ضحى!.. هرعت بدوري لزيارتها في دارها



محمود ومديحة بعد الزواج ١٩٣٣

فاستقبلتني السيدة التي كانت تساكنها وسألتها عن والدتي فاجابت بانها «تعبانة» وهي في غرفتها فدخلت عليها وهي ترقد في سريرها لاحراك فيها ولا ترد على سؤال! انها لدقائق رهيبة تلك الدقائق التي عرفت فيها بان امي مصابة بالفالج (الشلل النصفي).. احضرت الطبيب واجرى عليها الفحوص اللازمة فتاكد من هذا المرض ومن ثم دعوت جماعة من الاطباء المختصين (كونسلتو)، فكان قرارها نفس قرار الطبيب الاول الذي قام بمعالجتها.. وهنا فوضنا امرها الى الله واقتصرت المعالجة على سحب كمية من الدم منها كل شهر..

والحمد لله فلقد كانت نظرتي صائبة عندما اقدمت على الزواج من - **محمود**- فلقد بلغ من التأثر حدا لا يوصف عندما مرضت والدتي وضحى كثيرا من اجل علاجها وتطبيبها فلقد كان يحبها ويحترمها كثيرا ويرى فيها السيدة الجليلة الجديرة بالحب والاحترام...

شيء اخر ينغص سعادتي

ما كان مرض امي وحده ينغص سعادتي حسب وانما كان هنالك شيء اخر! وهو انني عندما اخترت - محمودا- شريك حياتي كنت اعلم بانه والد لطفلين لا ام لهما فاخترته لكي اكون أمّاً لطفليه هذين! من اجل ان اخفف عنهما الم الحرمان من الام بكل ما وهبني الله من لطف وعطف وانسانية.. ويعلم الله اني كنت بذلت جهدا كبيرا في هذا السبيل لانسي الطفلين الم اليتم واؤدي رسالتي العائلية.. وكنت كلي امل بان الطفلين سيكونان معي والى جانبي وهذا شيء طبيعي وقد يحصل في العائلة ما لم يكن في الحسبان وهو ان والد زوجي - حسب ما سمعته بعد هذا لم يكن راضيا من زواجي بابنه حينذاك! وسبب ذلك هو اني كنت صغيرة السن وفي السابعةعشرة من عمري ولا اكاد اعرف شيئا عن ادارة شؤون البيت واني قد لا اقدر الاهتمام برعاية طفلين ليسا طفلي الى غير ذلك من التصورات! ولدى علمه بان زوجي سيسفر جدة الاطفال الى اهلها في تركيا لان زوجته المتوفاة كانت تركية وان امها تعهدت برعاية الطفلين بعد موتها! وفي مثل هذه الحالة حيث تسافر (حماته) الى تركيا يكون الاطفال بعهدة ابيهم وعهدتي...
اقول عندما سمع والد زوجي بذلك تملكه الغضب الشديد على ولده - محمود- والح على ان يكون الطفلان مع جدتهما وتحت رعايته.. كل هذا كان يجري ولا علم لي بذلك وعندما اسأل زوجي عن صحة الاطفال، ولماذا لا يأتي بهم الى الدار كان يجيبني بانهم سيأتون يوما ما وان والده قرر رعايتهم مع الجدة!! وهكذا كان ينتحل الاعذار في كل مرة! وعندما احرجته ذات يوم ولم يجد بدا من شرح الموقف كشف لي كل شيء فكان هذا مدعاة المي واسفي لان والد - محمود- كان يحمل انطباعا قاسيا ضدي من دون ان يجربني في رعاية الاطفال وادارة البيت! اجابني -محمود- لا عليك! كما اني لا الوم والدي من هذه الناحية كثيرا حيث هو نفسه قد عاش مثل هذه التجربة والموقف! حيث توفيت والدتنا وتركتنا نحن ثلاثة اخوة اكبرنا كان في الثامنة عشرة من عمره وانا في الثامنة، واخي الصغير كان طفلا صغيرا.. فتزوج -والدي- فعانى ما عاناه كثيرا حيث لم يكن هنالك انسجام بين اخي الاكبر وزوجة ابي وانه يخشى الان ان يعيد التاريخ العائلي نفسه وان يعيش نفس المعاناة! ولكني ارى خلاف رايه هذا وكانت رغبتي الملحة ان يكون الاطفال برعايتنا وهذا مبعث راحتي وسروري بل راحتك وسرورك انت كذلك. ولكن ما العمل وهذا قرار والدي لا استطيع ان أعصي قراره وامره؟ ما العمل وهنالك حجر عثرة في تحقيق هذه الرغبة وهي جدة اولادي!؟ لذلك فإن أهم شئ في نظري هو تسفيرها لان وجودها هو الذي يعرقل الامور ويعكر صفو العائلة!



محمود سلمان في لباس السهرة
المدني ٢٣ /٩ /١٩٣٣

ان اولادي متمسكون بها، ووالدي لا يريد ان يكدرهم ويجرح شعورهم، وليس في الامكان بقاء هذه السيدة الجدة او اخذها معنا في البيت لانه ليس من المعقول ان تساكنك انت التي خلفت ابنتها بعد وفاتها! فلننتظر قليلا عسى ان تاتي الايام بالحل... وهنا علمت كل شيء عن هذا الامر وصمت ولكن على مضض!

بعد ستة اشهر على زواجنا عاد -زوجي- يوما وانباني بانه صادف والده وبصحبته ابنه الكبير -طارق- الذي يبلغ الثانية عشرة من عمره وانه رآهما عائدين من الطبيب لان -طارقا- كان مريضا وان مرضه اصابة بالبرد! وعندما اسأله وفي كل يوم عما اذا كان قد ذهب الى دار والده ليتفقد صحة -ولده- فكان يجيبني بالنفي ويقول ليهتم به من سلبني حقي حتى في رؤية وتربية ابنائي! وكلّما اكثرت من اللجاجة والالحاح عليه بانه يجب ان يتفقد صحة ولده مهما كان السبب كان يرفض ويابى بشدة! حتى اني قلت له ذات يوم ارجو ان تذهب من اجلي لرؤية ولدك الصبي الذي لا ذنب له في سوء التفاهم بينك وبين والدك! وقد يتصورون باني انا التي امنعك من الزيارة والتفقد فارجوك ان تنزل عند رغبتي هذه.. وهنا اجابني محمود قائلا... انت تقولين... ما ذنب ابني فاجيبك الان باني سألته يوما ان ياتي معي الى البيت فاجابني بانه لا يستطيع رؤية سيدة تشغل مركز امه، ولا يستطيع ان يناديها «بمام»، ان هذا لا يكون ابدا... ارجوك يا -والدي- دعنا عند جدتي.. كما ارجو منك المساواة بيننا وبين زوجتك! وخففت من سورة غضبه وقلت له، انه مايزال صغيرا لا يفقه ما يقول فاجابني كلا -يامديحة- ان الذي يقول مثل هذا الكلام لا اعتبره طفلا وانك لم ترينه حتى الان، ولو رأيته لاتفقت معي في هذا الرأي. انه[1] رجل وله من الذكاء والشجاعة الادبية ما يكفيه لمعرفة مغزى الكلام الذي يقول... فارجو عدم الالحاح عليّ بعد الان، وليقلّ الاخرون كما يشاؤون! فانا احق الناس بتربية اولادي! ولانهم اغتصبوا هذا الحق مني فلا حق لهم علي بعد الان!

---

(١) - لكأن الشهيد -محمود سلمان- وهو يصف ابنه طارق ولما يتجاوز عمره اثنا عشر سنة كان صادق الرؤية والتنبؤ بذكاء -طارق- وبشجاعته الادبية وامتلاكه الكثير من صفات والده - رحمه الله- فلقد عرفت -طارقا- وزاملته بديوان وزارة المعارف فوجدت فيه الموظف المخلص المقدر لواجباته والمواطن الابي الحر الذي يتقطع حماسة ونشاطا واباءا. والثائر المجبول على كره الانكليز. وكل الطبقات الحاكمة التي سارت بركابهم... وكان الذي عرفني «بطارق» لاول مرة هو وزيري الزعيم الركن محي الدين عبد الحميد الذي سعى بنقل خدماته من وزارة الصحة الى وزارة المعارف وفي دائرة الاستعلامات والاعلام التي كنت بدوري مديراً لها...



مديحة تجمع شمل العائلة.

... ومع حدة – محمود – وعصبيته، فأني اندفعت في عمل المستحيل وجمع شمل العائلة. فقد جاءني بعد عشرة ايام من مرض – طارق – الشقيق الاكبر لزوجي، وسألني عن اخيه، وقلت بأنه سيعود الى الدار، فظل في انتظاره... كما حدثني عن اشتداد المرض على – طارق – وانه بين اليأس والرجاء في هذه الليلة! ولابد أن اذكر هنا تلك المنزلة المرموقة التي احظى بها لدى شقيقيْ زوجي، اذ كنت بمنزلة (الشقيقة) عندهما.

وهما الوحيدان اللذان يزورانا من عائلة زوجي!. وقد رجا الشقيق شقيقه – اي زوجي – بأن يزور والده ويسأل عن صحة – طارق – كيلا يفسر الحال بأن – مديحة – هي التي لاترغب في هذه الزيارة. وفي هذا انقاذ، لموقف – مديحة – بالذات! وقد لبى – محمود – الرجاء وزار بيت والده وسأل عن صحة ولده – طارق – فكان شديد التأثر على ولده الذي تدهورت صحته، وحار في أمره الاطباء.. وحدث بعد هذا أن قررت زيارة طارق – وهو على سرير المرض – لاول مرة رغم ان زوجي كان لايشجعني على ذلك بسبب تخوفه من عدم استقبالي بالشكل اللائق من لدن اهله!. فكان العكس هو الصحيح، اذ رحّب بي الجميع و (عميد) البيت والد محمود بالرغم من المفاجأة التي ماكانوا يتصورونها.

ودخلت على – طارق – وقدمت له الهدايا، ودعوت له بالشفاء العاجل.. اما – عدنان – هو الاخر فكان يذاكر دروسه، فجاء وحياني وحيّي والده وسمعته يسأل جدته.. اهذه زوجة ابي؟؟ وهكذا كان هذا اللقاء العائلي رائعا ودافعا بالفرح والسرور الى قلب زوجي بالذات وقلوب اهل البيت فكنت ناجحة تماما في ردم الصدع بين زوجي ووالده واطفاله، وبدات صفحة عائلية جديدة، حيث اقتنع الجد ووافق على انتقال الاولاد الى دارنا، وجعلت أسهر على صحة – طارق – من حيث الغذاء والدواء... وبعد اسبوع من انتقال الاولاد لدارنا، قاموا بزيارة جدهم – كما وعدوه – فسألهم جدهم سوالا محرجا عما اذا كانوا مرتاحين اكثر هنا في داره، ام في دار ابيهم! فما كان من – طارق – الا ان اجابه بشجاعته المعهودة... اتريدني – ياجدّو – ان اكذب عليك ام اقول الصدق؟ الواقع، اننا مرتاحان عند ابينا اكثر فسر جده من الجواب سرورا بالغا وأطمأن وابتسم، واعترف بأنه كان مخطئا في التقدير من قبل!

وصادف ان اقبل عيد الاضحى المبارك، فذهبنا جميعا لزيارة الجدّ، وباركنا له بالعيد السعيد، فشمل كل واحد منا بعطفه وحنوه، ومن ذلك اليوم بدأ يمنحنا هداياه وعطاياه بمناسبة وبغير مناسبة وجعل يعاملني كاحدى بناته، فأصبحت قريرة العين، لاني ارضيت ضميري في

رعاية الاطفال والحدب عليهم، والترفيه عنهم، والتعويض عما افتقدوه من حنان الام الحانية الحادبة رحمها الله.

كما حققت ماكان يصبو اليه زوجي، من جمع لشمل العائلة بالطريقة التي ذكرتها.

امران كانا يقلقاني ! !

الحق اني كنت سعيدة! ولايعكر صفو هنائي سوى امرين... الاول مرض - طارق - الذي تجاوز المرحلة الصعبة، وكان بطريقه الى الشفاء.
- والحمد لله - والثاني هو الامر الذي يتعلق بزوجي نفسه.. فلقد كان زوجي مايزال مرافقا للملك غازي وكان القانون العسكري حينذاك يقضي بأنه لايمكن بقاء اي ضابط في دائرته او موقعه مدة اكثر من ثلث مدة الترفيع.. اي على الضباط ان يخدموا في الوحدات الفعلية ثلثي مدة الترفيع التي كانت اربع سنوات، والا فان الترفيع - اي ترقية - الضابط تؤخر... وفي تلك الحين كان زوجي قد قضى مدة السنة والتحق مرافقا للملك غازي، وان عليه الان ان ينتقل الى احدى الكتائب لانه كان من ضباط الخيالة... ولكن تعلق الملك غازي به جعله يطلب الى السيد رئيس اركان الجيش ان يبحث له عن اية طريقة كانت على ان يبقى محمود في مركزه هذا بحيث لايحرم من الترقية! ومن الطبيعي ان ارادة الملك هي فوق القانون.

ولهذا فقد نقل - محمود - اسميا وشكليا الى (امرية الحرس الملكي على ان يقوم بوظيفة مرافق الملك الخاص في نفس الوقت! من هنا بدا الحسد يدب في نفوس بعض زملائه من المرافقين الاخرين، فصاروا يتربصون به الدوائر، ويضمرون له السؤ، ولاغرو في ذلك فان الاثرة والحسد من طبائع هذا الانسان العجيب! ويشهد الله واقولها للتأريخ بانه لم يكن راغبا في البقاء ولا بالاحتيال على القانون.

كما اني شخصيا كنت لاارغب في هذا! ولكن ما العمل والملك غازي كان يحب محموداً كثيرا، ولا يطيق فراقه لحظة واحدة... وعلاقة محمود بالملك لم تكن علاقة جديدة طارئة بل تعود الى الايام التي كان فيها (غازي) اميرا وتلميذا في المدرسة الحربية ببغداد. وكان زوجي معاونا لامر المدرسة واستاذا للفروسية فيها، ومن ثم تعين مرافقا للملك فكانت رفقة طويلة قضياها معا، فضلا عن ان الملك - غازي - كان يحب الفروسية. ويجيدها. ويلعب - البولو -. وكان زوجي الفارس الاول في العراق في هذا الميدان... وقد نظمت اوقات للعب البولو في القصر الملكي، وكنت احضر بعض تلك المسابقات التي كانت تقام هناك برغبة من الملكة التي تحضرها حيث كنا نشرف على الالعاب من فوق شرفات القصر...

وفي ضوء هذه الرفقة بين الملك وزوجي، كان الملك لايوافق على نقل زوجي من القصر كلما انتهت المدة القانونية وبقي الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٩٣٦ كما سيأتي الحديث عن ذلك..

بداية لاتبشر بخير!!

في احد الايام جاء احد مرافقي الملك الى زوجي وقال له بأنه يرغب في التحدث معه على انفراد وهكذا كان. حيث صارحه بأنه لايحتمل بقاءه في القصر بعد هذه المدة الطويلة، وانه يغار منه لانه صاحب الحظوة لدى جلالة الملك! وقال لزوجي وباسلوب جدي وحدّي، اما انت يامحمود في القصر واما انا! فاجابه - محمود - وبكل هدوء وادب، ان الامر لايتعلق بي مطلقا كما تدري. وقد طلبت شخصيا من رئيس اركان الجيش مرارا ان يتمسك بالقانون ويقنع الملك بنقلي. ولكنه كان يجيبني بان الملك فوق القانون! وقد اثر هذا الوضع الذي أعيشه على حركتي ونشاطي، لأني قد دربت نفسي على الحركة والنشاط، ولم اخلق للجلوس في القصور! هكذا هي حياة الجندي الذي يريد خدمة وطنه واهله خدمات فعلية! اذن فامر نقلي - كما ترى - ليس في يدي، فاجابه «غريمه» المرافق الاخر! اذن فانا الذي يجب ان اخرج من القصر! اجابه - محمود - بانه لايعني ذلك مطلقا وانما مجرد وضع الصورة الواضحة امامه.. فاجابه ثانية، بانه إذا مشت الامور خلافا لرغبته وخرج من القصر، فانه سيشغب عليه ويكون ضده دائما... ولكن محمودا انهى هذا الموقف - غير الودي - وهذه المشادة الكلامية بضحكة وقال لصاحبه! - بأن الامر يعود الى ضميرك!! فاجابه... اتريد مني ضميرا وانصافا بعد ان اغادر القصر على الرغم مني!! فقال - محمود - له بأنه حر في تصرفه وله الحق في عمل مايشاء! فرد عليه (غريمه) بانه لايكتفي بمثل هذه الاقوال، وانه يرجوه في ان يكلم الملك - بالذات - عنه لكي يتقربه كما قرب محمود، وان يكون ذا حظوة كذلك لدى الملك... وقد وعده زوجي خيراً.

الخلاف بين القصر والوزارة!

...حدثت بعض الامور بعد هذا، وظهرت بعض التيارات الخفية والسافرة بين القصر الملكي والوزارة القائمة، يومذاك، الامر الذي تسبب في إمتعاض الملك غازي. ونفوره من «كل تصرف حكومي تجاه القصر. وبالنظر لوطنية فخامة رئيس الوزراء السيد ياسين الهاشمي وهو اقوى رئيس وزراء عرفه تأريخ العراق فانه كان يقوم ببعض الامور والتدابير، واصدار بعض

التشريعات من باب الحرص على سمعة القصر الملكي وصاحب العرش. وقد استغل (البعض) تلك التوترات بين القصر والوزارة، لاضعاف الحكم واسقاطه. وراح البعض الاخر يتكتّل في الخفاء لاسقاط ياسين الهاشمي ووزارته! حتى لقد تردد على الافواه ان - الجنرال - بكر صدقي العسكري في الجيش العراقي كان على رأس المتآمرين في الخفاء!

وفي تلك الايام - بالذات - تسلم زوجي رسالة سرية من دون توقيع يشير فيها مرسلها الى وجود مؤامرة سرية! وبعد تفكير عميق لم ير - زوجي - بدا من اطلاع رئيس اركان الجيش - وهو طه الهاشمي - على الرسالة بالرغم من كونها غير موقعة! فكان جواب - طه لزوجي - بعد ان اطلع على مضمون الرسالة بأنها رسالة مدسوسة كتبها بعض الموتورين. وانه لايصدقها مطلقا، وانه ينظر الى - بكر صدقي - نظر الاخ الى اخيه! ولو ان مرسل الرسالة اتهم بالتامر شخصاً اخر - غير بكر صدقي - لصدق ذلك! وهنا رجاه - محمود - بأن لايهمل ذلك وان يتحرى عن مصدر «الاخبارية» لأن ذلك ادعى الى الامان والطمأنينة:-

وتعاقبت الايام بسرعة وعاد (نوري باشا) من انكلترا وكان يومها وزير الخارجية في وزارة ياسين الهاشمي فقابل جلالة الملك غازي... وبعد انصرافه -اي نوري باشا- من حضرة الملك استدعي -زوجي- وتحدث معه وقال له لقد نسيت ان اقول بعض الملاحظات الاخرى امام الملك فارجو ان تذكرها لصاحب الجلالة في الوقت المناسب!! كل هذا شيء اعتيادي وطبيعي، اذا ما نظر إليه بعين الواجب والمسؤولية الوطنية والتعاون بين المسؤولين الكبار لمصلحة الوطن.. ولكن عين الحاسد الحاقد لا ترى كذلك، وكما يرى الناس الاسوياء.. لقد كانت هذه العين (الحاسدة الحاقدة) ترقب المذاكرة التي جرت بين (نوري باشا) وزوجي محمود! انها عين ذلك «المرافق» الثاني «غريم» محمود الذي سبق ان نوهت عنه دون ذكر اسمه! فلقد هرع هذا وتنفيسا عن حقده لزوجي، وقابل رئيس اركان الجيش ولفق تهمة ضد زوجي! وهي انه شاهده يتحدث مع (نوري باشا) بعض الوقت عن طريق إقناع الملك بإقالة وزارة ياسين الهاشمي شقيق رئيس اركان الجيش وتكليف نوري السعيد بتشكيل وزارة جديدة. وقد نجح هذا «المرافق» باقناع رئيس الاركان بذلك وهو المتأني المتروي الذي لا يقتنع بسهولة!!

وما هي الا بضعة ايام لا تزيد على اصابع اليد الواحدة حتى ارسل رئيس اركان الجيش في طلب زوجي بحجة المذاكرة في بعض الشؤون العسكرية ومن ثم قال له انت -يامحمود- تعلم قبل غيرك ما يثيره بقاؤك بوظيفة مرافق كل هذه المدة الطويلة من التقولات التي لا ارتضيها لك عدا ما في ذلك من مخالفة للقوانين العسكرية... الخ وبناءً على ذلك فاني ارى بان من الاوفق لك ان تترك هذا المنصب وتكتفي بامرية الحرس الملكي التي نقلت اليها اسميا.. فرد عليه محمود قائلا... انت تعلم -يا باشا- اني راغب في هذا قبل الان، وطالما رجوتك في تحقيق رغبتي هذه

وضرورة الالتزام بالقانون العسكري... ولكن جوابك لي في كل مرة هو ان هذه هي رغبة الملك ولا بد من بقائك، وان الملك فوق القانون فما عدا مما بدا!؟ وما السر في هذه التغير المفاجيء؟ وفي هذه الظروف التي يجري فيها تغيير او تبديل بعض الحاشية الملكية وما يثار من اقاويل واشاعات حول هذا التغيير!؟ فاجاب رئيس الأركان... ثق -يا محمود- بان لا سبب جوهري في هذا سوى مصلحتك انت بالذات، وان مصلحتك -كما تدري- تهمني كثيرا.. ولقد نسيت ان اقول قبل الان بان (طه باشا الهاشمي) رئيس اركان الجيش كان يحبّ «محمودا» حبا شديدا وكان يفخر به في المجالس الخاصة والعامة وكان يقول دائما وفي كل مناسبة بان لو وجد في الجيش العراقي اربعة من امثال -محمود سلمان- اذن لكان للجيش العراقي شأن اخر... ثم استطرد - طه باشا- مع - محمود- في الحديث بقوله... «ارجو ان تعلم بان سمعتك ارفع من الاشاعات والأراجيف، وان رصيدك عال لدى الجميع لانك رجل معروف ومجرب! واقترح عليك ان تطلب انت من صاحب الجلالة الملك بان يوافق على بقائك في الحرس الملكي فقط، وتقنعه كذلك بانك ستكون دوما قريبا منه ورهن اشارته في كل لحظة، وليس هنالك من فرق او فارق بين الحرس الملكي والبلاط الملكي! اقترح عليك ذلك لاني اعلم كما تعلم بان الملك متمسك بك كثيرا ولا احد غيرك يتمكن من نقلك، فاترك لك الخيار في هذا! فاما ان توافق على اقتراحي هذا، واما ان لا توافق... ولكن في حالة عدم موافقتك فانت وحدك الذي تتحمل مسؤولية عمّا قد يحدث!!

بيد اني على ثقة تامة بانك ستقبل اقتراحي لما اعهده فيك من حسن تصرف ودراية فارجو ان تعدني بذلك... فما كان من زوجي بعد هذا الحوار التاريخي مع رئيس اركان الجيش الا ان وعده بتلبية الاقتراح ما دامت التلبية ترضيه وما دام يعتقد بان بقاءه في منصبه يسبب له متاعب او مخالفة قانونية وهو اول من يحافظ على سيادة القانون وسيرجو الملك بنقل نفسه كما يشاء..

موقف مع الملك!!

وانصرف -محمود- من لدن رئيس اركان الجيش وبعد الظهر كان في نزهة مع الملك، وكانا منفردين فاغتنم -محمود- الفرصة لمفاتحة الملك بنقله الى امرية الحرس الملكي لانه بالذات يرغب في هذا النقل... فما كان من الملك الا ان نظر اليه نظرة استغراب وتعجب، وابتسم وقال بالحرف الواحد (... حتى انت -يا محمود-. يريدون ابعادك عني وانت الشخص الوحيد الذي اعتمد عليه في القصر.. فلقد اتخذتك ابا واخا وصديقا واصبحت انت الشخص الوحيد الذي افهمه ويفهمني.. حتى انت يا محمود..؟) قالها متأثرا ومتأملا... فرد عليه -محمود- ثق ياسيدي باني

راغب في هذا النقل وليس لاحد دخل او اثر في هذا... فجلالتكم لا يخفى عليه اني بقيت في خدمتكم مدة اطول مما يجب والقانون ورغباتكم هي المطاعة من قبل الجميع... واني كعسكري يجب ان لا اخالف حكم القانون... فاني اتوسل لدى جلالتكم لتحقيق رغبتي هذه وابقائي آمراً للحرس الملكي بامركم وخدمتكم اولا واخرا، وقد نذرت نفسي في سبيل الوطن... ولكن الملك رد عليه بهذه الكلمات... قل ما تشاء ولكن الواقع هو انك مجبر على طلب النقل هذا، ولست مختاراً... وحيث اني لا اريد ان اكون السبب في جلب المتاعب لك فسأقبل بما تقول ولو طلب هذا غيرك لرفضت رفضا قاطعا فرفع –محمود– الشكر لجلالته على لطفه وعطفه واستأذنه بان يذهب غدا الى رئيس اركان الجيش لإصدار الامر اللازم للنقل فاذن له، وهكذا كان. فتسلم امرية الحرس دون غيرها! وما هي الا ان يكتشف جلالة الملك –وهو خبير بما وراء الكواليس– بالمكيدة التي كان قد دبرها ذلك المرافق – غريم– محمود. فما انتهت المدة القانونية لمرافقته حتى استدعاه ووبخه على تلك الفعلة النكراء!!

ولم يمض على تسلم –محمود– امرية الحرس الملكي عشرة ايام حتى سمعت انه سينقل الى الكتيبة الثانية... ولدى عودة –محمود– في الظهيرة الى البيت اخبرته بما سمعت فاجابني بانه لم يسمع شيئا من هذا القبيل حتى اللحظة وانما ذلك مجرد اشاعات! وما هي الا خمسة ايام فقط حتى تكون الاشاعة حقيقة ويبلغ –زوجي– بامر نقله الى الكتيبة– الثانية– في بغداد وهي دائمة في بغداد... وحدث في تلك الايام ان سافر (طه الهاشمي) الى تركيا لقضاء اجازته الصيفية هنالك وتوكل عنه آمر اللواء (حسين فوزي باشا) الذي يمت بصلة قرابة الى –غريم– زوجي الذي سبقت الاشارة اليه فاغتنم هذا فرصتي القرابة وسفر الهاشمي، فراح يوغر صدر قريبه ضد زوجي، ويختلق التهم اشباعا لحاجة في نفس يعقوب!

المغيرة تنبثق عيناه الى النور

نحن الان في شهر آب من عام ١٩٣٦ وهو الشهر الذي وضعت فيه ولدي البكر (المغيرة) وكم كان سرورنا به كبيرا الى جانب سرورنا بمغادرة المستشفى ونجاتي من الموت باعجوبة وبالرعاية الالهية والحمد لله الذي شمل –زوجي– بلطفه وعطفه ولم يفجعه بموتي. لان مثل هذه الفجيعة –لو حدثت– لكانت فجيعة الفجائع لاني كنت له كل شيء في الحياة. ولهذا فقد جعل زوجي يوزع الصدقات لوجه الله تعالى بغير حساب وكان يركز نظراته في وجه (المغيرة) طفله الجديد، فيبتسم لاشراقته وطهارته ويداعبه بالضم واللثم والقبلات ويحمد الله ويسبحه كثيرا كثيرا! وكان يسألني دائما... الست مسرورة –يامديحة– بعد ان اصبحت اما لطفل جميل مثل هذا؟ الا

بدلت رأيك بعد هذا الطفل السعيد بانجاب -الاولاد- الذين قد يجرون على امهاتهم وابائهم العذاب والشقاء؟ الا ما زلت تؤمنين بفلسفة (ابي العلاء المعري) الشاعر الذي يقول (هذا جناه ابي عليّ وما جنيت على احد)!؟ وبدأت في تربيته التربية الصالحة وفي ضوء الطرق والاساليب الحديثة مسترشدة باطباء الاطفال...



مديحة بعد الولادة

المغيرة

تحرك زوجي الى الجنوب

بعد خروجي من المستشفى ببضعة ايام عاد زوجي مسرورا هاشا باشا الى الدار وجلس الى جانبي وقال لي... اريد ان استشيرك في مسألة... قلت وما هي؟ قال... في هذا اليوم استدعاني وكيل رئيس اركان الجيش واخبرني بان قوات - البوليس- بحاجة ملحة الى امركتيبة لمدة خمسة عشر يوما فقط للاضطلاع بمسؤولية تدريبها ولكن محل اقامتها في (الخضر) احدى القرى الجنوبية في العراق. وقد طلبوا من الجيش استعارة ضابط من الاكفاء لتلك المهمة التدريبية وقد نسب وكيل الاركان انتدابي لهذه المهمة بعد اخذ رأيي وقد فاتحني فقبلت وقلت له... متى كان العسكري يسأل عما اذا يوافق على المهمة الجديدة ام لا يوافق؟ ان العسكري يؤمر فيطيع ما دامت المصلحة العامة قبل كل شيء وفوق كل اعتبار... وقد طلبت من شقيقتي التي كانت معي في البيت ان تهيء حقائبه ومستلزمات السفر بالسرعة الممكنة بعد ساعات! ولكن شقيقتي عقبت على ذلك بان المسألة -كما سمعت- ليست انتدابا لتدريب البوليس وانما للمشاركة في اخماد ثورة العشائر التي اندلعت نيرانها هنالك! لم يرد زوجي على هذا التعقيب، بل همس في اذنها في غفلة مني بأن ما تقوله صحيح، وانه لم يصرح لي بذلك لاني ما زلت ضعيفة بسبب الولادة، وفي دور النقاهة... وهكذا كان السفر الى (الخضر)، وكان على اتصال بالهاتف معي يوميا لتفقد صحتي... وما هي الا عشرة ايام بلياليها حتى يفاجأني بالعودة السريعة ودخوله البيت حيث حكى قصة السفر والانتداب وثورة العشائر بالتفصيل...

ثورة الشيخ شعلان

الشيخ شعلان احد رؤساء القبائل المعروفة بالقوة والبأس وقد ثار ضد حكومة (ياسين الهاشمي) حينذاك... وقد اعتصم ثواره بالاراضي الوعرة التي يصعب سير الجيش فيها... وقد اضطرت الحكومة على إرسال قوة من البوليس مسلحة بالبنادق والرشاشات فأندفعت وسط الادغال والمستنقعات والأهوار، حيث كانت الاخطار محيطة بهم من كل جانب. وكانت الطبيعة القاسية لا ترحم!!! وفي تلك اللحظات الرهيبة التي تنذر بالويل والثبور ادركت بان ارسالي الى هذه المنطقة القتالية الخطرة كان مؤامرة بين (السيد احمد...) المرافق المذكور وغريم زوجي وبين وكيل رئيس اركان الجيش لابقائي في وسط النار والقتال والتخلص مني بأي ثمن ووسيلة! ولكن الله سلم وتوجت قيادتي للبوليس بالانتصار، اذ اخمدت ثورة الشيخ شعلان وعادت الامور الى مجاريها وعدت الى داري سالما منتصرا وباء المتآمران على سلامتي وحياتي بالخزي والعار والفشل!

مع جعفر باشا العسكري
وزير الدفاع

وقد صادف ان كان الجيش العراقي يغادر بغداد الى معسكر جلولاء (قرغان) لاجراء المناورات السنوية المعتادة في كل عام في اليوم والساعة التى وصل فيها -زوجي- الى الدار عائدا من جنوب العراق بعد ان خمدت ثورة الشيخ شعلان وخضع الثوار لكل مطالب الحكومة... وحيث ان زوجي كان آمراً لكتيبة خيالة من واجباتها الاشتراك في المناورات العسكرية، فقد طلب اليه السفر فورا للمشاركة في تلك المناورات دون ان يستجم في الدار اكثر من ساعة! وعندما سمع جعفر العسكري بهذا استدعاه الى مقر وزارة الدفاع وبحضور وكيل رئيس الاركان، فقال هل من الانصاف ان ترسلوا -محمودا- بهذه السرعة الى المناورات العسكرية ولما يمض على عودته من مهمته في الجنوب الا بضع ساعات؟! والتفت الى -محمود- وقال في امكانك التمتع باجازة الآن لمدة شهر كامل! وخاصة بعد ان اديت مهمتك في الجنوب على الوجه الاكمل ولكن -محمودا- اكتفى بعشرة ايام فقط حيث إلتحق بكتيبته بعد انقضاء الاجازة.

المفاجأة الكبرى وانقلاب بكر صدقي!

وفي أحد الأيام ذهبت لزيارة -طارق- في المستشفى في الكرادة ولدى عودتي رأيت شوارع بغداد تقريباً خالية من المارة وأكثر المخازن والمحلات التجارية مقفلة وكان الهدوء والصمت مخيمين على أجواء بغداد بشكل يلفت النظر وكأنَّ حدثاً هاماً قد حدث في تلك الساعة!! وهنا طلبت من سائق سيارتي أن يتساءل من بعض المارة عن الامر! فما كان من احدهم إلا أن قال لسائق سيارتي لا تسل عما حدث وما عليك الا أن تسرع بسيارتك لايصال السيدة الى البيت وهناك تساءل عما حدث عسى أن تجد الجواب وهكذا كان. وفي البيت عرفت بان بعض الطيارات العراقية كانت قد حلقت فوق مبنى مجلس الوزراء فألقت بضع قنابل على دواوين الدولة ورمت بالمناشير التي تحرض ضد الحكومة القائمة وان على ياسين الهاشمي رئيس الوزراء أن يستقيل حالاً والا فان الجيش الباسل سيحتل بغداد! وقد انصاع الهاشمي لحكم العقل والمنطق والحكمة فقدم استقالته لجلالة الملك حقنا للدماء وتجنيباً للوطن من المخاطر المحتملة.. والمعروف -على ماأتذكر- ان رشيد عالي الكيلاني كان وزيراً للداخلية ونوري سعيد وزيراً للخارجية وجعفر العسكري وزيراً للدفاع ولا اتذكر بقية الوزراء!!

وقد بلغ التأثر والهياج والحماسة مبلغاً في نفس جعفر العسكري وغلبته سورة الغضب من تصرف بكر صدقي وبطانته في الجيش وصمم الذهاب لملاقاة الجيش الثائر الزاحف الى بغداد والوقوف على حقيقة الحركة التي جرت من دون علمه وهو -كما يعرف الجميع- الأب الروحي للجيش عدا كونه مشاركاً رئيساً في تأسيسه وتطويره... صمم على ملاقاة الجيش في تلك الساعة التأريخية الفاصلة بالرغم من نصيحة بعض زملائه بعدم القيام بمثل هذه المجازفة! ولكن ثقة -جعفر- بنفسه وبالجيش كانت أكبر من المجازفة والتخوف! فتقدم إلى حيث بكر صدقي والجيش ولا يدري بما يخبئوه له المستقبل القريب. وقبل وصوله إستقبلته شرذمة من الضباط البكريين- اي جماعة بكر فحرفته عن الطريق العام وخادعته وفاجأته باطلاق الرصاص من مسدساتهم حيث أردي قتيلاً في الحال!

ويقال أنه دفن في حفرة هناك بعد أن فاضت روحه الى بارئها بل تكاد هذه الرواية تكون صحيحة وإني أوكدها لأني سمعتها من فم أحد السفاحين السفاكين الذين شاركوا في المؤامرة والجريمة! وهكذا كانت هذه الجريمة -أي مقتل جعفر العسكري- هي المسمار الأول في نعش بكر صدقي وحكومته الانقلابية! وعندما سرى نبأ مقتل العسكري في كل العراق ووقع على رؤوس المخلصين وقع الصاعقة التجأ زملاؤه الوزراء الاخرون ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وغيرهما من الشخصيات الوطنية الى سوريا. كما تم تسفير نوري السعيد صهر -جعفر العسكري- الى خارج العراق بعد أن هدد -الانكليز- بكر صدقي وحذروه من مغبة قتل نوري باشا اذا ما حاول ذلك! وقد زحف الجيش الى بغداد وسرعان ما تشكلت الوزارة الانقلابية برئاسة «حكمة سليمان». أما بكر صدقي فقد نصب نفسه رئيساً لأركان حرب الجيش العراقي وأصبح أشبه مايكون بالدكتاتور المستبد الذي يملي ارادته على الجميع باعتباره السيد المطاع!! فهدد من هدد ونفى من نفى وقتل من قتل! ومن هؤلاء الاستاذ (الشهيد) ضياء يونس الذي إغتالته عصابة بكر في باب داره وهو من هو أدباً ونبلاً وفضلاً وورعاً وتقوى قد لا يجود بها الزمن. كما ان موت الوزير الشاب (محمد زكي محمود) أحيط بجو ضبابي وبشيء من الاجرام حيث كان مريضاً ومنعه الطبيب المختص من الخروج ولكنه أبى الا أن يشارك في تشييع جنازة صديقه المرحوم ضياء يونس فاشتد عليه المرض وقيل في حينه أن بكراً كان هدد الطبيب المعالج للمرحوم محمد زكي بأنه يريد التخلص منه وأن الاشاعات تطايرت بعد موته بأنه زرق بحقنة مسمومة! وكذلك طورد المرحوم مولود مخلص وهدد بالقتل من قبل زمرة -بكر صدقي- وبأمر منه الأمر الذي اضطر معه الى الهرب خارج العراق! بعد أن داهمته «الزمرة» بنيران المسدسات وأصابت سيارته بالرصاص فترجل وأشهر مسدسه وأطلق عليهم النار فولوا هاربين. كما أن المرحوم -جميل المدفعي- كان هدفاً استهدفته الزمرة فغادر البلاد.

ماذا عن طه الهاشمي وهو في تركيا ! !، ؟

كنت ذكرت سابقاً أن العميد طه الهاشمي كان في تركيا لقضاء اجازته هنالك وأن أنباء «الانقلاب» المشؤوم قد وصلته وهو هنالك أما كيف ومتى تلقى ذلك النبأ الصاعق وهو رئيس أركان الجيش في العراق!؟ ذلك ماحدثني عنه (الدكتور توفيق رشدي أراس) شخصياً بسبب العلاقة التي تربطنا معه -كما سيأتي الحديث بعد هذا...

قال (الدكتور آراس) لي.. في تلك المرحلة عقدت معاهدة (سعد آباد) بين العراق وتركيا وايران وكان -يومها- رئيساً للوفد التركي الذي قدم الى العراق ومن ثم سافر الى ايران لعقد وتوقيع تلك المعاهدة. وعند وجود (آراس) في بغداد زارنا في دارنا لأنه يَمَتُّ بصلة القرابة الى والدتي وابن عمتها وكان خطيبها! وقد تأثر كثيراً عندما رأى والدتي مشلولة!

وفي أثناء الحديث -ونحن في دارنا- عن انقلاب -بكر صدقي- قال بأنه تلقى برقية من وزارة الخارجية العراقية بعد حدوث الانقلاب مباشرة ترجو فيها تبليغ «العميد طه الهاشمي» بأن لا يعود الى العراق في الوقت الحاضر بسبب الانقلاب والظروف الجديدة التي يعيشها العراق. ومن غرائب الصدف -والكلام للدكتور آراس- أن تصل تلك البرقية في الليلة التي كان فيها طه الهاشمي مدعواً في داري على العشاء مع أصدقاء آخرين. وقد تلوت البرقية مرتين مع نفسي وسكت ولم أنبس بنت شفة. وبعد إختتام الدعوة وانصراف المدعوين ومن ضمنهم طه الهاشمي كلمته -تلفونياً- بعد وصوله البيت ورجوت مقابلته في الحال لأمر هام ومستعجل وانني آت اليه اللحظة ولدى وصولي سلمته البرقية التي وردتني من العراق مظهراً اسفي وتأثري مما حصل ومنتظراً رد الفعل من لدن طه الهاشمي! ولشد ما كانت دهشتي وعجبي عندما شاهدته يتلو البرقية بكل هدوء ورباطة جاش وبعدها طواها وأعادها الى شاكرا اياي على اطلاعي عليها في وقت متأخر ولم يعلق عليها ولو بحرف واحد!! وتستطرد -صاحبة المذكرات- بعد تسجيل هذه اللقطة التأريخية الفريدة من نوعها في تأريخ الرجولة والرجال.. فتقول .. لقد تشعب الحديث في دارنا مع الدكتور رشدي آراس، وجرنا الى شخصية الجنرال بكر صدقي والحكم الجديد في العراق وحاول الوقوف على رأي زوجي في ذلك وأذكر ان «آراس» قال أن بكراً داهيةً وان ليس من السهولة صرعه والقضاء على النظام الدكتاتوري الجديد!! ولكن زوجي التزم بالصمت البليغ ولم يعلق على رأيه سوى بابتسامته المعهودة في مثل هذه المواقف..

وما افة الاخبار الا رواتها ! !

تقول العرب.. وما افة الاخبار الا رواتها. ، ولكن صاحبة المذكرات تقول (وما افة الاخبار الا نساؤها ! !) ولنعد الى مسار المذكرات والذكريات، ولنستمع الى «مديحة» تقول.. عندما عاد الجيش الى بغداد اضطر زوجي على السفر الى الموصل حيث نقلت كتيبته اليها، وكان عليهم ان يسافروا على ظهور الخيل، ولمدة عشرة ايام... وقبيل وصوله الى الموصل وهو في الطريق سمعت بأنه قد نقل الى كركوك احدى مدن العراق الكبيرة في الشمال، وقلعة (الذهب الاسود) البترول! وفي اللحظة التي وصل فيها الموصل الحدباء وجد ان امره نقله الى كركوك قد سبقه وكان اسرع منه! فاتصل بي – تلفونيا – ليطمئن على صحة طفلي – المغيرة – وصحتنا العائلية جميعا! وقد بادرته بالتهنئة بمناسبة نقله الى كركوك فرد علي ضاحكا ومستغربا ومتسائلا.. كيف وصل الخبر الى سمعك بهذه السرعة بل قبل ان ابلغ به شخصيا!؟ اجبته لاغرابة في الامر لأني أستقي بعض الاخبار من زوجات المسؤولين الكبار، من ذوي الحل والعقد، فهن اسرع من غيرهم، بل اسرع من التلفون والبريد، وهن الرواة الذين يعول عليهم سواء صدقت ام لم تصدق! وهنا ابتسم محمود وقال.. ان هذا النقل الى كركوك هو في صالحي، حيث المسافة بين كركوك وبغداد اقصر وفي امكاني قضاء يومي الخميس والجمعة عندكم في بغداد وفي كل اسبوع.

وفي اول يوم جمعة بعد وصوله الى كركوك قدم الى بغداد، ليعود السبت مساء، وكنا على اتصال بالتلفون يوميا تقريبا... وذات يوم انباني بأنه قادم للاشتراك في سباق (البولو)، وانه سيمكث في بغداد عدة ايام. وقدم بغداد بعدها بثلاثة ايام، حيث بدا تدريب الفرق للاشتراك في السباق. وقد حل يوم السباق، وانا في انتظار عودته مساء لاضيف كاسا فضية جديدة الى المجموعة التي كان يمتلكها من فوزه بسباقات مختلفة سابقة! لقد طال انتظاري لعودته، وتأخر موعد قدومه المعروف عندي في كل مرة، وبدات الوساوس تدب في قلبي! ! وبعد ان اعطيت «المغيرة» حمامه اليومي، رن جرس التلفون، فأجابت اختي على النداء.

فدخلت على غرفتي، وانبأتني بأن احد الضباط تكلم معها وسألها عما اذا كنت قد ذهبت الى المستشفى لرؤية محمود حيث كبا من على ظهر جواده (ولكل جواد كبوة) وحاول الركوب كرة اخرى وعاود اللعب بمهارة فائقة حيث ربح المسابقة، وظهرت النتيجة ولهذا فقد نقل لنا هذا الخبر المؤسف لأنه في حالة اغماء... والمفرح لأنه ربح المسابقة ومن اجل ان تزوروه في المستشفى قبيل حلول الليل.. وهنا طار صوابي وطلبت من اختي ان ترعى «المغيرة» الى حين مجيئي فأحضرت – تاكسي – لأن سيارتي كانت عند – محمود – ... وبينما انا اهم بالخروج دخل علينا

(ابي داود) فسألني ما الخبر!؟ والى اين ذاهبة !؟ فأخبرته بما هنالك، ورافقني بالذهاب الى المستشفى فوراً... ولدى الدخول عليه وجدته ممدداً بملابسه تحيط به اكياس من الماء الساخن، وتغطيه عدة - بطانيات - ومع ذلك فقد كان يرتجف من شدة البرد!! وقد طمأنني على صحته، وقال لي لاداعي للقلق ولم الاحظ اي جرح واي نزف في جسده.. وسألت - الطبيب الخفر - عن صحته ووضعه فطمأنني، على كل شيء، وابدلت ملابسه بالاستعانة مع الممرّضة التي كانت في خدمته ورعايته، وقررت البقاء في تلك الليلة في المستشفى تحسبا لكل طارئ! ولكنه اصر على ضرورة عودتي الى البيت لان صحته بخير ولاحاجة تستدعي البقاء!! وحاول (ابي داود) ان يبقى هو الاخر معه، ولكنه اصر على عدم بقاء احد معه! وهكذا عدنا ادراجنا الى البيت، فكانت ليلة مقلقة لم يغمض فيها جفني البتة، وقبيل الشروق عُدت الى المستشفى مبكرة، فوجدت معه صديقنا القديم - الدكتور امين رويحة - فسلمت عليه، وداعبني متسائلا... اهكذا تسمحين له بلعب البولو هذه اللعبة الخطرة!؟ فأجبته بانك تعلم - يادكتور - بانها لعبته المفضلة ولااريد حرمانه منها بالرغم من خطورتها. ولقد منعته من لعبها سنة كاملة، رجاني. بعدها بالسماح بممارسة هوايته ولعبته، المفضلة، لان ركوب الخيل ولعب البولو اصبحا جزءاً من حياته وان صحته العامة قد تتأثر اذا ماتركها!!... فما كان مني غير النزول عند رغبته هذه بالرغم من عدم رغبتي، وعلى كره مني! لاني لا اعارض كليا فيما يدخل السرور والمتعة الى قلبه... والان قل لي - يادكتور - ماذا عن صحته، وعما اذا كانت خطرة ام لا؟ فاجابني بلا .... وطمأنني، وقال، الله سلم - والحمد لله - ومن المهم جدا وبعد خروجه من المستشفى ان يبقى في الفراش مدة طويلة، ويمنع من ركوب الخيل مدة لاتقل عن ستة اشهر! وبعد انصراف الدكتور - رويحة - التفت الي معاتبا، وقال اهكذا - يامديحة - تتركيني راقدا وحدي في المستشفى ولاتسألين عني؟ وكم مضى على وجودي هنا وانت غائبة عني!! فأجبته بأن لم يمض عليك غير ليلة واحدة ، فقال اسألت عني فيها؟ فضحكت وقلت انظر! الى ملابسك الجديدة، التي البستك اياها بعد ان خلعت عنك بدلة (البولو. وتذكر كيف اصررت بالامس على عدم بقائي و (ابي داود) معك في المستشفى، فانصرفنا الى الدار بسبب اصرارك ورفضك بقاءنا بشدة! وكنت الاحظ نظراته وكانها نظرات تائه او حالم، وان بعض كلماته يكاد ينساها حالا.. ولعل هذه الظاهرة من تأثير ارتجاج المخ طبعا!! وبعد مضي اسبوعين اخذت صحته في التحسن تدريجيا ورجونا الدكتور المختص بالسماح بالخروج من المستشفى ووعدته بأن اكون - انا المسؤولة - بتطبيق الوصايا الصحية في البيت.. وقد فحصه الدكتور للمرة الاخيرة قبل مغادرته المستشفى فسر لتحسّن صحته بسرعة وامر بخروجه بعد ان تعهدت ثانية بالعناية، وحجب الزوار والاصدقاء عنه، حتى الشفاء العاجل.

عدنا مساء الى البيت بعد ان امر مدير المستشفى باجازة مرضية له لمدة ثلاثة أشهر فسررت لهذه الاجازة الطويلة حيث كان يرفض التمتع باجازته السنوية المعتادة! وكلما الححت عليه بضرورة اخذ الاجازة، كان يقول بأن البلاد بحاجة ملحة الى جهودي وجهود الاخرين في الوقت الحاضر! وسيأتي اليوم الذي اتمتع فيه بالاجازة عندما يتقدم بي السن، وأصبح غير صالح للعمل والخدمة، وعندما يحل محلنا بعض الشباب الوطني الصالح لتحمل الامانة والمسؤولية. اما الان فاؤكد لك بان الوطن العظيم بحاجة الى خدماتي وامثالي..

وهكذا مكث -محمود- على السرير في البيت خمسة أيام كان فيها أشبه مايكون بالطفل مطيعاً لا يعصي لي أمراً لأنه واثق من حبي له وحرصي على صحته.. وفي اليوم السادس وقبل أن أنهض من نومي نهض هو من نومه وحلق ذقنه وارتدى ملابسه وأتى ليوقظني من النوم وعندما رأيته وهو متهيئ للخروج سألته الى أين؟ فأجاب يكفيني هذا الوقت الطويل الذي عشته عاطلاً كسلان! وصحتي الآن جيدة ولا أشعر بأي عرض كان قط! فهيا انهضي لتناول الفطور ونتحدث سوية فما كان مني الا أن بهت وتوسلت اليه! أن لا يغادر الدار وأن يرجع عن عناده الذي أعرفه! فقال بأن الأمر ليس عناداً مطلقاً وكل ما هنالك أن صحته جيدة وأنه ضيع وقتاً أكثر مما يجب وهو في دور الاستجمام والنقاهة وان البلاد أحوج ماتكون الى خدماته في هذه المرحلة بالذات! قلت.. ولكن الطبيب قد منحك ثلاثة أشهر كاجازة مرضية ولما تنتهِ بعد... فقال.. شكراً لك لقد أغنيتني عن الذهاب الى الطبيب لاني بحاجة ماسة الى هذه الاجازة! ولشد ماكانت دهشتي كبيرة من هذا الجواب الذي ينطوي على التناقض!! اذ أنه كان ينفر من أخذ الاجازات كما عهدته في الماضي وهو اليوم كان سيذهب الى الطبيب لأخذ الاجازة لو لم تكن قد منحت له من قبل! وهو اليوم يقول أمامي بأن البلاد بحاجة ماسة الى خدماته وأنه يجب أن يغادر البيت في الوقت الذي يريد فيه اجازة! رباه!! ماهذا التناقض في كلام -محمود- وما السر في ذلك؟ رباه انني في حيرة من أمري!! وقد لاحظ أني في حيرة وقلق! فقال لا تقلقي ولا تحتاري ولا تشغلي بالك بما يجول في بالك! فستفهمين كل شيئ في حينه!!

محمود وصلاح الدين الصباغ

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة محمود وفي يومياته وصار يخرج يومياً ودائماً ويستقبل بعض أصدقائه باستمرار وكنت بدوري أحس بأن هنالك في الأفق العسكري أو السياسي شيئاً ما بيد أني لم أسمح لنفسي بالسؤال أو الاستفسار عن هذا الشيئ الجديد في حياة -محمود- ولكن كنت أربط هذا الشيئ المجهول بالنسبة لتصوراتي بالوضع العام الذي تعيشه البلاد يومذاك

وبكثرة الاجتماعات التي تعقد بين زوجي -محمود- وصديق عمره -صلاح الدين الصباغ- الذي كان جاراً لنا وأي جار! ولكني لاحظت في تلك الأثناء أن -الصباغ- بعد عودته الى دار من الدوام الرسمي كان لا يغادر الدار، بل كان يقفل باب حديقته بيده!! وعندما سألت -محموداً- عن السبب صارحني بأن رسالة تهديد كانت وصلت إليه من -مجهول- وأن مايفعله - صلاح- انما هو من قبيل اتخاذ الحيطة والحذر فقد يقع مالا يحمد عقباه! وأكثر من هذا فعندما تنام عيون «الرقباء» والجواسيس عن دار صلاح كان يأتي خلسة الى دارنا فيعقد اجتماعاته مع -محمود- بعد منتصف الليل أحياناً أو ان -محموداً- يذهب بدوره الى دار صلاح! وحدث ذات يوم أني كنت أساعد زوجي على تبديل ملابسه فوقعت عيني على غلاف رساله كان يود اخفاءها عني....

رسالة تهديد الى محمود!!

...ولكنها جلبت انتباهي بذلك الغلاف ذاته إذ شاهدت صورة جمجمة ترتكز على عظمتين متقاطعتين وكأنها صورة رمزية تنذر بالخطر والموت! وبلغ بي حب الفضول والاستطلاع حداً فلم أتمالك نفسي من توجيه السؤال الى محمود لانبائي عن بعض التفصيلات وعن سر الغلاف والصورة والرسالة!! ولكن -محموداً- أبى وقال انها ليست بالاهمية التي تتصورينها! وبعد الالحاح ناولني الرسالة اياها واذا بها رسالة تهديد لمحمود بأن لا يجتمع بعد الآن بفلان أو فلان وأن «محرر» الرسالة يراقبه عن كثب وأناء الليل وأطراف النهار وأنه في حالة عدم التقيد بهذا التهديد والانذار فان حياته ستكون ثمناً لكل هذا (وقد أعذر من أنذر!!) فسألت -محموداً- ماهذا؟ أجاب هذا هو الذي ترين وتقرأين... ولكني اعتبر هذا من باب الهذيان والثرثرة وان الجبناء وحدهم هم الذين تخيفهم أمثال هذه الرسائل الترهات! والآن -يامديحة- اسمعي مني... ان الخطة التي تسير الحكومة في ضوئها وهي خطة مرسومة طبعاً من لدن الانكليز لا يرتضيها أبناء الشعب كافة وان التذمر يصل اليوم أقصاه وأعلاه وقد يصل حد الاجرام! وياليت الاجرام يقف عند حد سفك الدماء الطاهرة! مارأيك في الاجرام الاخلاقي والسلوكي الذي يتحدث عنه الناس في كل مكان؟ مارأيك في هذه الشرذمة القليلة الباغية التي لا تبالي من أن يتحكم الأجانب بأبناء البلاد الاصليين والأصيلين وأن يعبثوا بمقدرات ومقدسات الأمة كلها!؟ فيا للأسف والمرارة!! فلقد بلغنا هذا الحد الذليل الذي نخشى فيه الانتماء الى عروبتنا وقوميتنا لقد أصبحنا نخشى من ترديد كلمة «عرب» وأننا «عرب»!! اسمعي -يامديحة- لقد آن الأوان أن نضع حداً لهذا -الدكتاتور- الطاغية ولو أدى ذلك الى التطوح بحياتنا... انني -يامديحة- أنطلق

في كلامي هذا معك من أنك حريصة مثلي على مصلحة هذا الوطن العزيز والا ماكنت صارحتك بمثل هذا... وكلما سمعت بعدم رضاك عن سيري بهذا الدرب الشائك درب النضال والتضحية في سبيل البلاد فانه لحبك لي وتقديرك لشخصيتي! ولكن ما قيمة الحب اذا لم يتألق نوراً وتضحية من أجل الوصول الى الهدف الوطني الأكبر؟ وماقيمة الشخصية العسكرية او المدنية اذا لم تسجل البطولات في سجل الدفاع المقدس عن البلاد؟. أصارحك بكل هذا -يامديحة- باعتبارك -عربية- تناهت اليك أصالة العروبة فهل ستشدين أزري بعد الان أم ستقفين دونى وأنا سائر في هذا الطريق الذي اخترته ولن يعيقني اي عائق عن سلوكه في سبيل البلد ونحن الطليعة العسكرية والوطنية القومية انني -يامديحة- وفي هذه الدقيقه التاريخية من المكاشفة والمصارحة لألمح في عينيك الرضا والتقبل وأقرأ فيهما هذا السطر الخالد (سر على بركة الله...) فهل أخطأت في تقديري وقراءتي؟ اجبته كلا والف كلا..لقد سددت أمامي الطريق وليس هنالك من اختيار ثانٍ عدا اندفاعك في طريق النضال... فكن ورفاقك على حذر لأن طريق النضال... مكتظ بالاشواك والعواسج، ولأن عدوكم داهية ومتمرس ومجرم لا يرحم.. وليحفظكم الله فسيروا على بركة الله والله يرعاكم...

ويشهد الله أني لم أره في يوم من الأيام متخوفاً أو متردداً وان الرسالة التهديدية التي أشرت اليها لم تزده الا مضاء وعزماً واندفاعاً وياما كان يخرج وحده في أواخر الليل لحضور الاجتماعات السرية دون أن يأخذ سائقه ودون أن يتمنطق بمسدسه فكان يجيبني لا تخافي عليَ واني لواثق بأني لن أقتل بالرصاص وان الايمان بالله وحده هو خير من حمل المسدس...

بكر صدقي يرسل في طلب زوجي!!

وفي احد الايام ارسل بكر صدقي في طلب زوجي، ولدي عودته منه سالته عن السر في هذا الطلب المستعجل!! فما كان منه الا ان ضحك وقال، ان بكر يريد ان نتعاون معه، وقال ان غايته وخطته تجاه البلاد ليستا كما نتصور ونعتقد.. فأجبته عسى ان يكون الامر كذلك!؟ ولكننا لم نر لحد اللحظة دليلا ولو واحدا على صدق الغاية وحسن النوايا!! ولم ندر، في حالة التعاون معك، بالاساس الذي يقوم عليه مثل هذا التعاون... وما عليك الا ان توضح خططك الحالية والمستقبلية، وتبعد عنك هذه الشرذمة التي تحيط بك، فأساءت الى سمعتك.. وهذه نقطة البداية لنتعاون معك ان كنت جقا وصدقا راغبا في هذا التعاون... فاجابني - بكر صدقي - بانه غير مستعد الان على الكشف عن خططه المرسومة، وكذلك الاستغناء عن اعوانه! فأجبته.. اذن

لابد من الانتظار الى حين انتهاء اجازتي المرضية، وانت تعلم باني قد سقطت من على ظهر جوادي واصبت بارتجاج في المخ، ولاغناء لي عن اجازة طويلة حتى شفائي التام.... وهنا ابتسم - بكر - ونظر الي نظرة صارمة يعرفها العسكريون قبل غيرهم وقال.. دعنا - يامحمود - عن هذا فنحن اصدقاء قبل كل شيء، فأجبته، بان ليس بيننا اي عداء والحمد لله!! واردف يقول.. وامل بعد شفائك التام ان شاء الله، ان تغير رأيك هذا!! بيد انه قال هذا بلهجة خاصة هي اقرب الى التهديد منها الى اي شيء اخر.. ولو رأيته - يامديحة - وانا ادخل عليه. وهو يسرع في وضع يده على المسدس الذي كان امامه، ويقول... اهلا بك - يامحمود - والحمد لله على سلامتك وشفائك، حيث كان منظره وهو يضع يده على مسدسه في لحظة لقائي به مضحكا جدا! وفعلا فقد ضحكت في سرّي وانا اعيش تلك اللقطة التأريخية!! فمن كان يصدق او يتخيل ان الرجل الذي ارتكب تلك الجرائم في تلك المرحلة الشاذة في التاريخ، يخاف او يكاد يخاف من رجل اعزل من السلاح، يدخل عليه بناء على طلبه، وفي الوقت الذي يكون فيه ذلك الرجل الدكتاتور محاطا بعصابته، التي يتدلى من نطاق كل واحد منهم مسدس ضخم يكاد يكون بحجم المدفع الرشاش!؟ فأين يكون هذا من شخصية (طه الهاشمي)!؟.. اه.. والف اه! لو كان - طه - قد سمع تحذيري الذي كررته عليه اكثر من مرة... تحذيري له من - بكر صدقي -. ولو كان استمع في حينه لما كنا قد وصلنا الى هذه الحالة المؤسفة التي نعيشها في هذا اليوم العصيب... وهنا بادرته بالقول - والكلام لصاحبة المذكرات - الا تزال تحن على - طه الهاشمي - وقد لقيت مالقيت من التألم والمعاناة على يديه وفي عهده، وهو في مركزه المرموق!؟ فاجابني ان المصالح الشخصية - يامديحة - شيء والمصلحة الوطنية شيء اخر... حبذا لو تعذبت اكثر من ذلك العذاب في عهده ولم تصل البلاد الى هذا الدرك الاسفل!!

مؤامرات لاغتيال بكر صدقي

وخلال هذه الفترة من هذا الحكم غير الطبيعي دبرت عدة مؤمرات لاغتيال بكر، ولكنها فشلت كلها، لان بكرا كان محتاطا كثيرا، وكان يتحاشى حضور الحفلات العامة الا نادرا... ومن تلك المؤامرات التي سمعت بها، هي ان - بكرا - كان مدعوا لحضور حفلة عقد قران امير اللواء اسماعيل نامق علي شقيقة المرحوم الوزير الشاب (محمد زكي محمود) فاراد اخوه ان يثأر له بوضع قنبلة تحت المائدة التي خصصت لبكر، ولكنه لم يحضر الدعوة في اخر لحظة.

محمود يؤلف حزباً

اما زوجي ومنذ ايام الطفولة فقد كان مولعا بالتنظيم والتكتل مع زملائه واقرانه... وقد اجتمعوا - ذات يوم - وهم يعيشون هموم هذا الوطن، فقاموا بتأليف حزب مؤلف من محمود سلمان وصلاح الدين الصباغ وكامل شبيب وفهمي سعيد واقسموا فيما بينهم بان يوقفوا حياتهم لخدمة العراق والعروبة، غير مبالين بما قد يصيبهم من الاخطار في هذا السبيل... وقد كان هؤلاء الاربعة متواجدين في بغداد حينذاك ماعدا فهمي سعيد حيث كان مقره في الموصل الحدباء.. كما تمت الاستعانة ببعض الضباط الاشاوس المتحمسين، ووضعوا ثقتهم فيهم لانهم من ابناء العشائر الاصلاء.. فكان احدهم واسمه - عبد الوهاب الشيخ - الهمزة الوصل ورسولهم الى فهمي سعيد. وقد اتخذ القرار المبدئي بتخليص البلاد من تلك الدكتاتورية الاثيمة الغاشمة التي لم تشهد لها البلاد مثيلا من قبل.

ووضعت خطة العمل للحاضر والمستقبل.. وجل هؤلاء الضباط كانوا محبوبين من لدن جنودهم والعاملين معهم الامر الذي سهل مهمتهم فيما بعد ..

في حفلة المفوضية التركية

وفي اليوم الذي زارنا فيه الدكتور توفيق رشدي اراس وزير خارجية تركيا - وكما نوهت بهذه الزيارة سابقا - كنا مدعوين تلك الليلة في المفوضية التركية حيث اقيمت فيها حفلة استقبال كبرى للوفد التركي... وبعد انصراف الدكتور اراس بساعتين طلب زوجي - على التلفون - وسأله عما اذا كان سيحضر الى الحفلة، فأجابه بالايجاب وانه سيحضر وحده دون زوجته! ! لانها تشعر بتعب هذه الليلة! ! وقد ابديت استغرابي لمحمود وقلت له بأني لا اشعر بأي تعب. وسأكون معك في الحفلة، فما عدا مما بدا! ! قلت هذا لمحمود وهو مايزال مع اراس على التلفون.. وفي ختام المكالمة الهاتفية سمعت محمودا يقول.. حسنا.. ليكن ماتريد، وستحضر المدام معي... وهنا سألت محمودا عن السبب الذي يحمله على الذهاب وحده. وقد اتفقنا على الذهاب معا! فاجاب باني كنت مقررا الذهاب وحدي، ولكن بسبب الحاح الدكتور اراس فسنحضر معا؟ وسرعان ماغير مجرى الحديث، وكأن هاجسا طارئا لم يحدث! وكأني لم أسمع تلك المكالمة التلفونية ... حضرنا الحفلة وكان الوفد التركي مدعوا على العشاء على مائدة الملك غازي وعند عودتهم الى المفوضية التركية تقدم الدكتور اراس مني واخذ يدي وقال لي، تفضلي فلنسلم على المدعوين ومن ثم نجلس للتحدث... وهكذا تنقلنا من مائدة لاخرى للسلام والتعرف على

المدعوين، وكان جل الحاضرين لايعرفون صلة القرابة التي تربطني باراس! وقد علق «احدهم» وخاطب الدكتور قائلا (يامعالي الدكتور ان الصلة بيننا الان اوثق مما كنت اظن واعرف لان «ميثاقا» و «قرابة» في وقت واحد شيء جميل!!» وعدنا الى المائدة التي كانت مخصصة للوفد التركي، فوجدنا (حكمة سليمان) جالسا يتحدث مع (معالي جلال بايار) احد اعضاء الوفد بالاضافة الى حضور بعض الوزراء ايضا.

فاشتركنا في الحديث والتقطت لنا بعض الصور التذكارية... وكان محمود يبدو مرحا في الحفلة، ولكنه كان مقتصدا» في الكلام والحديث.

وقد عزوت – يومها، ذلك الى كونه كان متأثرا وممتعضا من رؤية – حكمة سليمان – في الحفلة.. وهو الرجل الذي قبل مسؤولية الحكم، في الانقلاب الذي دبره – بكر صدقي –.

وهكذا انتهت الحفلة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فعدنا الى البيت، وانا افكر بصمت – محمود – وتقطيبه اللذين ازعجاني شخصياً، وانعكسا حتى على وضعي النفسي في تلك الليلة!! ولم اكف عن توجيه السؤال اليه قائلة ما الذي حدث؟ وما سبب هذا التقطيب والصمت البالغ؟ الحضوري معك؟؟ ام لرؤيتك – حكمت سليمان؟ ام لشيء اخر؟ فاجاب، لاشيء مطلقا مما تتصورين! واذا كان لابد من افشاء سري لك، فاقول:.. كان المفروض ان نتخلص من (الشيطان) الليلة، ولكنه افلت من شبكة الصيادين ايضا هذه المرة... وهذا هو السبب في تقطيبي ووجومي! قلت.. اوضعتم الخطة لقتله؟ قال.. كلا.. فلسنا مجرمين لقد وضعنا الخطة للقبض عليه من قبل جنودنا بعد ان تحيط دار المفوضية بقوة عسكرية من كل جانب، فاذا ماسلم نفسه دون قيد او شرط، عند ذاك فقط نتخذ القرار الاجماعي بمصيره.. وهذا هو «السبب في عدم رغبتي باصطحابك الى الحفلة معي في بادئ الامر... ولكن عدم حضوره الحفلة افشل الخطة المرسومة، واسقط في ايدينا.. قلت لاتحزن ولاتكتئب، فالله معكم، وانتم على حق، والفرص كثيرة.. ولكن لاتنسَ حكمة سابقة قلتها لك! وهي «لاتنسَ يامحمود ولاينسى رفاقك، حقيقة واحدة.. هي انكم امام عدو داهية.. فتذكروا هذا دائما، والغلبة لكم باذ الله في اخر المطاف.»...

تدهور الاحوال العامة

ومرت الايام سراعا، واصبحت الحالة العامة التي تعيشها البلاد لاتطاق.. فالرعب، والخوف مستوليان على الجميع، وكان الناس لايأمنون على حاضرهم ومستقبلهم وكان التذمر العام يغشى السكان... ومما زاد في الطين بلة، هو ان الناعي نعي (ياسين باشا الهاشمي) في ديار

الشام، حيث انه كان قد غادر العراق اثر الانقلاب.. المشؤوم الى سوريا! فارتفع فيه ضغط الدم، وعانى ماعاني من الاحداث الضاغطة الاليمة التي ادت الى مرضه، وانتقاله الى الرفيق الاعلى... فكانت صدمة العراق والعروبة به كبيرة.. وكانت فرحة - بكر صدقي - وزمرته بهذا النعي المؤسف اكبر! فللهاشمي ياسين هذا خدمات جليلة سيذكرها التأريخ الى الابد في حقل الوطنية والقومية، وتجاه فلسطين بالذات!!

ماذا عن الاجازة المرضية لمحمود!؟

كل هذه الاحداث والصور قد مرت، ومحمود بتمتع باجازته المرضية التي اوشكت على الانتهاء، وكان يفكر بتمديدها.. وفي تلك الاثناء طلبت - ايران - ان يرسل العراق فرقة اليها لاجراء سباق - البولو - على ارضها للفوز بكأس (الشاه رضا).. وبالفعل جرى الاستعداد التام لتشكيل فرقة قوية، وقد دعي * محمود - بطبيعة الحال لتهيئة فرقته التي كانت اقوى الفرق واشدها مراسا.... ومن دون مبالغة اقول لقد كان * محمود - الفارس الاول في العراق، حتى ان احدى المجلات الانكليزية كانت نشرت وصفا لسباق بولو كان محمود مشاركا فيه، وكانت فرقته هي الفائزة فقالت (..كيف لاتفوز هذه الفرقة وعلى رأسها محمود سلمان، الذي لاينكر احد مهارته وفراسته في هذه اللعبة.. وبخاصة فانه يمتاز بمهارته الفنية في ضربات اليسار). وضربات اليسار هذه من اصعب الضربات..» ولان - محمودا - كان مصابا سابقا بارتجاج المخ، وان «الستة اشهر» التي حددها الطبيب المختص لاستراحته لم تنته بعد كان عليه ان لايشارك في ذلك السباق في ايران.. ولكن زوجي لم يبال بذلك، فاعد فرقته وبدا بتدريبها، حيث كانت الفرق المشاركة خمسا.. وكان التدريب يجري في ساحة قصر الزهور للبولو، وهي الساحة التي يلعب فيها الملك غازي الاول، وقد ابدى جلالته رغبة بأن تجري التمرينات تحت اشرافه، ومن ثم بدا تسقيط الفرق، حتى رست النتيجة على فرقتين قويتين، احداهما للمشاركة في السباق، والاخرى هي الاحتياطية... وكان اخر سباق بين الفرقتين الباقيتين لاختيار الفرقة الواحدة التي تشارك فعليا في المباراة قد جرى؛ وقد شارك - محمود - فيه بطبيعة الحال، وكنت في انتظار النتيجة او البشرى من لدن - محمود - حيث بقيت في الدار اتسلى مع طفلي (المغيرة) ... وماهي الا ان افاجأ بوقوف احدى سيارات القصر الملكي لدي الباب، ويخرج منها - محمود - في حالة غير اعتيادية! فسألته ماالخبر؟ ولماذا لم تعد بسيارتك الخاصة، فلم يطق جوابا، وانما اقتادني من يدي الى داخل البيت، وهنا بان علي الوجوم والدهشة والتأثر، عندما لاحظت بقعا من الدم على بنطلونه الابيض، وهو لايستطيع الكلام!! فيا لهول مارأيت! لقد

كان فمه مصابا وشفتاه متدليتين متورمتين والدم ينزف منهما، ولم اتمالك نفسي حتى صرخت بسبب هذه المفاجأة الدامية واغمضت عيني،... ولكني عدت فتماسكت، وتناولت منه ورقة (وصفة) كان الطبيب قد كتبها له، توصي بضرورة القيام بعمل غرغرة دائمية. وهذا كل مايمكن عمله في تلك اللحظة... فانقطع النزيف بعد تكرار (الغرغرة) وعلمت عن طريق الكتابة -لانه مايزال لايستطيع الكلام- ان احد اللاعبين من الفرقة - المضادة - كان قد سدد اليه ضربة متعمدا وخلافا لقوانين اللعب المرعية فأصابت الضربة فمه، وتكسرت اسنانه الامامية وجزء من الفك الاسفل، وقد اجريت له الاسعافات الفورية الاخرى من قبل طبيب الاسنان المختص، حتى انقطع الدم، واخذ قسطا من الراحة والحمد لله... ولكن هذه الحالة الصحية المؤثرة لم تمنعه من الخروج الى النادي العسكري لارتباطه بموعد سابق مع بعض الاصدقاء! ورغم ممانعتي بذلك: فقد خرج لتوه الى النادي، ليستقبل الزائرين والمستفسرين عن ضربته وصحته، وهو خارج الدار، حتى ان بعض الاصدقاء كانوا لايصدقون خروجه، وانه في حالة خطرة، ولااسمح لهم بالزيارة! وان البعض الاخر هرع الى النادي العسكري للتأكد من ذلك!! بعد نصف ساعة عاد الى البيت، ولازم الفراش للراحة، وهو غير قادر على تناول الطعام بالمرة، وصرت اغذيه بالسوائل، وقضى اسبوعا واحدا على هذه الحال، وارتأى ضرورة تمديد اجازته المرضية... ولعل سائلا يسأل عما حل في السباق واختيار الفرقتين، الرئيسة والاحتياط... فلقد الغي السباق، بعد بداية النحس هذه والتي لاتبشر بالفأل والنصر...

العلاج على نفقة الملك غازي

وقد انعكس هذا الحادث المؤلم على نفسية الملك غازي الاول وامر طبيبه الخاص بان يقوم بمعالجته وتعويضه باسنان جديدة وجيدة مهما ارتفع سعرها، وفي السرعة اللازمة... وهكذا فقد ارسل الى انكلترا بصورة مستعجلة، فاجريت الفحوص الطبية، وركبت له الاسنان - المستعارة - التي لاتميز عن الاسنان الطبيعية من قبل اي انسان، ماكان يدري بالحادث!

وقد رجوته للمرة الاخيرة، ان لايمارس بعد الان هذه اللعبة الخطرة التي هزت كيان العائلة، فوعدني بانه لن يمارسها بعد الان، مالم اسمح له بذلك! فسر والده وبعض الاصدقاء وافراد العائلة بهذا الوعد....

محمد يعود من انكلترا

رنّ جرس التلفون، فاخذ به - محمود - واذا بالمتكلم (محمد) اخوه، ومن الرمادي، وكان عائدا من انكلترا بعد اكمال دراسته العليا في هندسة السيارات والمصفحات في احدى الجامعات البريطانية.. وقد هرع محمود - لاستقباله من - الرمادي - ولم اصحبه في الاستقبال لانشغالي - بالمغيرة - وقصدت بيت - والده - لنكون سوية في استقبال «محمد»... ولابد ان اذكر ان عودة - محمد - الى بغداد جاءت قبل الموعد الدراسي المضروب، وقبل ان يستكمل الدراسة، بل كانت (العودة) المفاجئة نكاية بمحمد، وبأخيه محمود، والسر في هذا هو عدم اطمئنان « بكر صدقي - منهما، وعدم ثقته بهما، حتى ان محمدا) بعد العودة. قد اعطي اجازة قسرية، مع انه كان ضابطا متميزا ومعروفا، وبرتبة ملازم اول في (الاليات)!! ولزيادة الايضاح اسجل هذه الصورة التي تنطوي على اعتداء صارخ من لدن زمرة بكر صدقي التي كانت تعيث فسادا في البلاد والعباد، وتعطى المثل الاسوأ للحاكم المستبد الظالم. ولتلك الشرذمة الضالة التي تحيط به، وتدفع به الى الهاوية ان عاجلا او اجلا...

محمد يؤدب عصابة بكر صدقي

في احدى الليالي حيث كان (محمد) مدعوا عند بعض اصدقائه لتناول العشاء في احد الفنادق، حيث كان هنالك -- بطريق الصدفة- بعض الافراد من شرذمة -بكر صدقي- فحاول - صعلوك منهم ان يتعرض لمحمد وينال منه دليلا على السطوة والسيطرة على الحكم والوضع العام! ولكن -محمدا- الشاب الممتلىء حيوية وحماسة وغيرة وطنية سأل «الصعلوك» ذاك عمّن كان يقصده بقارس الكلام فاجابه بان ليس هناك احد غيرك، هو المقصود..!! قالها بتحد واستهتار وبتشجيع من جماعته وكان احدهم معاون رئيس اركان الجيش وعندما شعر -محمد- ان المنطق والاخلاق لن يجديا نفعا مع هؤلاء الصعاليك، انهال عليهم بالضرب المبرح لتأديبهم! وقد صدر امر عسكري بعد هذا بالقاء القبض على -محمد-... من قبل الانضباط العسكري! ولكن -محمد- جابه الجندي الذي حاول توقيفه بأن يحترم النظام العسكري وانه لن يسمح له بتوقيفه مطلقا، وانه سيذهب غدا بنفسه الى التوقيف... ووجه كلامه للجندي «البكري» قائلا بان الطاعة من الواجبات الرئيسة للجندي وبصفتي ضابطا فاني امرك بالانسحاب فورا فاذهب

عن وجهي وغدا سأكون في الانضباط العسكري... وهكذا كان. ولكن الذي حدث بعد هذا، وفي الليل ان داهمته شلة من الانضباط العسكري في البيت لتوقيفه... فكان موقفه من هؤلاء كموقفه من ذلك الجندي، فانصرفوا وفي الصباح الباكر ذهب (ليسلم لا ليستسلم)!.

محمد وبكر صدقي وجها لوجه!!

... في اليوم التالي، جاءنا الخبر بان «محمدا» في الانضباط العسكري دون ان تعرف السبب... فخرج -محمود- مع والده ليتقصّى السبب فوقف على جلية الامر وتفاصيل الحادث أن «محمدا» بدوره رفض ان يجيب عن اي سؤال يوجه اليه من قبل المحققين في الانضباط العسكري. وانه يتحمل مسؤولية هذا الرفض مهما كانت العقوبة والنتيجة!! واصر على موقفه هذا رغم الالحاح عليه لمدة ثلاثة ايام!!

وفي اليوم الرابع استدعى (محمد) لمقابلة بكر صدقي فقصّ عليه القصة بكاملها التي جرت في الفندق وكيف تحرشوا به جماعته! فما كان من -بكر صدقي- الا ان استدعى -علي غالب- الذي كان قد اعتدى على -محمد- وامره بان يعتذر من (محمد) عن كل ما صدر منه اثناء الحادث... وبعد ان جرى الاعتذار وتصالحا رجاهما -بكر صدقي- بان ينسيا الحادث وكان شيئا لم يحدث، فخرج -محمد- من التوقيف العسكري الى البيت مسجلا نصرا جديدا على اولئك الطغاة الزبانية وانهالت عليه التهاني من جميع الاصدقاء والمواطنين الشرفاء.

محاولات لاغتيال بكر صدقي

... يومها دعت الحكومة التركية ممثلي الدول العسكريين لحضور استعراض عسكري فوجهت الدعوة الى -بكر صدقي- فاعد العدة وتأهب للسفر مع بعض اعوانه، فشاع الخبر عن سفره وتحدد الموعد المرسوم، وعرف كل شيء للرأي العام الا شيئا واحدا بقي سريا هو واسطة السفر هل بالقطار من بغداد الى الموصل، ومن هناك يستقل قطار (طوروس) الى (استنبول)؟ ام بالطائرة؟ وقد قررت استخبارات بكر صدقي ان يكون سفره بالطائرة الى الموصل، وان يكون الطيار الذي يقود الطائرة هو (محمد على جواد) امر القوة الجوية الملكية العراقية حينذاك، وكان في طليعة المخلصين لبكر صدقي ومن اقرب اعوانه...

وكان من المقرر ان تقام له حفلة عشاء في الموصل في نادي الضباط اما خصوم -بكر صدقي- فكانوا قد وضعوا في الخفاء خطة الاغتيال في تلك الحفلة ولكن القدر كان اسرع من

الحفلة والخطة المرسومة للاغتيال... فعند هبوط الطائرة التي تقل بكر صدقي في مطار الموصل، رغب بكر ان ياخذ قسطا من الاستراحة في المطار... وفي اللحظة التي كان فيها بكر ومحمد علي جواد يتناولان القهوة في حديقة المطار تقدم احد الجنود واطلق عليه النار من مسدس كان بيده فما كان من محمد علي جواد الاان هاجم الجندي محاولا اخذ مسدسه والقبض عليه وكان في المطار في حينه الضابط الشجاع –محمود هندي– وهو من ابناء العشائر وهو الذي دبر عملية الاغتيال واوعز الى الجندي المكلف بالتنفيذ!! وفي اثناء عملية التنفيذ كان –محمود هندي– يراقب من حجرته الخاصة في المطار عملية التنفيذ للتاكد من مصرع بكر صدقي نهائيا او للتدخل في الامر اذا ما فشل الجندي في المهمة التي اوكلت اليه! وعندما احتدم العراك بين محمد علي جواد والجندي سدد –محمود هندي– مسدسه فاطلق النار على بكر صدقي– ليتأكد من موته واطلق النار ثانية على محمد علي جواد فأرداه قتيلا...

كيف تلقينا نبأ اغتيال بكر صدقي

وفي المساء شاع همس في البلد بان بكر صدقي قد جرح في المطار وانه قد استدعى الدكتور محمد محفوظ من بغداد الى الموصل الى غير ما هنالك...

وبعد منتصف الليل سمعنا طرقا خفيفا على الباب ففتحناه لثلاثة من الضباط هم من اقارب –جعفر العسكري– الذي قتل في انقلاب بكر صدقي وقد نقل الضباط الثلاثة نبأ مصرع –بكر صدقي– في مطار الموصل، وكانوا يبدون الخوف وقد جاؤونا في هذا الوقت المتأخر من الليل لكي ياخذوا رأي –زوجي– في الهرب او الاختفاء... لانهم كانوا يعتقدون بان بكرا قد جرح ولم يمت!! وانه قد يتهم بعض اعوانهم بعملية الاغتيال فيلقي القبض عليهم! فما كان من زوجي الا ان هدأ روعهم ونصحهم بالخلود الى السكينة والعودة الى دورهم ومراقبة الاحداث السريعة.. فاخذوا بنصيحته وانصرفوا شاكرين..

وفي اللحظة طلب زوجي (صلاح الدين الصباغ) الذي كان جارا عزيزا لنا بان يأتي الينا فاخبره بما سمع وتبادلا المعلومات وقال صلاح لزوجي.. اعتقد ان استدعاء الدكتور –محمد محفوظ– من بغداد الى الموصل له علاقة بالمسألة... فاذا كان –بكر– قد مات فعلا وقضى فلم يستدعى الدكتور محفوظ؟ فهل اصيب ياترى بجراح فقط؟ وبينما رفيقا العمر صلاح ومحمود يقلبان الامر على كل الوجوه عاد الضباط الثلاثة ليأخذوا النصيحة ثانية لانهم غير مطمئنين وقد يكون هربهم افضل... ولكن زوجي هدأهم ثانية كما ان –صلاح– نهرهم وزجرهم بشدة! وقال.. اذهبوا الى بيوتكم واستكنوا فيها، وانتظروا احداث الغد وان غدا لناظره قريب!.

قضى الامر... وانتهى بكر صدقي

سهرنا تلك الليلة نترقب الاخبار. وفي الصباح الباكر كان -صلاح الدين الصباغ- امام دارنا منتصبا ببزته العسكرية والابتسامة مرتسمة على شفتيه فحيا زوجي تحية الصباح وقال له انهض يامحمود واسرع بارتداء ملابسك فلقد قضى الامر وانتهى كل شيء!! اسرع يامحمود للمشاركة في تشييع جنازة بكر صدقي! فاجابه محمود بانه ليس مشاركا في مثل هذا التشييع فاذهب انت وحدك. وهكذا رفع الكابوس الاعظم، وتنفس العراق الصعداء وتخلص مر حكم هذا الدكتاتور الطاغية..

وعلى اثر مقتل بكر صدقي حاول وكيله اسماعيل حقي الملقب (بالاغا) الظهور على المسرح وا! يستغل الموقف لصالحه، فاجتمع بكل من صلاح الدين ومحمود وعرض عليهما اية رتبة يريدانها واي منصب او موقع يطمحان اليه شريطة ان يقبلا به رئيسا لأركان الجيش ويوافقا على محاكمة (فهمي سعيد) لانه كان اتهم بمؤامرة اغتيال بكر صدقي هو ومحمود هندي واخرون... فاجاب زوجي وصلاح بلسان واحد بانهما ليسا طلاب رتب ومناصب وان الذي يهمهما في هذه اللحظة العصيبة في تاريخ العراق هو امر الوطن ومستقبل البلاد وانهما لايوافقان مطلقا على محاكمة فهمي سعيد ورفاقه باية حال! ولا يسمحان لأي كان بالاعتداء على حياته بل كل ما يريدانه هو البحث عن القاتل وتشخيصه واجراء محاكمته بموجب القوانين المرعية... علما بان (اسماعيل حقي الاغا) هذا كان قد اصدر امرا باعتقال فهمي سعيد ومحمود هندي وارسالهما تحت الحفظ الى بغداد تمهيدا لاجراء المحاكمة امام مجلس عسكري ولكن الأوضاع كانت قد تطورت في الموصل بسرعة وعلى مدار الساعة فاعلنت القوات المرابطة هناك العصيان وعدم تسليم فهمي سعيد ومحمود هندي، وعدم الارتباط بحكومة بغداد! وكان بطل الموقف -يومذاك- امير اللواء محمد امين العمري والى جانبه -قاسم مقصود- و (فهمي سعيد) حيث كانوا متضامنين في تحمّل المسؤولية مهما كانت النتائج مادام موقفهم هذا لصالح الوطن... اما في بغداد فقد استولى صلاح الدين الصباغ، ومحمود سلمان، وكامل شبيب على قيادة الجيش... وكان آمر معسكر الوشاش العقيد محمد سعيد التكريتي هو الاخر قد اعلن العصيان على الحكومة والوقوف مع صلاح الدين ومحمود وكامل شبيب... وتأييد (أمين العمري) في الموصل حتى تسقط الوزارة.

وبعد تطور الاحوال بهذه السرعة اضطر اسماعيل الاغا على تشكيل محكمة عسكرية تنقل بدورها الى الموصل للتحقيق في مقتل بكر صدقي فكان محمود احد اعضاء المحكمة فسافر مع بقية الاعضاء الى الموصل... وقبيل سفره طلب من اخيه (محمد) البقاء معنا لحين العودة من الموصل وان يكون على اتصال تام مع صلاح الدين ومعسكر الوشاش...

اجرى التحقيق هنالك في الموصل وادانت المحكمة العسكرية ذلك الجندي الذي صرع بكر صدقي وقررت الحكم بالاعدام عليه وعاد محمود الى بغداد يحكي لنا هذه التفاصيل... جرى كل هذا في الوقت الذي كانت الوزارة قائمة وهي وزارة -حكمة سليمان- التي سبق ان تألفت في يوم انقلاب بكر صدقي!

وعندما تأزمت الاوضاع السياسية والعسكرية وظل الجيش الباسل في بغداد والموصل وحدة واحدة لمصلحة الوطن معلنا عصيانه لم يجد حكمة سليمان بسبب هذه الظروف الضاغطة بدا من رفع استقالته الى الملك غازي الاول... وفكر الجيش الذي كان يمسك بزمامه زوجي وصلاح الدين وفهمي سعيد وكامل شبيب في الشخص الذي يتحمل مسؤولية الوزارة فاتفقوا على (جميل المدفعي) فابرقوا اليه بالحضور والعودة الى بغداد لانه كان خارج العراق يومذاك. وهكذا كان فقد حضر المدفعي وشكلت الوزارة الجديدة وعين حسين فوزي (امير اللواء) رئيسا لاركان الجيش وعاد الجيش الثائر الى ثكناته واستتّبت الامور العامة وعادت الطمأنينة والسكينة الى النفوس.

محمود امراً للحرس الملكي

وفي تلك الاثناء نقل زوجي من كركوك وعين امر للحرس الملكي وبدأ الوزراء المشردون في عهد بكر صدقي بالعودة الى العراق من امثال رشيد عالي الكيلاني ونوري السعيد وطه الهاشمي وغيرهم. اما (ياسين الهاشمي) رئيس الوزراء الذي طوح بوزارته – بكر صدقي– فكان قضى في الشام لانه لم يتحمل الصدمة او الضربة الانقلابية التي وجهت ضده.. وظل في دمشق الى ان اختاره الله الى جواره مخلفا وراءه تراثا ضخما من الوطنية والاخلاص والمواقف القومية التي قلما وقفها غيره من الرجال... اما سبب وفاته فقد كان ان اصيب بداء عضال استدعى على اثره شقيقه طه الهاشمي من تركيا، وبعد وصول شقيقه الى دمشق سكت ذلك القلب الكبير ووقف دماغ العراق الجبار الذي اطلق عليه «بسمارك» العرب! وشيع بالدموع والحسرات وكلمات الرثاء والتأبين.

طه الهاشمي...وزوجي

لدى عودة (طه الهاشمي) الى بغداد بعد القضاء على بكر صدقي ذهب الجميع لاستقباله والترحيب به.. فكان -الهاشمي- أكثر مايتساءل عن -زوجي- بالنظر للعلاقة القديمة التي

كانت تربط الاثنين -قبل الانقلاب- وعندما كان -الهاشمي- رئيساً لأركان الجيش... وقد زارنا ذات يوم صديقنا القديم الدكتور (امين رويحة) واخبرنا بأنه كان قد واجه الهاشمي الذي تذكر (زوجي) وامتدح شخصيته واخلاصه ووطنيته وصراحته، واقترح - اي رويحة - الذهاب الى الهاشمي - للسلام عليه فأجابه - محمود - بأنه يسره ذلك وسيذهب لزيارته في الوقت المناسب وعندما يخف زخم الزائرين والمرحبين به...

وهكذا وبعد مدة وجيزة اتفق الأصدقاء الأربعة زوجي وصلاح الدين وفهمي سعيد وكامل شبيب على زيارة (طه الهاشمي) وعندما دخلوا عليه تهلل وجهه ورحب بهم أبلغ ترحيب وعانق - محمودا - بحرارة وأبدى أسفه عما مضى من الأحداث المؤسفة التي عاشها العراق! ولكن «زوجي» رد عليه بأن ليس هنالك شيءٌ يؤسف عليه سوى فجيعة العراق والعروبة بالمغفور له أخيك الكبير الهاشمي ياسين ورجاه ثانيةً أن لا يفكر بما مضى حيث أنه لم يحمل في قلبه أيّ شيءٍ من التأثر ببعض صور الماضي وأنه في حينه كان واثقاً جد الثقة بأن اليوم الذي سيتغير رأيه فيه آتٍ أن عاجلاً أو آجلاً ! فكان لهذه الكلمات أثرها ووقعها الطيب في نفس (طه الهاشمي) الذي لم يكتف باظهار أسفه على بعض مواقف الماضي وانما قصد في اليوم التالي -محموداً- وزاره في مقر وظيفته وكرر أسفه... ولكن -محموداً- كرر أمامه بأن قلبه لا يحمل غير الحب والتقدير وأنه مندفع بكل اخلاصٍ وتفانٍ في خدمة وطنه العزيز.

بعد هذا!!

استقرت الاوضاع نسبياً في العراق كما كانت قبل الانقلاب العسكري وتحمل كل مسؤولياته وواجباته من أجل تصويب الأحوال العامة واصلاح الكثير من تركات الانقلاب وتصفيتها.. وقد نقل زوجي من آمرية الحرس الملكي الى آمرية مدرسة الخيالة فكنت بهذا النقل سعيدة ومسرورة جداً وصرت مرتاحة البال من ناحية زوجي في هذا الموقع الجديد الذي لا يطاله خطر أو تهديد كما كان يتهدده وهو في ذلك الموقع الحساس!!

محمود رب بيت ورجل مجتمع

لقد أنساني حديث الحرب والسياسة والانقلاب والانقلاب المضاد أن أقول شيئاً عن محمود كرب بيت ورجل مجتمع فقد كان اجتماعياً من الطراز الاول يفاخر به كل أصدقائه ويعتبرونه موضع ثقتهم واعتمادهم وكان عائلياً من نوع خاص يعتقد بأن البيت المنظم هو المفتاح لمجتمع منظم فكان يقضي بعض الوقت وكلما سمحت بذلك واجباته الرسمية والوطنية في الدار يتجاذب أطراف الحديث مع كل فردٍ في العائلة ويهيئ مناهج الزيارة للاصدقاء والتفسح في بعض

المتنزهات والقيام ببعض الجولات القصيرة في الهواء الطلق ... وكانت زياراته لوالده كثيرة لأن والده كان يزورنا كثيراً أيضاً.. وحدث ذات مرة أن زارنا في البيت وكلف -محموداً- بقضاء حاجة ما... فقلت -لمحمود- بعد خروج والده ألم تلاحظ شيئاً ما على وجه ابيك فقال لا فما الذي لاحظته أنت !؟ قلت لا أدري بالتأكيد وانما شعرت بأن صورته أو سحنته توحي لي بأنه لن يعيش طويلاً !! فاضطرب -محمود- ورد عليَّ بأن صحته جيدة فمن أين جاءت اليك هذه الوساوس والأفكار يا -مديحة-!! والله لولا أني واثق بحبك وتقديري لوالدي لشككت في رؤياك هذه وقلت أنك تريدين موته! فأجبته بأنك تعلم -يامحمود- أن موت والدك ليس في صالح العائلة وليس في صالحي بالذات! وانما هذا مجرد شعور وتصور عندما رأيته اليوم فأدعو الله بدوري أن أكون مخطئة في ذلك الشعور والتصور!! وأقول الحق وللتأريخ بأني أكن لذلك الرجل المهيب حباً كحب والدي تماماً... وبعد مضي عشرة أيام شاءت العناية الربانية الا أن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن! وأن يحقق ظني وتصوري بكل اسف ومرارة وان يعود محمود الى الدار ليخبرني بان والده يشعر بتوعك بسيط وأنه الأن ذاهب إليه لإحضار الطبيب وبعد الفحوص البسيطة ظهر ان والده مصاب بالتهاب في الرئة ويجب أن يخلد الى الراحة والسكينة وفي اليوم التالي زرته فوجدته جالساً على الكرسي وقال لي بابتسامته المعهودة هلا أنشغل بالك عليَّ انهم يقولون بأني مريض ولكني لا أشعر بأي مرض! فطمأنته وقالت زوجته ولكنه لا يخلد الى الراحة بل أنه دائب الحركة في البيت.. وبعد أن حضر بعض الدكاترة لعمل (كونسلت) عليه ظهر أن الالتهاب الرئوي شديد وأنه في حالة خطرة وصرت أزوره في كل يوم.

وفي احدى الزيارات الأخيرة رأيت جماعة من الرجال ظننتهم من زواره وعواده ولكن عرفت بأنهم كاتب عدلّ وشهود ومختار المحلة (شيخ الحارة) استقدمتهم زوجته ليكتب وصيته لأنها كانت تقول له طوال الليلة الماضية عليك أن تكتب وصيتك لئلا يتهمني أولادك بثروتك! وقد وافق على ذلك بعد الحاح شديد.. وقد كانت هذه زوجته الثانية التي خلفت ثلاث بنات أما زوجي وأخوه فقد كانوا من الزوجة الأولى.. وبعد كتابة الوصية خصها وبناتها بما يملك من نقود وخص (محمداً) أخا زوجي الصغير بما يكفي صداق عروس فيما اذا أراد الزواج فقط!!... والواقع لقد كان المشهد الذي أعيشه في أثناء كتابة الوصية مشهداً مؤثراً ومؤلماً اذ بدا لي طمع هذه الزوجة بشكل مجسم وعرفت الأنانية والأثرة والطمع التي لا تليق بالنفوس الكبيرة.. وبعد عودتي الى البيت قصصت على زوجي كل شيء فقال. كان عليها ان تدعه يرتاح فليس فينا من يحاسبها على هذا الحطام الزائل!! وكذلك أخبرته بأن والده قد اختاره دون أولاده ليكون وصياً على تركته فامتعض ودعا الله أن يشفى والده لكي يمزق بيده هذه الوصية.. قاتل الله البشر ماأطمعهم وما أضعفهم أمام المال!! ذهبنا مساء أنا وزوجي فوجدنا حالته الصحية قد ساءت

وأنها لا تبشر بخير.. وقبيل الانصراف في الساعة الحادية عشرة ناداني -والد محمود- وهو على سرير الموت بأن اقترب منه ففعلت وهمس في أذني !لقد وعدتني أن تعملي ماأطلبه منك فوعدته وقال لقد رتبت الامور على أحسن مايرام وعليك التنفيذ.. هل فهمت؟ فأجبته.. نعم فكن مطمئناً وان شاء الله سننهي كل شي وأحقق رغبتك بسلامتك. فحدق في وجهي وقال ..انك وعدت فأجبته سأكون عند وعدي وتمنيت له الشفاء. وبعد العودة الى البيت سألني -محمود-بم وعدت والدي؟ قلت ألا تعلم بأن زواج أختك الصغيرة يشغل باله بسبب تعنت (ابي داود) فقد طلب والدك مني بأن أقنعك بالاقدام على تزويجها من شقيق زوج اختك الثانية. وهذا كل ماطلبه ورجاه مني. فسكت -محمود- ولم يرد لأن باله كان مشغولا جداً وقلقاً بسبب سوء الحالة الصحية لوالده وكذلك كنت بدوري أنا

وفي الصباح الباكر دق جرس التلفون واذا بأحد أقارب زوجي ينعى لنا والد محمود فصعقنا للخبر وهرعنا الى داره وكان كل شيْ قد انتهى! وقد شيع الجثمان الطاهر بشكل مهيب وكان منظر أولاده مؤثراً للغاية حيث كانوا يذرفون الدموع الغزار الا -محموداً- فقد التزم بالجلد والصبر والتماسك أمام هذه المصيبة وكم كان بودي أن يذرف ولو دمعة واحدة ليخفف عما في أعماق نفسه من لوعة ومرارة أسف ولكنه لم يفعل! فقد كان قوياً متماسكاً الى آخر لحظة!

الملك غازي يعزي العائلة

أقمنا مجلس الفاتحة على روحه الطاهرة. وعندما بلغ النبأ الى مسامع الملك غازي الاول أرسل مرافقه الأول ليعزي محموداً واخوانه وكل العائلة بهذا المصاب الأليم..

...وبعد انتهاء أسبوع المأتم والتعازي قام زوجي بجمع أفراد العائلة وتكلم معهم وقال بأنه يعتبر نفسه والد الجميع وعليهم أن يأمروه بما يريدون وبعد أن دعت له زوجة والده بالخير والعمر الطويل قالت له ...وماذا ستفعلون بتركة والدكم ؟؟ أجابها بقوله سيبقى كل شيْ كما كان وسأوزع عليكم الوارد وفقاً للشريعة. وهذا حل أراه مرضياً في الوقت الحاضر فشكره الكل ووافقوا بالاجماع على هذا الرأي الصائب.

محمد يعود الى انكلترا

كانت الحكومة الجديدة التي شكلها جميل المدفعي قد قررت إعادة محمدً الى انكلترا لمواصلة دراسته التي قطعها لن حكومة (الانقلاب) في عهد بكر صدقي. وكان يهيْ نفسه ويستعد

للسفر... وفي كل يوم كان يزورنا في البيت ويأخذ (المغيرة) معه بسيارته يداعبه ويلاعبه ويفسحه خارج الدار لأنه كان يحبه حباً جماً. وفي أحد الأيام سألني عما اذا كنت أوافق على أن يأخذ المغيرة معه الى لندن وأنه سيختار له هنالك مربية تشرف على العناية به وقد تصورت في بداية الامر أنه كان يمزح معي ولكن تكراره رغبته هذه في كل مرة أكد لي بأن جاد في الرغبة! وبالطبع فقد رفضت هذا الطلب من لدن -محمد- لأنه غير منطقي اذ كيف تعاف أم طفلها الوحيد كل هذه المدة الطويلة؟ واذا فرضنا المستحيل وتمت موافقتي على هذه الطلب فكيف يوافق والده الذي يحبه لدرجة لا توصف؟

وماهي الا أيام حتى سافر (محمد) الى انكلترا وسافرت معه جدة «طارق» و«عدنان» وتوليت مباشرة رعاية الأولاد وحاولت أن لا أدعهم يشعرون ببعد جدتهم عنهم! وماهي إلا أن يزول التأثر الموقت بسبب فراق الجدّ ويتغير الحال ويمرح الأولاد ويخيم السرور والسعادة على جو البيت وبخاصة بعد التحسن الذي طرأ على صحة -طارق واكتسابه للشفاء التام في تلك المرحلة والحمد لله..

عودة الى محمود و «البولو»!

وبعد سفر «محمد» وخلال شهر واحد ذهب -محمود- ليمارس لعبته المفضلة -البولو- وهي اللعبة التي عجزت عن منعه من لعبها! وفي المساء عاد للبيت فوقف والسيارة ولم يترل عنها فهرعت اليه فوجدته -كما هو- في داخل السيارة وسألته لماذا لم ينزل فلم يرد عليَ ولاحظت ان نظراته غير طبيعية!! وأن محرك السيارة مايزال يدور فأطفأت السيارة بيدي ورأيت كأساً فضية من نوع الكؤوس التي كان يربحها في سباقات (البولو) فهنأته بالفوز والكأس ونظر الي متسائلاً... من لعب؟ ومن سبق!؟ فخامرني الشك بأن حادث ما قد أصابه وأن ارتجاجا جديداً في المخ قد حصل.. وقد سألت أحد الضباط الذين شاركوا في السباق فأجابني بأنه قد سقط من صهوة جواده ولم يصَبْ بأذى فأعاد الكرة ثانية وفاز بالكأس... وهنا وجهت اللوم الى الضابط الذي نورني بهذا وعاتبته!! اذ كيف يتركونه يعود الى البيت وحده وهو في هذه الحال ويسوق السيارة بنفسه.. فبهت الضابط وأكد لي أن ليس فيه شيءٌ يخشى منه! لقد أرقدناه على سريره وأبدلنا ملابسه ومايزال يكرر نفس السؤال من لعب ومن سبق!؟ فسألته عما اذا كان سقط من الجواد ثانية فأجاب بأنه لا يدري ولا يتذكر وقلت له بأني ساحضر الطبيب لفحص حالته الصحية فمانع في ذلك!! وهكذا قضيت ليلة هي أسوأ ليلة في حياتي.. وفي الصباح اتصل بي جارنا العزيز (صلاح الدين الصباغ) مستفسراً عن صحة رفيقه وقد سمع النبأ من الضابط الذي أعطاني

بدوره الخبر وكذلك من مدير الأمور الطبية وقد رجاني صلاح أن أسمح بنقله الى المستشفى فوافقت وأجريت له الفحوص الشعاعية اللازمة للدماغ فظهر بعض الارتجاج فيه دون أي كسر والحمد لله... ومن ثم نقل الى المستشفى العسكري الى ان تماثل للشفاء التام... وقد زاره الأمير عبد الاله شخصياً في المستشفى ليطمئن على صحته....

مصرع الملك غازي

«جرس التلفون» الذي ينذرك بالشؤم والشر مرة كما يبشرك بالفأل والنصر والخير مرة اخرى!! جرس التلفون هذا رنّ في دارنا في منتصف ليلة من ليالي (مايس سنة ١٩٣٩) واذا باحد اصدقاء زوجي ينذره بالخبر الاسود على جناح غراب فيقول له بان حادثا صاعقا قد راح ضحيته الملك غازي وان صحيفته قد انطوت الى الابد! وليتصور القراء كم كان مؤلما ومريرا ذلك النبأ الذي هز البلاد من ادناها الى اقصاها واصاب الدنيا العراقية والعربية في سيدها وفتاها! وكم كان وقع النبأ من المرارة والقساوة على نفسية -زوجي- الذي كان يكن للملك غازي كل وفاء وولاء!

لقد كان -محمود- طوال اسبوع كامل قبيل المصرع ملازما لجلالة الملك غازي بدعوة شخصية من الملك نفسه وبسبب اقامة المعرض للخيل في ذلك الاسبوع حيث كان -محمود- هو المعتمد والمعول عليه في اظهار المعرض بالمظهر اللائق لان هذا يقع في دائرة اختصاصه وهوايته وفروسيته... والمعرض السنوي هذا يكون عادة تحت الرعاية الملكية حيث يحضر الملك عند الساعة الثالثة بعد الظهر، فيشاهد العرض النهائي ويوزع الجوائز بنفسه وبيده الكريمة.. اما في هذه السنة بالذات (١٩٣٩) فقد حضر العرض منذ الصباح وتناول طعام الغذاء هناك، وسمح لولي العهد بالمشاركة في المعرض وكان -يومها- طفلا صغيرا. وقد خصص في برنامج المعرض عرض خاص لأولاد الضباط! كل ذلك تلطفا من جلالة الملك على زوجي لما يكنه له من حب وثقة وتقدير... فكانت هذه الحفلة من الحفلات النوادر الرائعة المتميزة الناجحة التي لم تحاكها اية حفلة كانت في تاريخ المعرض السنوي للخيل!! وقد شاهدت الملك في تلك الحفلة بلطفه المعهود الذي شمل الجميع من رجال الدولة عسكريين ومدنيين بابتسامته التي لا تفارق شفتيه وبالطلعة المشرقة التي تلوح على محياه... ولعل هذه اول مرة واطول ساعات يعايش الملك رجاله وابناء شعبه...

محمود على مائدة الملك

في يوم تال ، كان محمود مدعوا على المائدة الملكية لتناول الغذاء، حيث وقعت الواقعة والنكبة في نفس تلك الليلة! وما ان اذيع الخبر الاسود وذاع في انحاء العراق والعروبة والدنيا كلها حتى اعلنت المآتم في كل مكان ولبست البلاد الحداد وجاءت وفود التعازي من مشارق الدنيا ومغاربها ومن شمالها وجنوبها، والقيت الخطب والقصائد وتدافعت بالمناكب مواكب العزاء في شوارع العاصمة معبرة عن مشاعرها واحاسيسها بهذا الخطب الجلل والمصاب الذي غطى كل مصاب... فلقد كان الملك غازي محبوب الشعب كله وانطلقت الاشاعات والاقاويل بان المصرع لم يكن اعتياديا وان الملك قد سقط مضرجا بالدماء بسبب مؤامرة دنيئة دبرت لقتله!

رد الفعل في الموصل

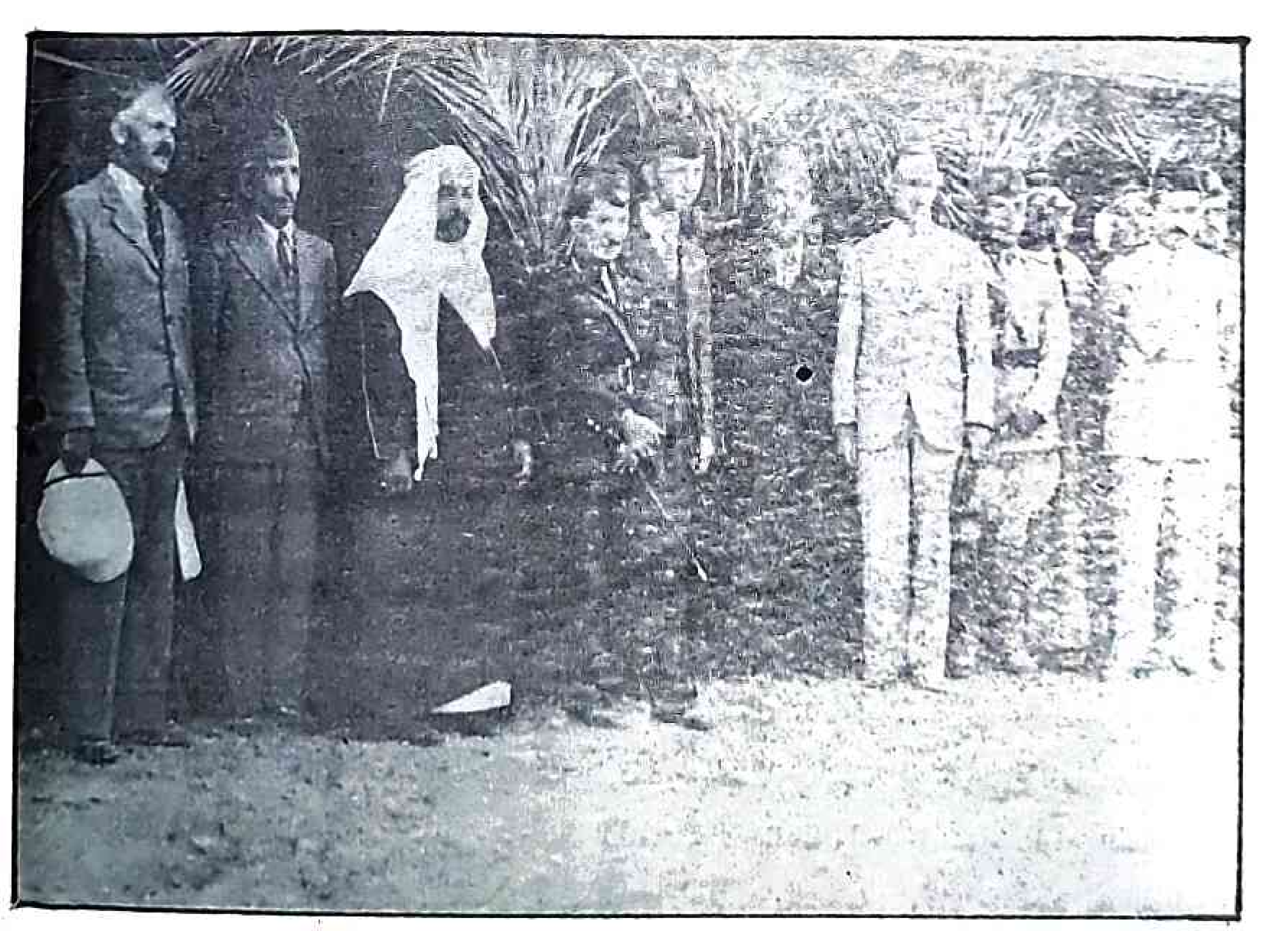
ما ان اذيع النبأ العظيم الاليم حتى زلزلت الارض العراقية زلزالها واهتزت الموصل الحدباء كمثيلاتها من المحافظات العراقية مدنها وقراها فهاجم الشعب في مدينة الموصل مقر القنصلية البريطانية وقتلوا القنصل البريطاني ولم يحدث ما يخل بالامن العام في العاصمة والأنحاء الاخرى وجرى تشييع جثمان المغفور له الملك غازي في موكب تاريخي مهيب ظل وسيظل رمزا خالدا على مدى ما يكنه العراق من الاكبار والاجلال للملك قارع الاحتلال والاستعمار وكان يذيع بنفسه من اذاعة (قصر الزهور) لتحرير العراق والامة العربية... ولاول مرة في حياتي الزوجية اشاهد فيها -محمودا- تخنقه العبرات والزفرات على الملك الراحل الخالد.

مديحة تقوم بواجب التعزية للملكة عالية والحاشية الكريمة

.. يممت وجهي شطر القصر الملكي لاداء واجب التعزية وكان الوصول الى القصر في تلك الظروف الباكية الهائجة من الصعوبة بمكان فقد توجهت الالوف الى القصر لاظهار عواطفها الجياشة وكانت افناء القصر تغص بمختلف الطبقات الاجتماعية والحدائق تموج بافواج السيدات وقد برزت بعض (الشواعر) يلقين القصائد والاهازيج الشعبية، وكل ما تجود به القرائح والعواطف.. وهكذا فان الدخول الى القصر الملكي ما عاد ممكنا من الباب الامامية فارشدنا بعض الحراس لان ندخل من الباب الخلفية... وعند المدخل رأيت المرافق الاول (عبد الوهاب عبد اللطيف) هناك يراقب الجماهير الحاشدة وكل يريد الدخول والحرس يقوم بمسؤوليته في حفظ

الامن والنظام ! ! وعندما وقع نظر المرافق على سيارتنا تقدم منا وافسح الطريق امامنا وسهل لنا امر الدخول.. وقد شاهدت هنالك العديد من العوائل العراقية في مشهد تاريخي لا يوصف... ومن ثم اقتادتني احدى -وصيفات- القصر الى حيث جلالة الملكة عالية فلم اتمالك نفسي من البكاء المر وهطول الدموع الغزار... لقد كانت الملكة في حالة من التأثر لا توصف فلقد اذهلتها الصدمة وحزت في قلبها النكبة وكان حزنها العميق وصمتها البليغ من اشد المناظر والصور تأثيرا على النفوس وتجريحا للقلوب ! !.

بعد اداء واجب العزاء تناهبني صداع شديد والم مر من هول الصدمة وسرني وفاء العراق للملك الصريع ! ! فعدت الى الدار وانا اسائل ذاتي افي يقظة انا ام في حلم !؟



افتتاح مشروع الغراف في الكوت ١٩٣٥ يشاهد الملك غازي الاول والأمير عبد الله بن الحسين امير شرق الاردن وياسين الهاشمي (رئيس الوزراء) ومحمود سلمان مرافق الملك وامين زكي وبعض المدعوين.

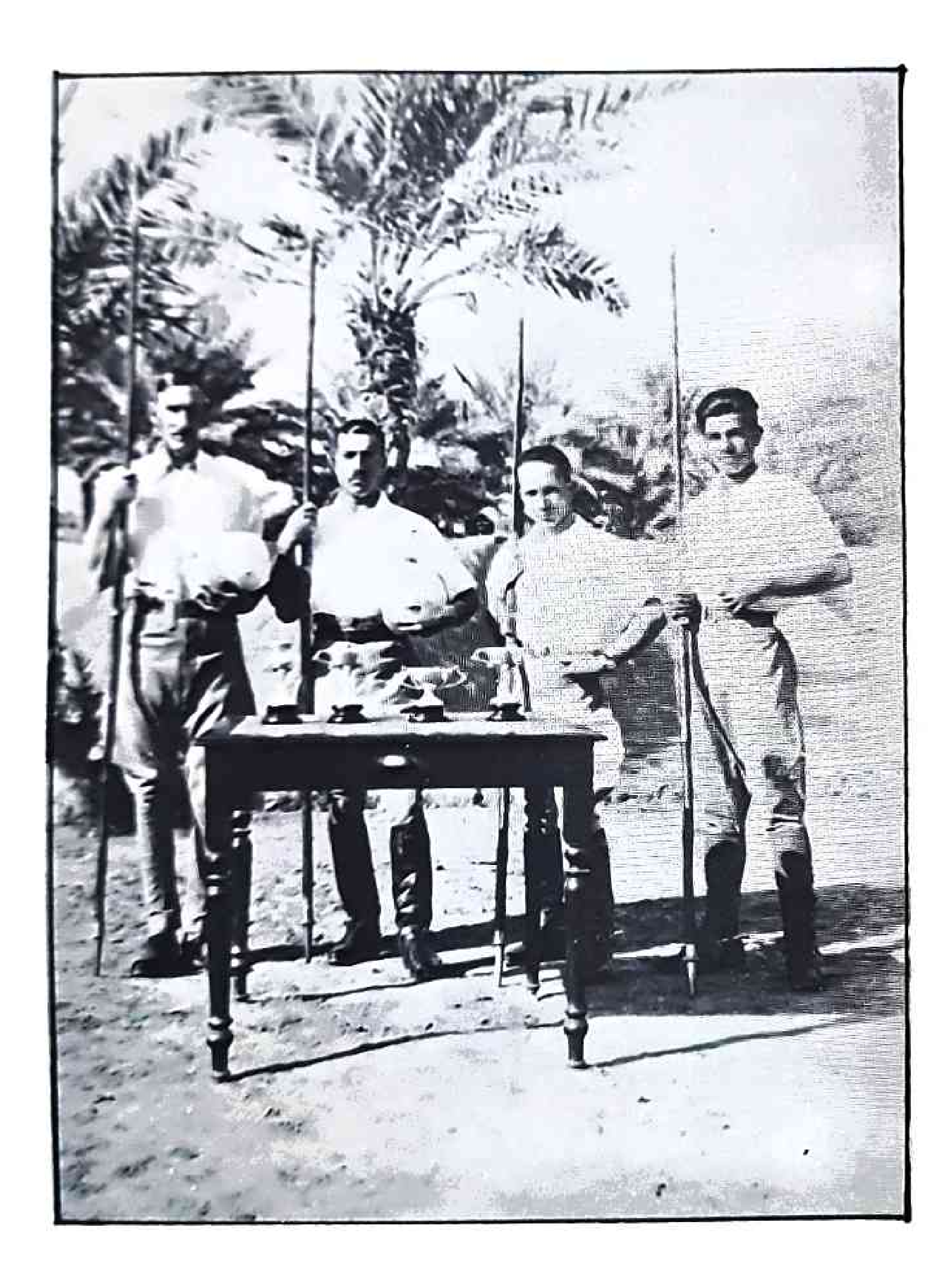


في نزهة صيد ١٩٣٥ : الملك غازي الاول ومحمود سلمان.

الملك غازي الاول ومرافقه (الرائد) محمود سلمان

مرافقوا الملك غازي الاول في الوسط الشهيد محمود سلمان وعن يمينه احمد حمدي زينل وعن يساره سعيد رشيد

في مصيف شقلاوة مرافقوا الملك غازي الاول في الوسط الشهيد محمود سلمان وعن يمينه صالح صائب الجبوري وعن يساره عبد الوهاب عبد اللطيف



في الوسط من اليسار الشهيد محمودسلمان (معلم الفروسيه) في المدرسة العسكرية وبجانبه الأمير غازي ولي العهد عندما كان احد طلاب المدرسة العسكرية الملكية (الكلية العسكرية) ١٩٣٠

الفصل الثاني



الملك الجديد... والوصي عليه

... كانت هنالك امور واشياء اخرى يجب الاهتمام بها بعد المأتم والعزاء لان ولي العهد -فيصل الثاني- ما يزال طفلا وان الدستور ينص على اختيار وصي عليه حتى يبلغ سن الرشد.. وكان الشخص الوحيد الذي يجب تنصيبه هو الامير عبد الاله -خال ولي العهد- وابن الملك علي بن الحسين وهو عم الملك الراحل..

كان الوضع العام يستدعي تنصيبه باسرع ما يمكن تفاديا لما قد يحدث من مضاعفات او تدخل اجنبي وهكذا فقد اتخذت الاجراءات والخطوات اللازمة لذلك ودعي مجلسا النواب والاعيان الى الانعقاد فورا ووضع الجيش تحت الانذار تأهبا لكل طارىء واحيط مجلس الامة بقوة عسكرية... ولاول مرة اسمع فيها زوجي يناديني بأن اناوله المسدس لحمله... فلما سألته عن السبب، قال لا شيء يوجب القلق وهذا من باب الاحتياط وخرج مسرعا بعد ان اطلق هذه الكلمات...

وقبيل الظهر جرت وتمت مراسم تنصيب -الامير عبد الاله- وصيا على عرش العراق فادى اليمين القانونية وانتهى كل شيء بسلام!! عاد محمود الى البيت وعلائم الارتياح تبدو على وجهه فسألته عما جرى فاجاب... لقد تم كل شيء والحمد لله... واسترسل يقول... انت تعلمين -يا مديحة- كم كنت احب الملك الراحل وكصديق. ويعلم الله اني لا ابغي غير الخير لهذه العائلة المالكة... وكان يهمني ويهم اخواني (ويقصد صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد وكامل شبيب) ان يكون الامير عبد الاله وصيا على العرش لانه من صميم العائلة الهاشمية اولا. ولانه شاب عاقل يقدر مسؤولياته تجاه العرش والبلاد علما بان علاقة -محمود بالامير عبد الاله كانت لا تقل عن علاقة الملك غازي به.. فلقد كان -محمود- يحب الامير كثيرا وكان يقضي معه معظم اوقات فراغه ويذهب معه للصيد وكثيرا ما كان يستشير محمودا في بعض الامور لانه يعتمد عليه كثيرا...

مديحة تزور الملكة عالية بعد مصرع الملك

... كنت بين حين واخر وفي بعض المناسبات الوطنية اذهب الى القصر واحظى بمقابلة جلالة الملكة عالية... وفي احدى زياراتي دار الحديث حول الحادث الأليم الذي أودى بحياة الملك

غازي وعما اشيع عن مؤامرة مدبرة ومخططة لقتله! ! فتفضلت الملكة بهذا الحديث الذي سمعته شخصيا عن الملكة ذاتها...

قالت الملكة... كنت جالسة في القصر فانطفأت الانوار فجأة فيه واستفسرت عن السبب فسمعت بان أحد العبيد الذي تربى في القصر الملكي يطلب النجدة ويقول الحقونا.. سيدي مصاب... حصل حادث للسيارة... قالت الملكة هذا والعبرات تكاد تخنقها.. واسترسلت في الحديث قائلة... وركضت بكل قواي صوب الحادث فوجدت سيدي الملك «كما كانت تلقبه» وهو يلقبها «بستي الملكة».. لقد وجدته ملقى والدم ينزف من رأسه ووضعت يدي على قلبه فوجدته ما يزال يخفق، وفي الحال طلبت استحضار الاطباء في السرعة الممكنة... وكنت اهيب بالحاضرين ان يسعفوني بقطن وشاش عسى ان اتمكن من ايقاف النزيف... اما الذين كانوا من حولي فكل واحد مرتبك وحائر ولا يدري ماذا يعمل. وصرت امسك بالجرح واضغط عليه بكل شيء تقع عليه يدي.. وكان الملك فاقد النطق وكل شيء يدل على انه فاقد للحياة سوى دقات قلبه ونظراته! وخلت الدقائق التي كنت اعيشها في تلك اللحظة العصيبة كأنها الاعوام الثقال قبيل مجيء الاطباء! ! جاء الدكتور سندرسن والدكتور صائب شوكت وبعض رجال القص فاهبت بهم ان يعملوا المستحيل لانقاذ الملك. وبدئ بالكشف عليه وفحصه وبقوا واجمين وبعد برهة اسلم الروح. وكان احد الذين رافقوه في السيارة حيا وقد اصيب بكسر في يده وقد حدثني عن كيفية وقوع الحادث... فقال... عند عودة جلالة الملك من قصر الحارثية الى قصر الزهور ادار محرك السيارة وانطلق بها بسرعة كبيرة- كما هي عادته- دائما... فكان ان اصطدمت السيارة بعمود كهربائي فاستدارت حول نفسها ووقفت من شدة الصدمة وكان الباب قد انفتح فانسد ثانية على يد العبد ولم يفق من شدة الالم الا على منظر سيده الذي كان جالسا في مقعد القيادة والعمود نازل على رأسه والدم ينزف منه... وكان في السيارة كذلك شخص اخر وهو من -البوليس-الحرس لم يصب بسوء! ! فهرع العبد وابلغ عن الحادث.. وعن كل شيء شاهده بعينه...

هذا ما روته لي جلالة الملكة عالية عن كيفية حدوث المصرع وهي تكبت الالام والاحزان وتثير الشجون. وكنت بدوري لا اقل عنها تأثرا والما ابادلها الدموع والزفرات الحرى واوصيها بالصبر الجميل والله مع الصابرين، وبأن تتعزى وتتسلى بالملك الطفل الصغير حفظه الله الذي سيكون خير خلف لخير سلف وسيسد الفراغ الكبير ان شاء الله. كما رجوتها ان لا تستمع الى ما يشيعه المغرضون والذين في قلوبهم مرض لان الاشاعات والاراجيف كثيرة!

ومن ثم استأذنتها في الانصراف. ولدى خروجي من القصر قابلني -بالصدفة- الملك الطفل عائدا من نزهته مع مربيته، فتقدم مني وسألني عن ابني -المغيرة- وعما اذا شب وكبر لكي يلعب

معه ! ! وقد وعدته باني سأحضره معي في الزيارة القادمة فسر بذلك ! ! وقد سألني ثانية -وهو ينظر الى سيارتي- ما هي ماركة سيارتك يا -مديحة هانم- فاجبته بانها (فوكسهول). فقال باني لم اسمع بهذه الماركة ولا اعرفها، فقلت له بانها ماركة انكليزية ! هنا تملكه الغضب وقال كيف تشترين سيارة انكليزية؟؟ انا لا احبها. ولماذا لا تشترين سيارة «عربية» وهنا سألته كيف تكون السيارة العربية؟ وما هي ماركتها؟ فقال مثلاً... بيوك.. ناش... كريسلر..لا.. لا انا لا احب السيارات الانكليزية...

وكم كان سروري بهذا الحوار البسيط مع فيصل الثاني وكم كان فألي حسناً واستبشاري من كلامه هذا لاني تعشمت فيه ان يكون صورة صادقة وناطقة لوالده من الناحية الوطنية وكرهه للانكليز والاستعمار. وقد وعدته بتبديل السيارة في المستقبل وعاد فذكرني بانه يريد «المغيرة» ليلعب معه ! ! بعد عودتي للدار حدثت -محمودا- عن لقائي بالملكة وحواري مع الملك الصغير فسر كثيرا واستبشر خيرا بمستقبل البلاد ووافق على تبديل سيارتي كيلا يراها الملك ثانية...

محمود قائدا لسلاح الطيران الجوي

... ساءت صحتي في تلك الايام بعد ان اصبت بمرض (الدزنتريا)، فلازمت الفراش وتناولت حقن (الامتين) المتعبة فهزلت ونحل جسمي واقترح -محمود- عليّ بان اسافر الى ربوع لبنان لتبديل الجو والاستجمام ولما سألته عما اذا يتسع وقته لمصاحبتي ام لا؟ اجابني بان وقته لا يسمح له بذلك بالنظر لكثرة مشاغله ومسؤولياته في الوقت ذاك، وبخاصة تعيينه قائدا لسلاح الطيران وقد بدأ يتعلم الطيران حينذاك ! فلم اجد بدا من العدول عن السفر الى لبنان بمفردي.. لقد كان -محمود- من صنف الخيالة وان تعيينه بهذا المنصب الجديد يزيد في مسؤولياته وواجباته -كما ذكرت- وقد اختير لهذا المنصب الجديد المرموق بسبب كفاءته العسكرية ولانه افضل واقدر من غيره لمثل هذا المنصب، ولعدم وجود من يملؤه بجدارة وكفاءة من الضباط الطيارين... فقد عين (اسماعيل نامق) امير اللواء اولا فلم يتمكن من الاستمرار بسبب مضايقات الطيارين له فطلب نقله مختارا ومضطرا وعين بعده صلاح الدين الصباغ فلم يمكث في هذا المنصب اكثر من ستة اشهر ! ! وطلب نقله كذلك ! وبعدها رشح زوجي للمنصب ! وعندما سألته عما اذا كان سيقبل ام لا؟ اجابني... ولم لا؟ لن اتأخر عن قبول هذا الترشيح... وعندما سمع الطيارون بان -محمودا- سيعين قائدا عليهم -وهو غير طيار- وبالرغم من المضايقات التي مورست مع قائدين سابقين -اي نامق والصباغ- حاولوا ان يثنوا -محمودا- عن قبول هذا الترشيح وقد بلغ بهم الامر حد التهديد عن طريق الرسائل السرية وانه سيقتل في حالة قبول

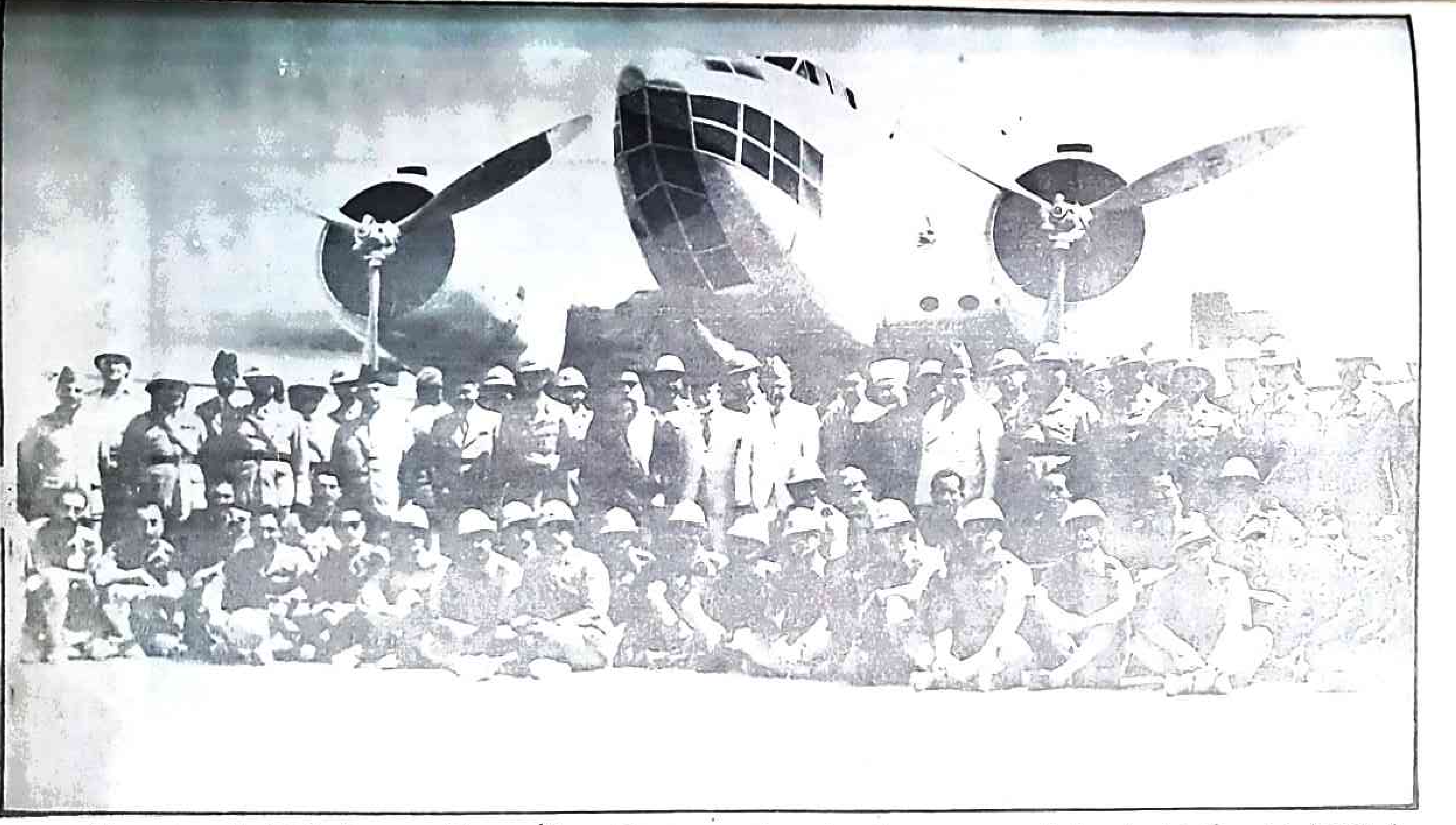
المنصب! وقد وقعت بعض هذه الرسائل في يدي وأطلعت عليها، لأني قد حزت ثقة زوجي، وكنت الى جانب ربّة بيته. بمقام «سكرتيرته الخاصة» حيث خولني فتح الرسائل والرد عليها. كما كنت أساعده في كتابة المحاضرات التي يلقيها... ولقد سرني كثيرا أن يعتمد علي ويشاركني في أكثر أموره ويستشيرني في بعض أعماله... أقول.. لقد وقعت بعض رسائل التهديد في يدي. فسألته ثانية عما اذا كان سيقبل المنصب أم لا ؟ فأجاب بأن مثل هذه الرسائل السرية انما تزيده تصميما وقبولاً، وانه يريد أن يعرف كيف يريد هؤلاء قتله!! وهنا ضحك وقال... لا تصدقي — يامديحة— هؤلاء المهددين المتسترين بتواقيع مستعارة.. ان الذي يريد قتل شخص لا يهدده وانما ينفذ دون سابق انذار.. وأرجو أن تطمئني — يامديحة — بأني لن أموت اغتيالاً او قتلاً... أنا أعلم — والعلم عند الله — كيف سأموت....!! وعندما اتذكر هذه الكلمات أشعر وكانه كان يتحسس المستقبل وما يخبؤه الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله!!

لقد صدر تعيينه قائداً للقيادة الجوية وكان عسكرياً متميزاً وبطلاً بمعنى الكلمة. فصار يدخل نظام التدريب اليومي على النظام السائد في مختلف الصنوف والقوات الأخرى.
وكان يحضر التدريب المبكر بنفسه... وهكذا سارت الامور سيراً منتظماً. وكما يجب أن يكون... وكانت الأمور قبل هذا في القطاع الجوي يشوبها شيءٌ من الفوضى والتناقضات... فلقد كان «بعض» الطيارين يركبهم شيطان الغرور ويعتقدون بأنهم يمتازون عن بقية رجال الجيش وان كل شيءٍ يجب أن يكون في خدمتهم وبموجب اهدافهم حتى الدوام الرسمي، يجب ان يكون كما يشاؤون! ولكن.. محموداً— وهو القائد المرموق المتميز للقيادة الجوية عرف كيف يخفف من غرور الطيارين وكيف يعلمهم الإلتزام بالنظام— واوقات الدوام وان كل الضباط سواسية في الخدمة العامة والخدمة العسكرية وان توزيع الأعمال والمسؤوليات بين الكبار والقواعد يجب أن يراعى من قبل الضباط والعسكريين بمختلف مراتبهم وصنوفهم.... كما أن – محموداً أدخل الكثير من التحسينات على ملابس الجنود تلفت النظر. كل هذا التطور في قطاع القوة الجوية قد جرى بسرعة قياسية ومن دون اللجوء الى الصرامة والشدة علماً بأن — محموداً كما قلت — بطل وعنود وعزوم ليس من السهل على الاخرين مقاومته والوقوف أمامه مادام يعمل لمصلحة الجيش والبلاد فضلاً عن أنه كان يعتمد على ذاته قبل غيره وعلى سبيل المثال. لقد كان معاون قائد القوة الجوية)سامي فتاح) الذي كان يطمع في ترشيح نفسه للقيادة! ولكن محموداً كان لا يعتمد المعاون والمساعد في الكثير من القضايا. وليس هذا من باب الاستئثار بالعمل... وانما من باب الحرص على أن تكون عملية التنفيذ مضبوطة ودقيقة بالمائة مائة!! كان يغادر البيت في الساعة السادسة بنفسه، ويوزع الأعمال والواجبات على جميع مرؤوسيه وينفذ شؤون القوة الجوية في المعسكر ومن ثم يعود الى البيت ليأخذ قسطاً من الراحة.. يعود بعدها حوالي الساعة الثانية بعد

الظهر الى مقر عمله في الوزارة فينهمك في العمل الى أقصى حد بل ليكاد ينسى نفسه وهو في زحمة العمل والواجبات!! هكذا هو - محمود - حتى الساعة السادسة مساء احيانا!! واذا ما حدث وعاد مبكراً فأنه لن يعود قبل الساعة الرابعة عصراً غير مكترث بأنه لم يتناول طعامه بعد.. وكان من عادتي أن لا اتناول الغذاء قبل عودته فكان يتألم كثيراً ويوصيني بعدم انتظاره على الطعام.. ولكن ما حيلتي وهذه هي عادتي فلا اسمح لنفسي بتناول الطعام حتى العودة، خاصة وأنه لم يتناول غير طعام الفطور فقط!!

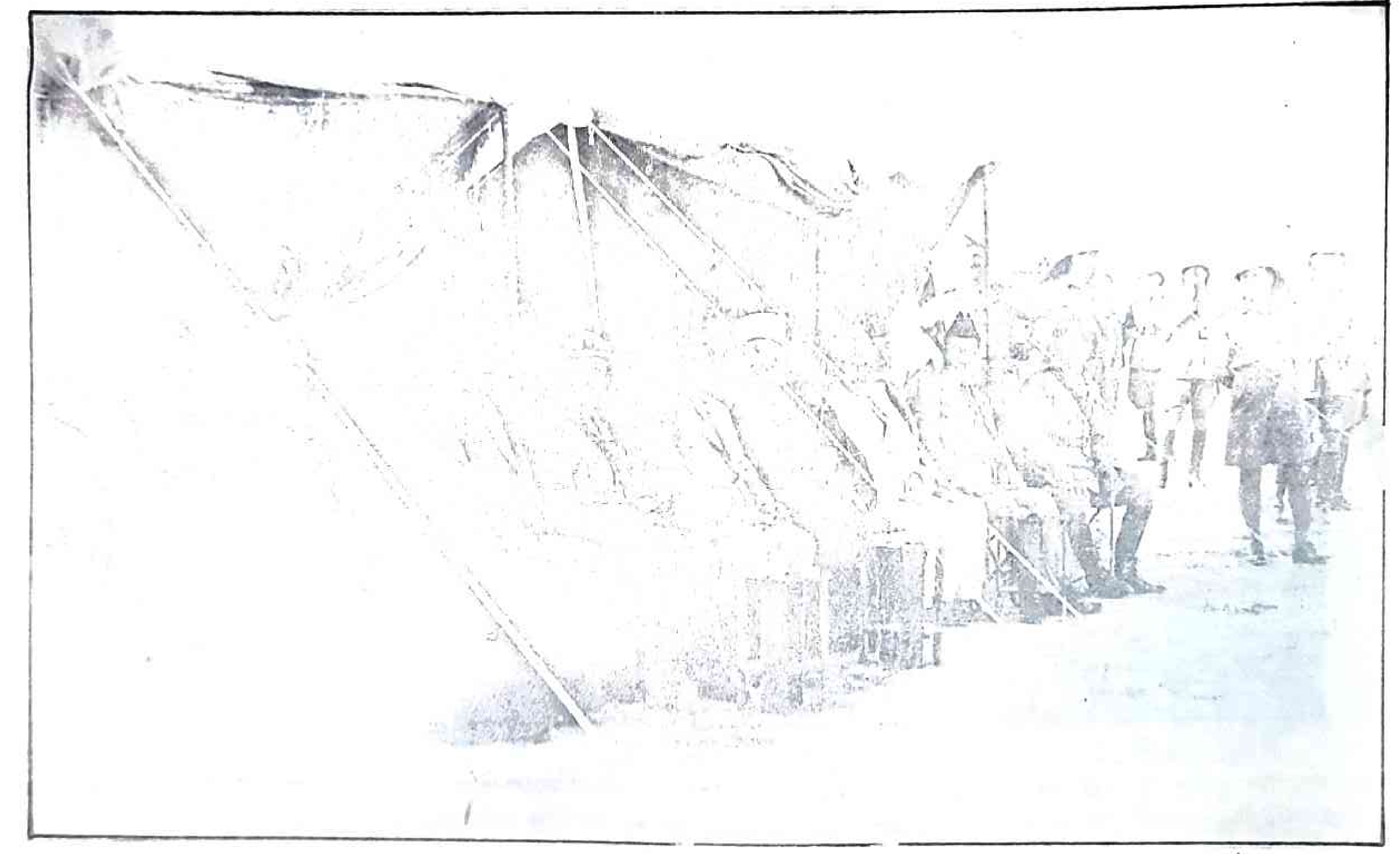


الشهيد محمود سلمان مرافق الملك غازي الاول وهو برتبه رائد.



مطار القوة الجوية في معسكر الرشيد في ٢٨ /٥ /١٩٤٠. يقف امام الطائرة العراقية القاصفة (سافويا) كل من الأمير عبد الاله، رشيد عالي الكيلاني الشهيد محمود سلمان (قائد القوة الجوية)، طه الهاشمي، اللواء أمين زكي رئيس اركان الجيش، اسماعيل نامق، المقدم الطيار سامي فتاح.وعلى اليسار الأمير عبد الاله مولود مخلص، السيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان ناجي السويدي،رؤوف البحراني، الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين وعدد من القادة والضباط.

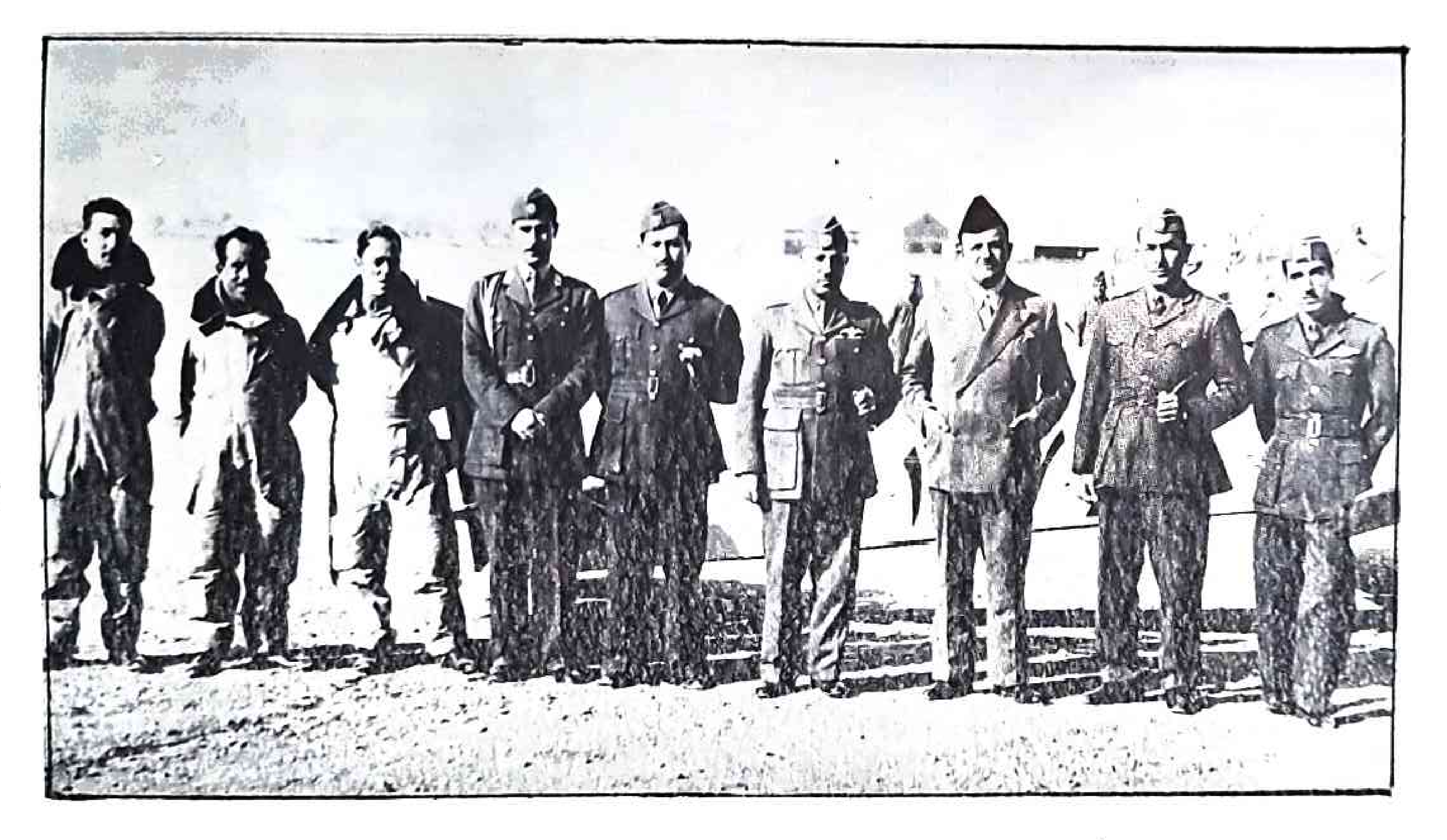
بمناسبة استعراض القوة الجوية العراقية يوم ٢٨/٥/١٩٤٠



الجالسون من اليمين

١ – الفريق امين زكي /رئيس اركان الجيش ٢ – رؤوف البحراني/ ٣ – مولود مخلص ٤ – ناجي السويدي/

٥ – الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين/ ٦ – طه الهاشمي ٧ – الأمير عبد الاله ويظهر خلفه الشهيد محمود سلمان قائد القوة الجوية العراقية وهو يتكلم مع الأمير عبد الاله



زيارة الأمير الشهابي للقوة الجوية في ١٤/١٠/ ١٩٤٠ ويظهر في الصورة الشهيد محمود سلمان قائد القوة الجوية العراقية وعن يساره الأمير الشهابي والطيار مدحة عبد الرحمن والطيار جسام الشاهري



فريق القوه الجوية لكرة القدم في ملعب الكشافه . بعد توزيع الجوائز على الفريق الفائز يشاهد طه الهاشمي ومحمود سلمان

حرص الزوجة على زوجها ! !

جاءني – محمود – ذات يوم وقال لي... لقد جئتك بنبأ جديد ورغبة جديدة.. فلقد قررت – يامديحة – ان اتعلم الطيران. لاني لااسمح لنفسي بقيادة جوية مرموقة اجهل الكثير عنها.. فكيف استطيع تشخيص الكثير من الاخطاء والهنات التي تحدث في قطاع الطيارات والطيران وأنا لااعرف هذا؟ وهل يكفي الاعتماد على الفنيين دائما وابدا؟ وهل يكون حكمي في مثل هذه الحالة سديدا وصائبا؟؟ وهنا طار صوابي، بل كدتُ اجن... الا تكفي تلك الاعوام والالام التي تجرعتها بسبب لعبة (البولو)؟ اتريدني ان اظل وحيدة في هذه الدنيا، وان يظل اولادك يتامى؟ افي كل مرة تثيرني وتهز اعصابي؟ التمسك ان تترك هذه الهواية الجديدة فما كان منه وهو يستمع الى هذه الكلمات العاطفية التي تصدر عني، الا ان ضحك وقال الم اقل لك بأن لاتخافي ولاتحزني؟ الم اقل لك بأني لا اموت بحادث سقوط من على ظهر جواد – يشير الى لعبة البولو –؟ واليوم اقول لك بأني لن اموت بحادث طيران او بحادث اغتيال؟ اقول لك هذا وانا واثق منه، وكأن هاجسا من الداخل ينبئني بكل هذا!! هذا هو شعوري النفسي، وان شعوري هو من نوع

الايمان الصادق، فلاتخافي ولاتجزعي! ثم اين هو تشجيعك لي غير مرة وفي مختلف المناسبات؟ اهذا الذي كنت انتظره منك؟ كيف تكونين انت حائلا يحول دون تحقيق رغبتي في الطيران! لقد كنت قبل الان تدفعين بي انت بالذات الى تحقيق هذه الهواية... فتفاءلي خيرا، واضحكي. وشجعيني، وقولي لي (سر على بركة الله) وتوكل على الله.. واعدك وعدا قاطعا بأني بعد أن اتدرب على الطيران والملاحة الجوية وكل مايتعلق بشؤون الطائرة والطيران، لن اطير قط!! وكل هذا من اجل ان اقوم بالواجب المقدس على خير مايرام! وتسترسل صاحبة المذكرات، فتقول... انني لاعلم قوة الارادة والتصميم التي ينطوي عليها اهاب هذا الرجل فليس في وسع اية قوة ضاغطة ان تثنيه عما يريد، اذا ما اقتنع بما يريد ولهذا فقد تجاوبت معه على مضض من هذه الناحية وسلمت امري الى الله... وقلت، ادعو الله ان يحفظك وان لايحرمني منك. ولايحرم البلاد من خدماتك!! وهنا طار فرحا بهذه الكلمات، وقال بأنه يدري ان حرصي الشديد على حياته، هو السبب في ممانعتي لهوايته، وانه كان مصمما كتمان هذا الامر علي، فيتدرب على الطيران من دون علمي، ولكن شاء ان يشاركني الرأي في هذا لانه -كما يراني- نعم الرفيق ونعم المشجع والمساعد بل كل شيء...

التعلم على الطيران

وهكذا بدأ يتعلم الطيران لأشباع هوايته.. وبعد عشرة ايام من طيرانه مع من اختاره لتدريبه وتعليمه طار بمفرده (سولو) فكان مسرورا جدا، ولفت اعجاب الكثيرين على سرعة التعلم والطيران المفرد.

وكان يدرس كذلك الملاحة الجوية ايضا...

ولابد من ان اذكر هنا، انه كان في القوة الجوية مفتش انجليزي ينطوي على روح استعمارية، وقد شغل اكبر عدد ممكن من ضباط الصف والجنود في معامل القوة الجوية.. وكان - محمود - غير مرتاح لهذا العدد الكبير من الايدي الاجنبية في تلك المعامل! ولهذا فقد عمد - محمود - الى عدم تجديد عقد من ينتهي عقده من هؤلاء، مع القوة الجوية خلافا لرغبة ذلك المفتش الانكليزي... وبهذا حد كثيرا من صلاحية هذا المفتش الذي كان في السابق هو الكل في الكل! فاذا ماأراد هذا تجديد اي عقد جاء الى - محمود - يرجوه بذلك، فيجادله محمود بالتي هي احسن، ويقول له بأن هنالك من يقوم مقامه من العراقيين المتدربين، وان لاحاجة ملحة الى تجديد عقده! ويقول - محمود.

اكثر من هذا.. يقول له.. صحيح ان هنالك معاهدة صداقة بين العراق وبريطانيا، وان هنالك مصالح مشتركة بين الطرفين. ولكني اتصرف كموظف عراقي مسؤول في دولة مستقلة ذات

سيادة كما يعترف الانكليز بدورهم بهذا الاستقلال والسيادة ! ! ولهذا فان مصلحة بلدي العراق هي فوق المصالح الاخرى ويسائل - محمود - ذلك المفتش بقوله.. ترى لو كنت في مكاني الا تتصرف مثل تصرفي هذا؟؟ الا تضع مصلحة بلدك فوق المصالح؟؟ وهنا لا يجد هذا الانكليزي مجالا للرد بعد ان سد عليه محمود السبل ! والرد الوحيد... انك لرجل قوي ! !

You are a Strong man

سفري الى لبنان

في شهر حزيران ١٩٣٩ تم انشاء مطار بيروت، فأقامت الحكومة اللبنانية حينذاك مهرجانا ضخما دعت اليه في الدرجة الاولى قواد القوة الجوية العرب، وغيرهم من الدول الصديقة في العالم.. وبالطبع فقد كان محمود في طليعة المدعوين، فطلب مني ان اهيء نفسي للسفر. وانه سيبقى هنالك اسبوعا واحدا فقط، واني اتأخر بعض الوقت للراحة والاستجمام..

لقد سافرنا يوم (١) تموز سنة ١٩٣٩ وقبل سفرتي ذهبت لتوديع جلالة الملكة (عالية).. وفي تلك الايام كانت تدور إشاعات حول سفر جلالتها مع الملك الصغير الى لبنان ترويحا للنفس. وعناية بصحة الملك الذي كان في حاجة الى تغيير الهواء والجو، خاصة وان فاجعة البلاد بأبيه (غازي الاول) لم يمرّ عليها الا بعض الوقت .. وكان - محمود - قبل زيارتي الملكة لتوديعها قد اخبرني بأن الملكة عالية غير راغبة في السفر الى لبنان كما اخبره بذلك الامير الوصي عبد الاله. وحبذا لو استطعت اقناع الملكة بضرورة السفر، من اجل الملك لان صحته الغالية هي من اماني الشعب العراقي.

وعندما فاتحت الملكة بذلك في اثناء الزيارة وجدتها مترددة... سافرنا بالطريق البري الى (أبو الشامات) اول نقطة حدودية سورية فوصلنا المصائف اللبنانية ونزلنا في فندق (عالية).

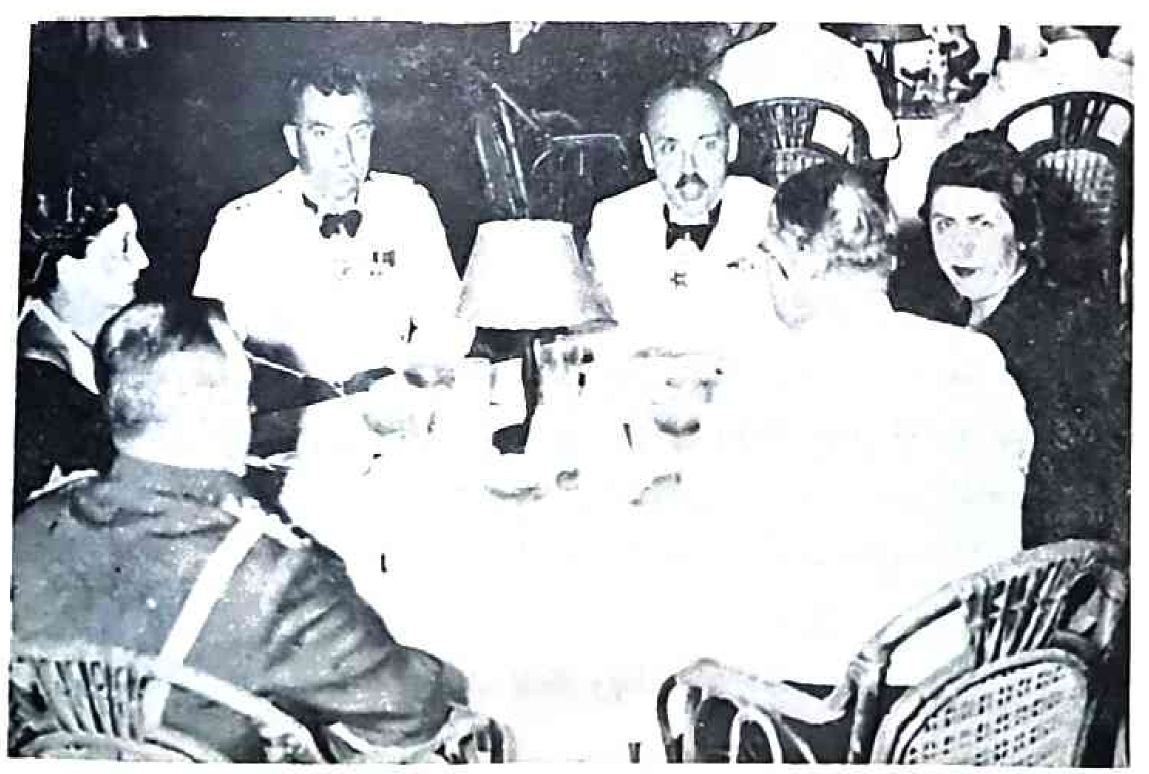
فكنا موضع تكريم الكثير من اخواننا العراقيين المصطافين هناك... وتمتعنا بمصائف لبنان الجميلة الخضراء بوديانها وجبالها وشلالاتها الهادرة.. فهذه قرية تقع على قمة جبل تهتز من الروعة والنضارة.. وهنالك مناظر ساحرة خلابة... وهنا جمال الكروم، وخرير المياه وكأنه الحان الموسيقى التي تردد انغاما جميلة في الاسماع، كما تخلب الالباب والابصار ! !.

وصول الملكة والملك الى عالية

بعد وصولنا بخمسة عشر يوماً وصل جلالة الملك فيصل الثاني والعائلة المالكة الى عالية. فذهبت للسلام عليهم وكان «المغيرة» معي، حيث بلغ الثالثة من عمره ! ! فسر الملك كثيرا برؤيته.. وقدم له يده ليقبلها لانه اعتاد ذلك، لكن «المغيرة» رفض تقبيل يده ! انه - والله -

منظر رائع وجميل لطفلين احدهما ملك يمد يده ليقبلها صديقه، واخر مواطن صغير من ابناء الشعب لا يتقبل ذلك ولا يدرك ذلك!... ويسألني طفلي المغيرة لماذا الملك يريد تقبيل يده؟ فلا اجيب ويلح الملك بقوله (بوس يامغيرة) ويجيبه المغيرة لا (ما ابوس)! ثم يلتفت الملك الى والدته - وهي تضحك - كما يضحك الحاضرون الاخرون، فيقول هذا لايريد ان يبوس يدي فتجيبه الملكة.. لابأس انه صغير، فيفرح الملك بكلمة «صغير» لانه اعتبر نفسه «كبيرا»!... ومن ثم دخل الغرفة واخرج له بعض اللعب والبالونات وأقنعه بالخروج معه الى الحديقة لكي يلعبا معا فذهب معه....

وقبيل الانصراف والاستئذان رأيت «المغيرة» قادماً نحوي والملك يناديه. واحدى الاميرات الصغيرات - اي شقيقة الملكة - تضحك من الاثنين.. وقالت لقد طلب المغيرة ان يرى ويتأكد من ان امه لم تذهب بعد، ليعود الى الملك ويستانف اللعب لأن الملك راغب في هذا!! فقلت للملك - حسنا سنذهب الآن ونعود في يوم اخر، لتستأنفا اللعب معا!! فقال الملك... اذن، اذهبي وحدك اذا كنت لا تريدين البقاء واتركي المغيرة معي هنا لنلعب معا!! فقال المغيرة.. لا.. انا اذهب مع ماما وبعدين نرجع معا» وقد بذلنا جهدا كبيرا في اقناع الملك بضرورة الذهاب، ومن ثم العودة اليه، ولم يكن سهلاً اقناعه وهو الملك - الطفل - العنود!!



محمود سلمان يرأس الوفد العراقي في افتتاح مطار خلده في بيروت في ٦ /٦ /١٩٣٩ في الحفلة التي اقامها المندوب السامي الفرنسي في قصر الصنوبر (بيروت)

جميل المدفعي.. ونوري السعيد

في ذلك الموسم كانت وزارة جميل المدفعي قد قدمت استقالتها نتيجة لضغط الانكليز عليها. ولان القواد العسكريين ضد «مطالب الانكليز» عدا تهالك - نوري السعيد - على رئاسة الوزارة الجديدة! ولهذا فقد راح «السعيد» يتقرب الى القادة العسكريين ويجاملهم كثيرا ويجتمع بهم في كل مناسبة وهم صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد وزوجي وكامل شبيب» ويؤكد لهم في كل مرة انه قد غير سياسته، وانه لن يخرج عن رأيهم! وكان العقداء القادة الاربعة في تلك المرحلة قد سيطروا على الوضع خشية التلاعب بمقدرات الوطن والامة.. ولكن (نوري السعيد) الذي يعرف من اين تؤكل الكتف كان يحلف بأغلظ الايمان للقواد الاربعة بأنه سينفذ كل شيء يطلبونه منهم مادام في مصلحة البلاد وماعليهم الا ان يجربوا... في هذه المرة. فاذا لم يلتزم فني الامكان اقالته من رئاسة الحكومة.... وهنا قر رأي القواد العسكريين على ان يجربوا (نوري السعيد) عسى ان يعود الى الصواب، ويفضل خدمة العراق ومصلحته قبل خدمة الانكليز ومصالحهم!! وهكذا كان فقد الف الوزارة وسار في معالجة الامور العامة في بداية الامر بموجب الوعد الذي قطعه للقادة الاربعة اذ كان على اتصال تام ومستمر معهم. ومنفذا كل ما يرغبون في تنفيذه!!

نوري السعيد في لبنان.

في هذه الاثناء - وكنت ما ازال في مصايف لبنان، قدم نوري السعيد وبرفقته الدكتور (سندرسن باشا طبيب الملك الخاص للاطمئنان على صحة جلالته.. ولما طرق سمع (السعيد) بأنه ما ازال هنالك بعث لي بخبر مثير! وهو ان زوجي - محمود - قائد القوة الجوية يقوم احيانا بالطيران ليلاً، وقد يكون هذا خطرا على حياته! وناقل الخبر الي قد نقله بالصيغة الاتية (.. يقول الباشا ان محمود بك يطير بالليل وهذا خطر على حياته وقد طلبت منه ان لايفعل ذلك حرصا على حياته التي هي ليست ملكه بل ملك للامة)... هكذا هي صيغة الخبر بالحرف الواحد.... وعند سماعي الخبر كدت افقد صوابي واجن! فكتبت لزوجي رسالة مستعجلة رجوته فيها ان يمتنع عن الطيران في الليل، واني قلقة وغير مرتاحة ابدا من هذه الناحية.. وقلت في الرسالة بأنه إذ لم يترك الطيران الليلي فلابد من قدومي الى بغداد!! وماهي الا ان يجيئني الرد السريع مؤكدا لي فيه بأنه لم يعد يطير الليل، ويطمئنني بل يقسم على صحة مايقول! ولا ادري - حتى اللحظة - التي اكتب فيها هذه المذكرات ماالسبب الذي دفع (نوري باشا) الى «فبركة» هذا الخبر..

اعلان الحرب العالمية الثانية.

...يومها كانت الحرب وشيكة الوقوع والاشاعات كثيرة وقوية ، بل بعضها اكدت على ان الحرب الضروس قد وقعت فعلا! وقد وقعت فعلا... الامر الذي استوجب الغاء اجازات جميع الضباط والموظفين الذين كانوا في الخارج ، وضرورة عودتهم الى بلادهم.. فدب القلق في نفوس الجميع ، وتسابق الكل الى قطع اجازاتهم والعودة الى العراق ، فكانت وسائط النقل قليلة ، وان على المصطافين ان يحجزوا تذاكرهم قبل شهر ونصف في الاقل!!

كاظم عبادي يزورنا في لبنان.

... زارنا احد «ضباط القوة الجوية العراقية الذي كان هو الاخر يقضي اجازته في ربوع لبنان ، فاخبرنا بأنه عائد الى بغداد في الغد وانه مستعد لاية خدمة او توصية ... وبالنظر لصعوبة الحجز في السيارات ، فقد رجوته اخبار زوجي بأن يرسل سيارتي الى لبنان لكي اعود بها ، او ان يحجز لنا من بغداد لأني اريد العودة بسرعة الى بغداد وقد وعدني – العبادي – بذلك مشكورا... وفي اليوم التالي ، ذهبنا الى السوق لابتياع بعض الحاجيات والهدايا وقد مررنا على احدى شركات النقل ، وسألناها عما اذا كان ممكنا تهيئة مقاعد للعودة «الى بغداد فأجابت بأن هذا ممكن جدا وفي اي وقت نشاء!! فحجزنا المقاعد وحددنا يوم السفر ، وانتهت مشكلة العودة! فاتصلت بزوجي – تلفونيا – من لبنان ، وانبأته بهذا الحجز ، وان لاحاجة الى ارسال سيارتي من بغداد... ومن خلال – التلفون – زف لي البشرى بأنه قد اتم الساعات اللازمة للطيران واصبح طيارا عسكريا فهنأته ورجوته بعدم الطيران كما وعدني في البداية .. كما اخبرني بأن هناك من تقدم بطلب الزواج من شقيقتي وانه منتظر عودتي الى بغداد للمذاكرة في الامر.

......

غادرنا بيروت الى الشام حيث قضينا ليلة واحدة فيها ، واستأنفنا السفر الى بغداد فكانت سفرة مريحة جدا على عكس السفرة الاولى من بغداد الى الشام!!

وفي المطار كان زوجي واختي ينتظراننا في المطار المدني ، وكان سرور امي لايوصف عندما وصلت الدار ، وتبادلنا قبلات الامومة والحنان..

شؤون عائلية

كنت سابقا قد اقترحت على - محمود - ان يصفي تركة المرحوم والده مع اخواته واخوانه لكي يتمكن من التصرف بحصته الشرعية فوافق على اقتراحي هذا. وقال لامانع لدى الشقيقات من ذلك ولكن (ابي داود) كان غير متساهل نوعا ما!! ومع ذلك فقد سويت القضية باعتبارها قضية عائلية وشرعية، ولم يبق مشاعا غير قطعة ارض واحدة ومحل تجاري واحد! وكان ان استلم - محمود - حصة اخيه - محمد - لانه كان في انكلترا. واعطى - محمودا - وكالة قانونية عنه»..

وهنا اقترحت على - محمود - ان يبني الارض التي نمتلكها قبل ان ترتفع اسعار المواد الانشائية اكثر فأكثر. فأجابني الى ذلك وكلف «شريف» من اصدقائه المخلصين بأن يضع له تصميم البناء. وقد عملنا على شراء مواد البناء كلها مرة واحدة. وبدأنا في البناء. ورحت اشرف بذاتي عليه لان زوجي كان مشغولا بمسؤولياته الوطنية...

كان ذلك في عام (١٩٤٠) وكنت - يومها - انتظر حدثا سعيدا وقد تحقق فقد تمت خطوبة اختي للملازم الاول (مفلح علي) وكان فلسطيني المولد عراقي الجنسية واستاذا في الكلية العسكرية.

وفي تلك الايام داهم المرض «المغيرة» وباشرت بعلاجه تحت اشراف طبيب اطفال حاذق اسمه (ليدرو) وقد استخدم في مستشفى حماية الاطفال، له عيادة خاصة! وهكذا. اصبحت نهبا مشاعا بين معالجة ولدي من جهة، والأشراف على بناء الدار من جهة اخرى وتهيئة جهاز اختي العروس الجديدة من جهة ثالثة!!.

واحمد الله على شفاء (المغيرة) بعد مدة، وزفاف اختي العروس على زوجها. وتمنيت لها السعادة كلها! والغريب ان والدتي حين مرضها كانت لاتميل الى زوج اختي ولاتحبه. بل لاتستطيع التحديق فيه، على عكس - محمود - الذي كانت تحبه وتتجاوب معه في كل شيء! حقا انه لهاجس خفي غريب لان (مفلح علي) لم يبدر منه شيء ينفر او يدعو الى كراهيته!!

بعد هذا مرضت امي وجلبنا لها الطبيب المختص، فقال لاتقلقوا عليها لان قلبها سليم. فارتاح محمود ودنا، منها، فطبعت على جبينه قبلة الام الحنون ودعت له بالخير والبركة والتوفيق.. فسر من صحتها ودعائها غاية السرور، وتمنى لها الشفاء العاجل، وكم كانت مرحة عندما بشرناها بميلاد اخ للمغيرة، وقالت بأنه سيكون صبيا فشابا ورجلا - والحمد لله - ولم ندر كلانا بأن وضعها الصحي هذا من قبيل صحوة الموت!! وان هذا اللقاء معها هو اللقاء الاخير! فلم نكد

نصرف لبعض الشؤون العائلية، ونعود ادراجنا، الى البيت، حتى لمحت خادمة اختي تجيء الى البيت وهي تبكي وتخنقها العبرات، وتقول.. لقد ماتت الوالدة بعد خروجك، حيث استلقت على السرير وغطت في النوم، وبدا وجهها بالاصفرار. فأخبرت شقيقتك بذلك، فهرعت اليها في اللحظة التي توقف قلبها وفارقت الحياة، ورجعت روحها الى ربها راضية مرضية... عاد محمود مسرعا الى البيت، فلم يصدق الخبر! ! وعندما هممنا بالذهاب اليها فورا منعني من الذهاب معه وقال لي ما الفائدة من المجيء معي، وان حالتك لاتحتمل هذه الصدمة الاليمة، فابق في الدار واعتن بالمغيرة، وهكذا كان رغم توسلاتي الكثيرة..

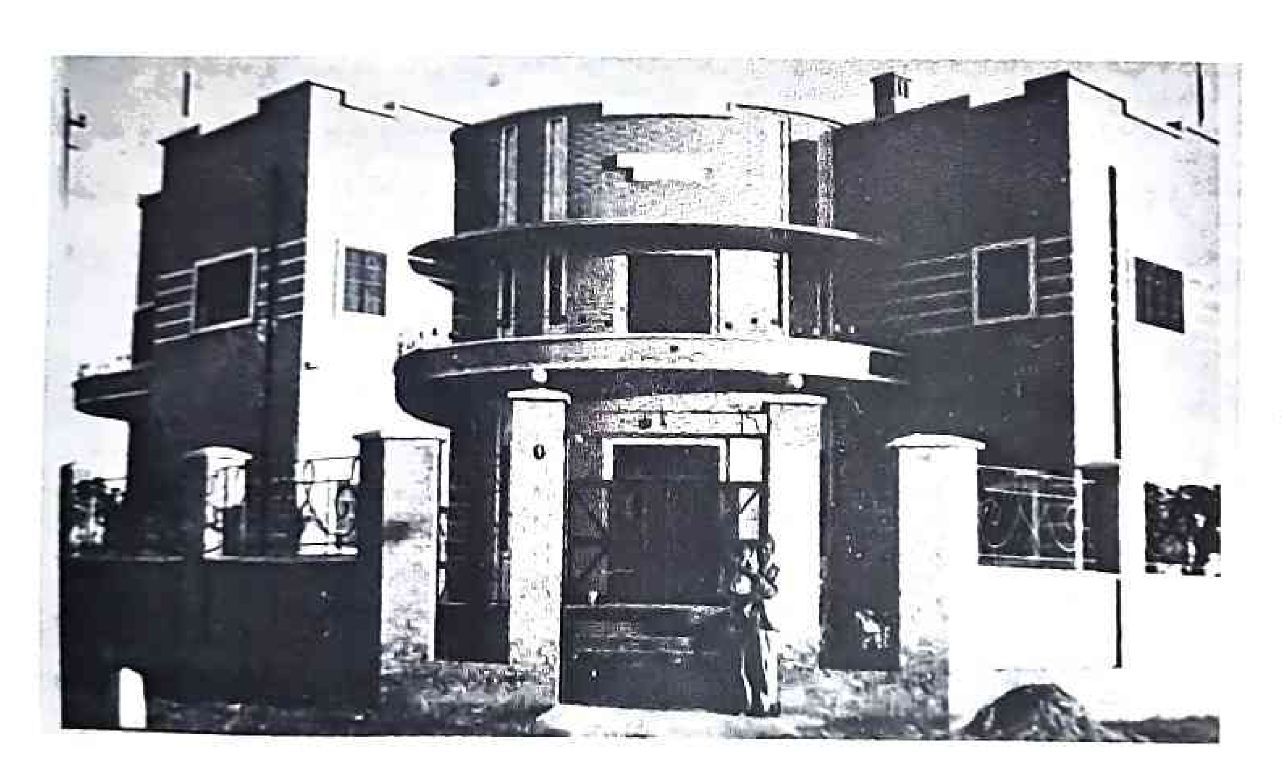
مسكينة هي والدتي، لقد تعذبت سبع سنوات وهي طريحة الفراش مشلولة، وفاقدة النطق لاتقوى على الكلام الا بالاشارة وبعض الكلمات المتقطعة! ! اواه يارب! ماذا جنت هذه المسكينة، فتلقى مثل هذا العذاب، وتتجرع العلقم والصاب اهذا جزاء صبرها وايمانها وتضحياتها في سبيلنا؟! رحماك ايتها العزيزة الراحلة» لقد كنت لنا خير ام في الوجود.

الا، اسكنك الله فسيح جناته بانعم القانتات.. لم اذق للنوم طعما في تلك الليلة الحزينة، وكذلك محمود الذي كان يواسيني ويقول.. اتبكين عليها الان، لقد بكيناها قبل سبع سنوات، والحمد لله لقد اخذها الله الى جواره وانقذها من هذا العذاب... - يامديحة - لا اريدك باكية ساهمة الطرف بعد اليوم، وبعد فقد الام الحنون.. الم اكن لك في مقام الاب والام والاخ والصديق والزوج وكل شيء في وقت واحد! وهكذا كان يخفف عني وعن اختي ما نطوي عليه من مرارة واسف...

وقد ساءت صحتي بعد وفاة والدتي، وعاودني مرض (الدزنتاريا)، وبلغت من الضعف والهزال حداً لايوصف، واثرت على صحتي ابر (الاميتين) التي كنت لااتحملها، وكدت اشرف على النهاية، والموت! وقد جيء بطبيب عسكري مصري الجنسية، فاعاد فحوصاتي، واكد لي بأن «الجنين» الذي يختلج في احشائي لم يمت، واخذ يراقب وضعي الصحي مع الايام، وكذلك وضع الجنين لعدة ايام، حتى انه حضر ساعة الولادة وانا في المستشفى، يشرف علي امهر الدكاترة المعروفين يومذاك.. ولايمكن ان اصف - محمودا - في تلك الايام والساعات الحبالى الثقال، حتى من الله علي بالوضع السهل، بل اسهل من المرة الاولى، وقد رزقت طفلا قويا سليما في وزن الطفل الطبيعي، الامر الذي اثار دهشة الاطباء الذين كان بعضهم بل جميعهم يعتقدون بأن الطفل سيولد ميتا! ! وفي احسن الاحوال هزيلا بحيث لايعيش الا نصف ساعة! ! كما كان الاطباء غير واثقين من سلامتي، ولكن الله سلم، بفضله، وبعناية الاطباء الفائقة... فكنت وطفلي سليمين باذن الله.. (ان الله يحي العظام وهي رميم).

معد سلمان

اسمينا الطفل الجديد «معد»، وبدأت حياة جديدة واصبحت اما لطفلين. وكم كان سرور - محمود - بالغا بهذا المولود السعيد الجديد «الذكر» لانه كان يفضل الاولاد على الاناث، شأن الكثيرين من الاباء، وذلك بالضد مني فقد كنت اتمنى ان اخلف بنتا! ولهذا فقد كانت موجة الفرح بالنسبة لمحمود تطغي على موجة الفرح بالنسبة لي...



دار الشهيد محمود سلمان في الوزيرية في بغداد وكانت تعقد فيها العديد من الاجتماعات مع الضباط والساسه المعنين في الشؤون العربية والقومية.

البيت السعيد

إكتمل البيت الجديد الذي شرعنا ببنائه، وأصر محمود على الانتقال اليه خلال مكوثي في المستشفى وبسبب سوء صحتي كانت رغبة محمود أن يجد مربية «لمعد» ولم أكن أرغب في ذلك لاعتقادي بأنه لا يصح ترك الأطفال بيد الخدم والمربيات اللواتي لا يشعرن بأية عاطفة نحوهم

وهده -كما أراها- من المشاكل العائلية والاجتماعية في عراقنا. ولهذا و بعد دور النقاهة فقد عنيت -بمعد- عناية تامة من حيث الطعام والحمام والملابس بحيث كانت صحته جيدة جداً وطباعه هادئة ونومه في الليل اعتيادي بعكس أخيه تماماً «المغيرة» الذي كان يغار من أخيه كثيراً و بعد تحسن صحتي أكملت تأثيث البيت وترتيبه وكان بيتاً جميلاً منسّقاً تنسيقاً جيداً وكان أجمل بيت في المنطقة حتى أن بعض صديقاتي كن يحسدنني على مثل هذا البيت المثالي.. تماماً كما يحسدنني على زوج مثالي! ! بل أحيانا يصرحن لي بهذه الغيرة والحسد وحتى بعض الأقارب كانوا على هذه الشاكلة من الحسد والغيرة! !ولكني كنت عندما أسمع وأرى مثل هذه الظاهرة أشعر بالغبطة والرضاء والسعادة كان بيتي مفتوحاً امام جميع الأقارب والأصدقاء وغيرهم وكانت الموائد يدعى اليها القريب والبعيد وكان لسان حالهم يقول «من لنا غير أم المغيرة»! وكان محمود أحيانا يعتذر مني أمام الأتعاب التي أبذلها في سبيل تهيئة البيت والموائد للضيوف الكرام وكنت أقول له بأني مسرورة كل السرور...

ماكان يعكر صفو حياتي السعيدة.

الواقع وكما نوهت في ذكريات سابقة هو أن كل ماكان يعكر سعادتي هو استمرار -محمود- على الطيران وكنت أرجوه بين الحين والحين أن لا يطير يومياً... وكان يسافر -طائراً- بين وقت وأخر لتفقد شؤون القوة الجوية في الموصل والبصرة وكان يعود في نفس اليوم في بعض الأحيان.. وأشد ماكان يقلقني ذلك الهاجس الخفي الذي يناديني من الأعماق بأن أحداً من المنافسين -لمحمود- على منصبه المرموق هذا، قد يعمد الى احداث خلل في الطيارة التي يمتطيها -محمود- وقد يقع ماليس في الحسبان وهذا ما أخشاه وما يعكر عليَّ صفو هذا البيت السعيد! ولكن -محموداً- في شغل شاغل عن كل هذه الهواجس والتصورات..

نجاة - محمود- بأعجوبة! !

....ذات يوم أخبرني -محمود- بأنه سيسافر الى الموصل فسألته هل أعد طيارة لسفره !؟ قال طبعاً..قلت له -اسمع -يامحمود- كنت طلبت منك أن تكون حذراً عدة مرات ولكنك لم تعرني أذناً صاغية في كل المرات! ! فلماذا لم تدع احداً من الذين تعتمد عليهم وتطلب منه اعداد الطيارة باسمه حتى اذا ماحال موعد السفر طرت بها أنت مايضرك لو عملت باقتراحي هذا!؟ ألا تهمك حياتي!؟ومتى كانت حياتك لك وحدك ؟ عدني -يامحمود- بأنك ستأخذ حذرك بعد

الآن... فضحك وقال. لا تكوني -يامديحة- ضعيفة على هذه الصورة ومع ذلك فسأرضيك بعد الآن فأطمأني! وسأكلمك تلفونياً من الموصل فأطلبي ماتشائين من حاجات أبتاعها لك من هنالك...

وفي صباح اليوم التالي غادر بغداد الى الموصل وأخبرونا من المطار بأنه وصل سالماً والحمد لله وبعد هذا كلمني هو بالذات من الموصل ...وفي اليوم الثاني وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً كلمني -محمود- من بغداد وأنه سيأتي الى البيت حالاً... لقد وصل الدار وهنأته بسلامة الوصول والعودة وقال أرجو أن لا تشغلي بالك بعد الآن بالمخاوف والهواجس لأنك في هذه السفرة قد أثرت على أعصابي وكدت أموت لولا أن الله رأف بك فأنقذني من الموت المحقق بأعجوبة! وهنا خلع قميصه وكشف عن ذراعه فشاهدت عليها جروحاً فقلت ماهذا؟ قال هذا ماكنت أقوله لك الآن. لقد كان بيني وبين الموت شعرة واحدة! وكانت تحذيراتك السابقة لي صائبة وفي محلها... فكنت لا أتصور مطلقاً بأن هنالك من تسول له نفسه بارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة!! ويظهر أني كنت مخطئاً وأنك على صواب!! لقد غير عصا القيادة في الطيارة وهذا أمر قد لا يفطن له الطيار وهو على الأرض ولكن عندما ترتفع الطيارة في الجو تطير مائلة!! وطالما كانت محلقة في الجو فلا خطر أبداً وأنما الخطر كل الخطر هو في حالة النزول حيث تنزل الطيارة على جناحها الأمر الذي يسبب اصطدامها بالارض واحتراقها... ولذلك عندما رأيت وضع الطيارة على هذه الحال وأنا فوق مطار بغداد قدرت النتائج الوخيمة وقررت مواصلة السفر. واذا ما قدر لي الموت فلأمت بعيداً عن عين هذا السافل الذي قام بمثل هذا العمل وصلت الموصل وكان في استقبالي في المطار جمع غفير وعلى رأسهم متصرف لواء الموصل وآمر المنطقة.. وعندما عرف الطيارون وضع الطائرة عرفوا النتائج المرتقبة هرعوا لاستحضار سيارتي الاسعاف والاطفاء وطبيب... وكانوا كلهم هلعين ومنتظرين نزولي فتوكلت على الله ونزلت... وفي تلك اللحظة ومصيري بيد القضاء والقدر كنت ماثلة في ذهني وكأنك تعاتبيني بقولك مراراً لم لم تستمع الى نصيحتي!؟ يشهد الله ويعلم بأني -يامديحة- ماخفت من الموت في كل حياتي ولكن خفت أن أحرم منك!! ولدى وصولي الارض اصطدم جناح الطيارة وأنكسر فكان هذا الكسر منقذي حيث ارتطمت الطيارة بالأرض وكانت قريبة جداً منها فلم أصب جراء هذه الصدمة الا بهذا الجرح في يدي حتى أني لم أحتجْ الى اية اسعافات والحمد لله كما حمد الله الجميع وجعلوا يهنئوني بالسلامة وغير مصدقين بأن تكتب لي الحياة من جديد!!! وهذا -يامديحة- يؤكد لك- كما قلت قبل الآن- بأني لن اموت مغتالا. ولا بمكيدة مدبرة كهذه!! فقلت له... وماذا ستعمل تجاه هذا الحادث؟ هل طلبت تشكيل مجلس تحقيقي لمعرفة الجاني قال لا... ولكن نجاتي وحدها ستكون الجزاء الاوفى والعقاب الأشد وكفى! شكرت الله وحمدته وذبحت القرابين على نجاته وسلامته.....

سقوط وزارة نوري السعيد
تشكيل وزارة الكيلاني.
إجتماعات وزارية ليلية في دارنا.

كانت وزارة نوري السعيد قد اضطرت على الاستقالة بسبب ضغط القواد العسكريين الأربعة عليها فتألفت وزارة جديدة برئاسة رشيد عالي الكيلاني وذلك في سنة ١٩٤٠، وقد شارك في التشكيلة الوزارية الجديدة (نوري السعيد) وزيراً للخارجية وكذلك (طه الهاشمي) وزيراً للدفاع وقد سارت الأمور العامة على أحسن مايرام في البداية... فقد كان -الكيلاني- على اتصال دائم مع القواد لأخذ مشورتهم في كل القضايا الهامة التي يتوقف عليها مصير البلاد في تلك الظروف المحروبة. وكذلك كان (طه الهاشمي) متضامناً متفاهماً مع القادة الذين يبادلونه ويبادلهم الثقة والحب والاحترام وبخاصة زوجي -محمود سلمان- الذي كانت علاقته بالهاشمي متميزة ووطيدة.. فاستقرت شؤون البلاد الداخلية واكتسبت الوزارة الكيلانية ثقة الشعب لأن المصالح الوطنية كانت قبل مصالح الانكليز الأمر الذي أثار حقد الانكليز وعملائهم وأخذوا يتربصون بالحكم الدوائر.. وعندما كان الانكليز يتقدمون ببعض المطالب كان رئيس الوزراء يعمد الى الاجتماع الفوري بالقادة ويتناقش وإياهم في تلك المطالب ويخرجون برأي واحد وموحد إيجاباً أو سلباً فيبلغ الانكليز بالقرار ! وهذا مالم تألفه السياسة البريطانية من قبل في العراق!

وكانت الاجتماعات الهامة من هذا النوع تعقد في دارنا في كل ليلة تقريباً وكنت أحرص على استبعاد الخدم عن غرفة الاجتماعات لكي لا يتسرب أي خبر من خلال هؤلاء كما جعلت من نفسي حارساً أميناً على محل الاجتماع الا أني كنت أسترق السمع لما كان يدور بينهم من مناقشات وحوار صريح....وقد يستمر الاجتماع الى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أحياناً... وكان الكيلاني يؤكد مرة بعد أخرى لاخوانه القواد على السير وفقاً لرغباتهم ومقترحاتهم اذا ما احتفظوا به رئيساً للوزراء وكانوا يطمئنونه من هذه الناحية شريطة أن تكون مصالح البلاد الوطنية والقومية هي فوق كل الاعتبارات الأخرى.. وقد نسيت أن اذكر ان استقالة نوري السعيد أو إقالته كانت بسبب رغبته في تنفيذ رغبة الانكليز وهي قطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع المانيا وإيطاليا-أي دول المحور- ومن ثم اعلان الحرب ضد دول المحور مما سبب تدخل القادة العسكريين في سياسة البلاد العليا لكي يجنبوا البلاد كوارث الحرب العامة وويلاتها! وكل ما استطاع -السعيد- عمله هو قطع العلاقات مع ألمانيا فقط ! !

المرض يداهم زوجي محمود

...وأخيراً وبسبب الجهود والاتعاب التي كان محمود يمارسها في الليل والنهار داهمه المرض وارتفعت درجة حرارته الى ٣٩٫٥ ولم يقعده هذا عن مواصلة جهوده الوطنية مع أخوانه الأحرار. وقد أجرى الكشف عليه بعض الأطباء المعروفين يومذاك واعطوه الأدوية المناسبة وقد طار صوابي عندما ارتفعت درجة حرارته الى (٤٠) ذات ليل لم يغمض فيه جفني. وكان الدكتور هاشم الوتري في مقدمة الأطباء المشرفين على علاجه وكان -يومها- عميداً للكلية الطبية. واختصاصياً في الامراض الداخلية في المستشفى الملكي. وكان من أصدقائنا المقربين والطيبين منذ حداثتي. وقد أقترح أحد الأطباء نقله من المستشفى الى البيت فلم يوافق مبدئياً الدكتور الوتري لكنه عاد فوافق عندما قلت له بأنه سيكون تحت اشرافي وأكون بدوري الممرضة التي تسهر على علاجه ومداراته! وقد حدث أن رأيت أحد الأطباء يعد حقنة (الكنين) ليعطيها الى محمود فاعترضت وقلت بأني لا أسمح باعطاء أي دواء في هذا اليوم لانه قد أخذ أدوية ضد المرض وهي حقن (التيفوئيد) التي كثيراً ماأودت بحياة الناس من الاشتباه بالتشخيص..فضحك الدكتور الوتري وقال... معك الحق يامدام والتفت الي زملائه وقال.. ألم أقل لكم انها ممرضة يعتمد عليها!؟ لا تعطوه شيئاً الا بعد مضيّ أربع وعشرين ساعة...ولولا ملاحظة المدام هذه لقتلنا المريض بتضاد الأدوية!! فخرج الأطباء بعد أن طمأنوني على صحة محمود..

مع فهمي السعيد

وبقيت الى جانب محمود.. كما بقي الأخ الجار فهمي سعيد الى جانبه للاطمئنان والعناية به...وما أن أخذ أول حقنة من (الكينين) حتى تحسنت صحته خلال عشرة أيام فلم تعاوده الحمى بل إستعاد قواه وحيويته وغادر السرير بعد خمسة عشر يوماً حيث باشر الدوام الرسمي. وخلال مدة المرض كان بيتنا يقصده الأخوان والأطباء والأقارب ومن كل الصنوف العسكرية والشرائح الاجتماعية للسؤال عن صحة - محمود الذي كان ينطوي على قلب كبير واندفاع زائد لقضاء مصالح الناس والمعوزين منهم بوجه خاص... والواقع أن محموداً كان وحيد زمانه في كرم الأخلاق وسخاء اليد بالاضافة الى كونه رب أسرة ممتازة.. ان حب الناس وتقديرهم له كان يزيدني اعجاباً وتعلقاً به وحرصاً على حياته! ولهذا فكنت أردد في أعماقي وفي دعائي! ياإلهي كم سأعيش مع هذا الرجل النادر وكأن صدىً من الأعماق كان يجيبني بأني لن أعيش معه طويلاً! إنه لغريب هذا الشعور الذي ينتابني ويقلقني وبخاصة عندما أساهر الليل او قد يستيقظ أحياناً

فيقرأ ما يتردد في نفسي وذهني فيبتسم ويقول... ماأجمل وأروع أن يموت الانسان هكذا وهو في فراشه ونظرات من تحبه تودعه الوداع الأخير! وأني عندما اسمع هذا منه لأكاد ارتجف وارتعد فأعاتبه على ذلك ولكنه يرد عليَ بأن لا تخافي من الأموات والموت واني لن أموت هنا على فراشي! وسرعان ما يغير الحديث فنقضي بقية الليل بالصمت البليغ وينظر كل منا الى وجه الآخر وكأن كلاً منا يتعبد الله في شخص صاحبه وشريك حياته! حقاً إنه المحراب المقدس الجو العائلي السعيد عندما يغمره الايمان بالحب والطهر والحنان!

ولم يكن –لمحمود– ذلك الوقت الكافي الذي يقضيه معي بسبب واجبه الوطني الذي يأخذ منه القسط الكبير من الليل والنهار فلم نعد نخرج معاً للتنزه والتفسح والسينما. فكنت أقضي وقتي في تدبير شؤون البيت والأولاد وزيارة بعض الصديقات.. وكنت أطالع الكتب وأتصفح المجلات في الليل عندما يكون محمود في لقاءاته مع أصحابه في داخل البيت أوفي خارجه....

القادة والانكليز

...ولقد كان الانكليز يرقبون القواد بعين الحذر والحيطة عندما تزعزعت الثقة بين الطرفين ولم يعودوا مرتاحين وآمنين من جانبهم.. وقبيل إستقالة وزارة نوري السعيد كان المستر (إيدن) وزير خارجية بريطانيا قد قدم الى مصر للاطلاع على الأوضاع السياسية والعسكرية عن كثب..وكان قد استدعى الى مصر (توفيق السويدي) وزير خارجية العراق فأبلغه بأن حكومة صاحب الجلالة –أي بريطانيا– غيرمرتاحة من تصرفات القواد العسكريين وأنهم يقفون دائماً في وجه المطالب البريطانية وضد مصالحها الحيوية في العراق وطلب الى السيد السويدي أن تعمل حكومة العراق على التخلص من القادة بأية وسيلة كانت.. ترى ماذا كان في استطاعة الحكومة العراقية أن تتخذ من الأجراءات ضد القادة ولا ذنب لهم الا وطنيتهم اللاهبة والا وقاية عراقهم من ويلات الحرب.. وبسبب هذا الموقف الوطني البطولي فقد ازداد الجيش تعلقاً بهم وباتوا قوة مرهوبة الجانب ولم يهادنوا أو يلينوا أمام الانكليز ووزير خارجيتهم (إيدن)!

! ومن هنا فقد حاول الانكليز أن يداروا الموقف باسلوب آخر وهوأسلوب الاغراء والمجاملة والتودد لا أسلوب الوعيد وقد نسوا –أي الانكليز– أن هؤلاء القادة لم يكونوا في يوم من الأيام من ذوي المطامع الشخصية ليجذبهم الاغراء والارشاء وان الذين يسعون لخدمة أوطانهم يهون عليهم التضحية والفداء في هذا السبيل... ومع ذلك فقد كان السفير البريطاني في بغداد يدعو (القواد) منفردين لتناول العشاء على مائدته كما كان يحدث كلاً منهم بمطالب بريطانيا من العراق

مادامت الحرب العامة الثانية قد تفجرت ومن الطبيعي أن يفشل السفير البريطاني في اسلوبه الجديد معهم وان يكون «القادة» في أجوبتهم وردهم على السفير موحدي الكلمة والموقف! وأكثر من هذا فقد كانوا يسائلون «السفير» البريطاني عن السبب الذي يحدوه الى دعوتهم والحوار معهم وهم ضباط عسكريون وليس اعضاء في الوزارة العراقية!؟ فاذا ما اراد السفير موقفا جديداً من العراق فما عليه غير الاتصال بالحكومة القائمة والتفاوض معها بالطريقة الدبلوماسية التي يرتأيها! وهي حكومة مستقلة ذات سيادة تربطها معاهدة صداقة موثقة مع الحكومة البريطانية!! وقد كانت أجوبة القادة هؤلاء مصدر ازعاج للسفير البريطاني ويجيبهم بصراحة بأن الحكومة غير قادرة على التصرف قبل أن تأخذ مواقفهم سلفاً.

المربع الذهبي!! والسفير البريطاني[1]

ويقول السفير البريطاني في الحديث مع القادة الأربعة الذين أطلق عليهم «المربع الذهبي» من قبل بعض المعلقين الموتورين الانكليز!؟ أنهم الكل في الكل ومركز الثقل في سياسة العراق وهكذا فشل «السفير البريطاني في حواره مع القادة الذين سدّوا عليه الطريق من جانبهم فحاول الانكليز اقالة الوزارة لتنفيذ كل مطالبهم -غير المشروعة- وتجاوز إطار المعاهدة العراقية - البريطانية نصاً وروحاً. وكان ذلك في وقت كانوا فيه يحاربون دول المحور وتتضاعف خسائرهم المادية والبشرية....

إجتماع فوق العادة
تعقده الحكومة العراقية

في تلك الأثناء طلب (نوري السعيد) عقد إجتماع وزاري طارئ ليعرض على إخوانه الوزراء تلك البرقية الهامة التي وصلته من الحكومة البريطانية بصفته وزيراً للخارجية وكان مضمون البرقية ان (حكومة صاحبة الجلالة) غير مرتاحة من حكومة العراق وأنها تطالب باقالتها لأنها تشعر بعدائها لبريطانية ولمصالحها في العراق والشرق الأوسط... وبعد تلاوة البرقية على الحضور قال..ها أنا أقدم إستقالتي من الوزارة لأن تدخل -بريطانيا- على هذه الصورة المكشوفة مريب

(١) هكذا كان يطلق عليهم من قبل بعض «المعلقين» الانكليز وغيرهم نكاية بهم.

واني لا اتحمل مسؤولية الوزارة بعد الان ولا مسؤولية النتائج والمضاعفات! وقد قدم استقالته فعلاً لرئيس الوزراء (رشيد عالي الكيلاني) حينذاك فتناول منه الاستقالة وعلق على ذلك بقوله... بما أن العراق يعتبر دولة مستقلة فلا معنى أبداً للتدخل فاني أقترح رفع احتجاج على هذا التدخل البريطاني السافر. وأذا ماشاء أي واحد منكم أن يتقدم باستقالته من الوزارة فليفعل كما فعل (نوري السعيد)! وأني لمستعد البقاء بمفردي في الحكم وأشكل وزارة أعضاؤها أنا فقط!! فما قولكم فيما أقول.. فما كان من الوزراء الا أن تحمسوا وقرروا جميعاً رفع مثل هذا الأحتجاج والالتزام بعدم تقديم الاستقالة في تلك الظروف الحرجة!! ومن ثم تقدم السيد طه الهاشمي من رشيد عالي الكيلاني وأخذ منه إستقالة (نوري السعيد) وأعادها إليه وقال... احتفظ باستقالتك هذه لحين ورود الجواب على الاحتجاج الذي نرفعه وذلك أفضل !

إجتماع الكيلاني مع القادة في دارنا

وفي مساء ذلك اليوم إجتمع السيد الكيلاني مع القادة وكان الاجتماع كالعادة في دارنا فعرض عليهم كل ماكان قد دار في مجلس الوزارة في الصباح وكانوا قد سمعوا بكل هذا من قبل فسروا بهذا الموقف وهنئوه عليه وشجعوه بكل قوة وحماسة واذا ما استمر على ذلك فانهم سيدعمونه ويعضدونه أبداً ودائماً! فاعطاهم وعداً قاطعاً بالاستمرار على هذا الموقف اذا ماستمروا هم بدورهم على هذاالموقف وكانوا في إنتظار الجواب على الاحتجاج الذي رفع في حينه الى الحكومة البريطانية! وفي غضون عشرة أيام فقط جاء الجواب المنتظر وأصر (نوري السعيد) على فتحه وتلاوته أمام (الوصي على العرش) لأن الوصي بدوره كان قد أطلع على البرقية الأولى وصيغة الاحتجاج وكان يميل الى استقالة الوزارة... تماماً.. كما هو رأي نوري السعيد... وهكذا اختلفوا جميعاً الى البلاط الملكي واجتمعوا بالوصي على العرش... وقبل فتح الجواب قال الوصي... سترون ماذا سيكون الرد واني لأظن أن الرد ليس في صالحنا!

لقد فتحت البرقية وقرئت واذا بها تنطوي على اعتذار من قبل الحكومة البريطانية وان المطالبة (باقالة الوزارة كانت بسبب سوء تصرف من لدن -السفير البريطاني- في بغداد وأنهم لا علم لهم بتصرف السفير هذا.. وفي ضوء هذه الأسباب فالحكومة البريطانية لا يسعها الا تقديم الاعتذار جراء هذا التصرف وأنها ترجو معاضدة العراق في هذه الظروف العسيرة! وفي ذات الوقت وردت برقية أخرى من الحكومة الامريكية تعتذر بدورها عن تصرف السفير البريطاني وتهوره في هذه الظروف .. وأكثر من هذا فقد أكدت -البرقية- على ان حليفتها -بريطانيا- ستقوم بسحب سفيرها من بغداد وتعيين غيره بالنظر لموقفه هذا دون الرجوع الى حكومته وأخذ

استشارتها! وبعد تلاوة البرقيتين التأريخيتين الهامتين التفت طه الهاشمي الى نوري السعيد وقال له... ماهذا الا لعب بمقدرات الدولة ونحن لا نسمح بذلك وهكذا إنفض الاجتماع (وكل يغني على ليلاه!!).

اجتماع، الكيلاني، بالقادة

وفي المساء اجتمع – الكيلاني – بالقادة، ونورهم بما هنالك، وبالجواب على الاحتجاج، فقرروا بدورهم اخراج (نوري السعيد) من الوزارة، وتعديل الوزارة بشكل يضمن مصلحة العراق العليا... وفعلا وفي اليوم التالي انصرف «القادة» الى نوري السعيد وطلبوا منه تقديم استقالته من الوزارة بعد احتدام المناقشة بين الطرفين. ولما رأى (السعيد) اصرارهم على استقالته وعدهم بتقديمها في الغد، وقد نفذ وعده بذلك، ولكن الوصي على العرش لم يوافق على قبول الاستقالة، إلاّ اذا استقال (ناجي شوكت) من الوزارة كذلك وفي هذه الحالة.

فانه – اي الوصي – سيقبل الأستقالتين في ان واحد!!

ومن ثم تذاكر القادة مع – الكيلاني – وشوكت في رغبة الوصي هذه وبسبب الموقف الحرج الدقيق، ارتأوا ان الافضل ان يستقيل – ناجي شوكت – من الوزارة، ما دام هذا شرطا لخروج السعيد من الوزارة، وهكذا كان... فقد قدم ناجي شوكت استقالته، ولكن الذي حدث هو ان (الوصي) عندما رفعت اليه الاستقالتان، وافق على قبول استقالة (ناجي شوكت) ولم يوافق على استقالة (نوري السعيد)! الامر الذي حمل القادة على ان يتخذوا موقفا جديدا حديا فوضع الجيش تحت الانذار واجتمع مجلس الوزراء مساء لتدارك الامر... فقرروا ارسال مندوب الى الوصي واخباره بان الجيش يطالب باستقالة نوري سعيد واصدار ارادة ملكية بتعيين كل من (على محمود الشيخ علي) و (يونس السبعاوي) بدلا من الوزيرين المستقيلين.. وظل مجلس الوزراء مفتوحا ومستمرا في انتظار الجواب على هذا المطلب! وقد نسب مجلس الوزراء ان يقوم بمهمة الذهاب الى (الوصي) زوجي محمود سلمان نظرا للصلة الوثيقة التي تربطه مع الوصي والعائلة المالكة... وهكذا قصد زوجي دار الوصي على العرش، ومعه استقالة السعيد، والاقتراح بتعيين الوزيرين المرشحين الجديدين... ولدى المقابلة مع الوصي تحدث معه بكل صراحة وابلغه برغبة الحكومة والقادة، واسدى له بعض النصائح واكد له بأنه موضع ثقة ومحبة واجلال من قبل

الجميع وان الكل ينتظرون رأيه الصائب في حل هذه المشكلة الطارئة! فرد عليه الوصي بأن سماحة السيد محمد الصدر موجود في - القصر - الان، وانه يري ضرورة الاجتماع به واخذ رأيه، وانه - اي الوصي - سوف يعمل بما يتفقان عليه.. وقد تم الاجتماع بين (الصدر) و (محمود) الذي نوّره بتفاصيل الموقف، وانه لاداعي لاصرار (الوصي) على عدم قبول استقالة (نوري السعيد) بعد الذي بدر منه، وان القادة يهمهم ان يبقى (الوصي) بعيدا عن المشاحنات والمشادات والاهواء الشخصية بين (الساسة)! فوافق السيد الصدر على ما عرضه عليه - محمود - ودخلا كلاهما على الوصي، فبادر (الصدر) بالكلام وقال، للوصي بأنه استمع الى رأي - محمود - فوجده رأيا صائبا، وانه ينصح سموه للاخذ بهذا الرأي لانه في صالح البلد ولصالح الجميع، وانه يوصي سموه بالإعتماد على ه محمود - لانه من اخلص الناس له وللعائلة المالكة والوطن.. وقد كان لكلام الصدر اثر عميق في نفسية الوصي، فوقع على قبول استقالة نوري السعيد، وهو متاثر وعصبي المزاج!! فشكره - محمود - وعانقه وارتمى الوصي على صدره، وصارحه بأنه يشك في اخلاص الباقين! ولكن - محمودا - طمأنه واكد لسموه بأن الكل يحترمونه ويخلصون له، وانه بعمله هذا قد انقذ البلاد، وجنبها الكثير من المشاكل والمضاعفات.

وقد طلب - الوصي - من محمود ان يأتيه بزملائه الاخرين ليجددوا يمين الاخلاص له فوعده بذلك.. وقد طلب محمود - من الوصي ان يوقّع على تعيين الوزيرين المرشحين، فأجابه، بأن يؤجل هذا الطلب الى الغد!! لانه تعب جدا هذا المساء! وقال (الصدر) حسنا! لنكتفِ اليوم بهذا، وغدا سأجلب بنفسي، امر التعيين، فشكرا الوصي وخرجا من لدنه قاصدين مجلس الوزراء الذي مايزال منعقدا ومنتظرا قبول استقالة نوري السعيد التي اطلع عليه المجلس.. ومن ثم طلب - محمود - من القواد زملائه ان يذهبوا معه الى سمو الوصي لتأكيد اخلاصهم له وتجديد القسم امامه لانه وعد الوصي بذلك تلبية لطلب الوصي نفسه.. وقد جرت المشاورة بينهم، وتم الاتفاق على ان يذهب محمود وصلاح الدين الصباغ والفريق امين زكي رئيس اركان الجيش، ويبقى فهمي سعيد وكامل شبيب، لانهم كانوا يوجسون خيفةً او خطرا من ذهابهم كلهم مرة واحدة!!. وهكذا قصد «الثلاثة» المذكورون سمو الوصي، وقابلوه وجددوا له عهد الولاء والاخلاص، واكدوا لسموه بأنهم لايضمرون له غير الخير، فخرجوا من لدنه في ساعة متأخرة بعد منتصف الليل، وعاد - محمود - بدوره الى البيت، ليقص علي ماجرى، ويحدثني حديث الامومة وعاطفة الامومة!

ما علاقة الامومة بمقابلة الوصي!؟

قال لي محمود.. ما كنت قبل الان اعرف حق المعرفة عاطفة الامومة... فقد كنت – كما تدرين – رسول الحكومة الى الوصي للتفاهم معه، فيظهر ان والدة الوصي كانت خائفة على ابنها – وهو وحيدها – فظلت ساهرة حتى نهاية اللقاء بالوصي! وماهي الا لحظة حتى فتحت باب الغرفة واطلت على ولدها لكي تطمئن عليه، واحمد الله ان يكون الامير في تلك اللحظة معانقا إيّاي وصدره على صدري، ويبدي تخوفه وتأثره من الوضع العام في البلد،... ان هذا العناق الحار مع الوصي كان مدعاة لارتياح والدته، ومعاذ الله ان يصدر مني اي شيء ضد هذا البيت الكريم.

هروب الوصي الى الديوانية!!

وفي اليوم التالي، كنا ننتظر صدور الارادة الملكية بتعيين الوزيرين الجديدين. علي محمود الشيخ علي، ويونس السبعاوي بدلا من الوزيرين المستقيلين، نوري السعيد. وناجي شوكت.. ولقد فوجئنا بمغادرة الوصي الى الديوانية واحتمائه بالفرقة العسكرية التي ترابط هنالك. وكان قائدها امير اللواء ابراهيم الراوي. وقد تواترت الانباء الموثوقة بأن الوصي لن يعود الى بغداد مالم تستقل وزارة رشيد عالي الكيلاني! ومن هنا توتر الوضع العام وتفاقمت الازمة» التي ما كانت منتظرة. فهرع القادة الى الاجتماع الطارئ لتدارك الامر العصيب. وقرروا موافقتهم على استقالة الوزارة. لان ادارة شؤون المملكة قد شلت وتوقفت. واقترح – طه الهاشمي – على اخوانه العقداء ان يؤلف الوزارة الجديدة هو نفسه – اي الهاشمي – وطلب مؤازرتهم له فوعدوه بذلك لما يعهدونه فيه من الوطنية والاخلاص والحكمة في معالجة الموقف.. فرفع رشيد عالي الكيلاني استقالته الى الوصي شارحا فيها الاسباب التي دعته الى ذلك. وهي تدخل اليد الاجنبية في شؤون البلاد الى اخر ماجاء في تلك الاستقالة التأريخية! فأخذ طه الهاشمي بيده تلك الاستقالة وغادر بغداد بالطائرة الى الديوانية حيث يكون الوصي على عرش العراق! فعرض عليه استقالة الوزارة وتنسيب القواد له بتأليف الوزارة الجديدة فوافق الوصي على ذلك وعاد والهاشمي معا الى بغداد. وتم تأليف الوزارة الجديدة وسارت الامور العامة سيرا لاتحسد عليه حتى اشتد الضغط على الوزارة وعلى السيد طه الهاشمي رئيسها بالذات من قبل الانكليز وتقدموا بمطالب جديدة. واهم مطلب للانكليز هو توزيع القواد ونقلهم من بغداد لاضعاف قوتهم وهيمنتهم على الوضع العام. ومن ثم احالتهم على التقاعد للتخلص منهم نهائيا. لتكون اليد الانكليزية ويد الوصي طليقتين في تصريف الامور! وحاول طه الهاشمي ان يجد حلا – ولو حلا وسطا – بحيث لايضر

القواد ولايفرط بهم لانه كان يحبهم ويعتمد عليهم، وكان واثقا من وطنيتهم واخلاصهم... لذلك وبسبب ضغط الانكليز عليه، فقد ارتأى نقل كامل شبيب وفرقته من بغداد، ولكن القواد الاخرين لم يوافقوا بتاتا على هذا الرأي، كما انهم لم يوافقوا على نقل اي منهم من بغداد مهما كلفهم الامر. ومهما كانت النتائج، بالاضافة الى رفضهم مطالب الانكليز الاخرى التي لاتنسجم مع كون المملكة العراقية دولة مستقلة ذات سيادة! وعندما احتارت الوزارة الهاشمية بين ضغط الانكليز السافر من جهة، والمصلحة الوطنية العليا من جهة اخرى، تقدمت الوزارة باستقالتها الى الوصي، وعند ذاك، وعند ذاك فقط وقف القواد الاربعة وقفة رجل واحد واعلنوا اسم (رشيد عالي الكيلاني) المرشح الوحيد لتأليف الوزارة الجديدة، الامر الذي اغضب الانكليز. واخبروا «الوصي» بأنهم لايوافقون على ذلك، فعادت ازمة الحكم من جديد، وغادر الوصي بغداد سراً الى البصرة، واحتمى على ظهر بارجة انكليزية، حيث التحق به كل «من نوري السعيد وجميل المدفعي! وعندما شاع النبأ في الاوساط العامة، وبقيت البلاد من دون وصي على العرش، وبلا وزارة! كان لابد لتدارك الامر وذلك باعلان تشكيل – حكومة الدفاع الوطني، حيث تألفت من رشيد عالي الكيلاني وعلى محمود الشيخ علي، ورئيس اركان الجيش امين زكي، بالاضافة الى قواد الجيش الاربعة، فهمي سعيد، وصلاح الدين الصباغ، ومحمو سلمان، وكامل شبيب؟ وكذلك الزعيم قاسم مقصود، والعقيد نوري محمود.

انعقاد مجلس الامة

وقد طلبت حكومة الدفاع الوطني انعقاد مجلس الامة الذي كان معطلا يومذاك، وتحدث ناجي السويدي في تلك الجلسة الخطيرة باعتباره (مفتي الدستور) وابرز المشاركين فيه عن رأيه في هروب الوصي الى البصرة واحتمائه ببارجة انكليزية، فاتخذ القرار من قبل المجلس النيابي، بأن عملية الوصي هذه تعتبر تخليا عن الوصاية، ومن حق المجلس تعيين بديل عنه وصيا على عرش العراق.

وقد تم تنصيب (الشريف شرف) وصيا جديدا على العرش باعتباره من اشراف الحجاز ومن العائلة الهاشمية المالكة.. وبعد تنصيب الوصي الجديد جرى تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة (رشيد عالي الكيلاني)، وقد شارك فيها من الوزراء كل من ناجي السويدي، وناجي شوكت، وعلي محمود الشيخ علي، ومحمد علي محمود، ويونس السبعاوي، وموسى الشابندر ورؤوف البحراني، ومحمد حسن سلمان.

السفير البريطاني الجديد

في تلك المرحلة كانت بريطانيا قد سحبت سفيرها من بغداد. وعينت بدلا عنه (كورنواليس) الذي تعتبره بريطانيا خبيرا بشؤون العراق. لانه سبق ان كان مشاورا لوزارة الداخلية في العراق اعواما طوالا... وقد صادف مجيئه الى العراق في ابان ازمة الحكم في البلاد. وهروب الوصي عبد الاله الى البصرة. وتعيين الشريف شرف وصيا جديدا على العرش! وبعد تشكيل الوزارة الجديدة من قبل الكيلاني واستتباب! الوضع العام نسبيا. كان من المفروض ان يقدم السفير البريطاني الجديد اوراق إعتماده. الى الوصي الجديد. لكنه لم يفعل. واخطر الحكومة، بأنه لا يقدمها الا الى الامير عبد الاله الوصّي على العرش. وان الوزارة الجديدة ليست شرعية!! كان هذا الموقف من قبل السفير البريطاني وفق خطة مرسومة من قبل الانكليز الذين كانوا في تلك الفترة ينزلون قطعاتهم العسكرية في البصرة. وعندما يسألون عن السبب في هذا الانزال، يجيبون بأن هذه القطعات غير باقية. وانها ستمر عبر العراق الى جبهات القتال. بموجب بنود المعاهدة العراقية – البريطانية سارية المفعول...

اتصال القواد بالقصر الملكي مع الملكة الوالدة

بعد هروب – عبد الاله – وقرار تنصيب وصي جديد على عرش البلاد طلب القواد من زوجي – محمود – ان يتصل تلفونيا بالقصر الملكي. ويشرح الموقف للملكة الوالدة. ويؤكد لها ان ليس هنالك موقف عدائي تجاه شقيقها (عبد الاله). وانه لاخطر على العرش مطلقا. وان هذا الاجراء الموقت لتمشية الامور العامة حتى يعود عبد الاله الى بغداد!! ولكن زوجي رفض هذا التكليف الذي لايليق به!! لانهم – اي جماعة القصر يعتبرونه منهم. وانه له الدور الكبير في ترشيح عبد الاله للوصاية بعد مقتل غازي فكيف يكلم الملكة حول تنصيب وصي جديد غيره!؟ هكذا كان موقف زوجي في غاية الاحراج وبين دافعين اثنين.. دافع الوطنية والتضحية في سبيل البلد من ناحية. ودافع الوفاء للقصر الملكي من ناحية اخرى... وهنا تقدم صلاح الدين الصباغ. وتكلم تلفونيا – مع الملكة ليطمئنها وينورها بالموقف العام. فكان رد الملكة قاطعا وحاسما. وهو انها لا تعترف به. وانها لاتكلم سوى رئيس اركان الجيش.

وكانت لهجة الملكة شديدة وصارمة. وكلما طمأنها. واكد لها ان كل هذه الاجراءات موقتة ولصالح البلد. وانهم في انتظار عبد الاله. أكدت له بأنها لاتقبل بوصي على العرش سوى اخيها عبد الاله. وقطعت المخابرة التلفونية...

والجدير بالذكر ان الشريف شرف، قبيل تنصيبه وصيا جديدا على العرش كان قد ذهب الى الملكة، يستأذنها بذلك، ويؤكد لها ان هذا اجراء موقت حتى يعود (الامير عبد الاله. وان ليس هنالك حركة عدائية ضده، فكان رد الملكة بهذا الصدد قاسيا وجافا!!

اعتذرت من محمود!!

وفي غضون ذلك طلب مني - محمود - ان اذهب الى القصر، فأعرض على الملكة خدماتي، مع ولاء محمود، وتطمينها من ناحية اخيها، والتأكيد على ان زوجي يبذل كل ما وسعه ويضحي حتى بحياته في سبيل راحتهم وامنهم، ولكني لم اوافق لان الصورة القديمة التي كانت تربطني بالبلاط، والملكة بالذات قد تبدلت الان، واصبحت الان ضدهم!! وهنالك احتمال كبير. ان الملكة سوف تعتذر عن المقابلة فيما لو طلبت ذلك.. ولهذا فقد قبل محمود - عذري هذا لأنه منطقي وواقعي وطويت صفحة المقابلة وتركناها الى مايخبئوه المستقبل القريب بين طياته

تطور الموقف بسرعة!!

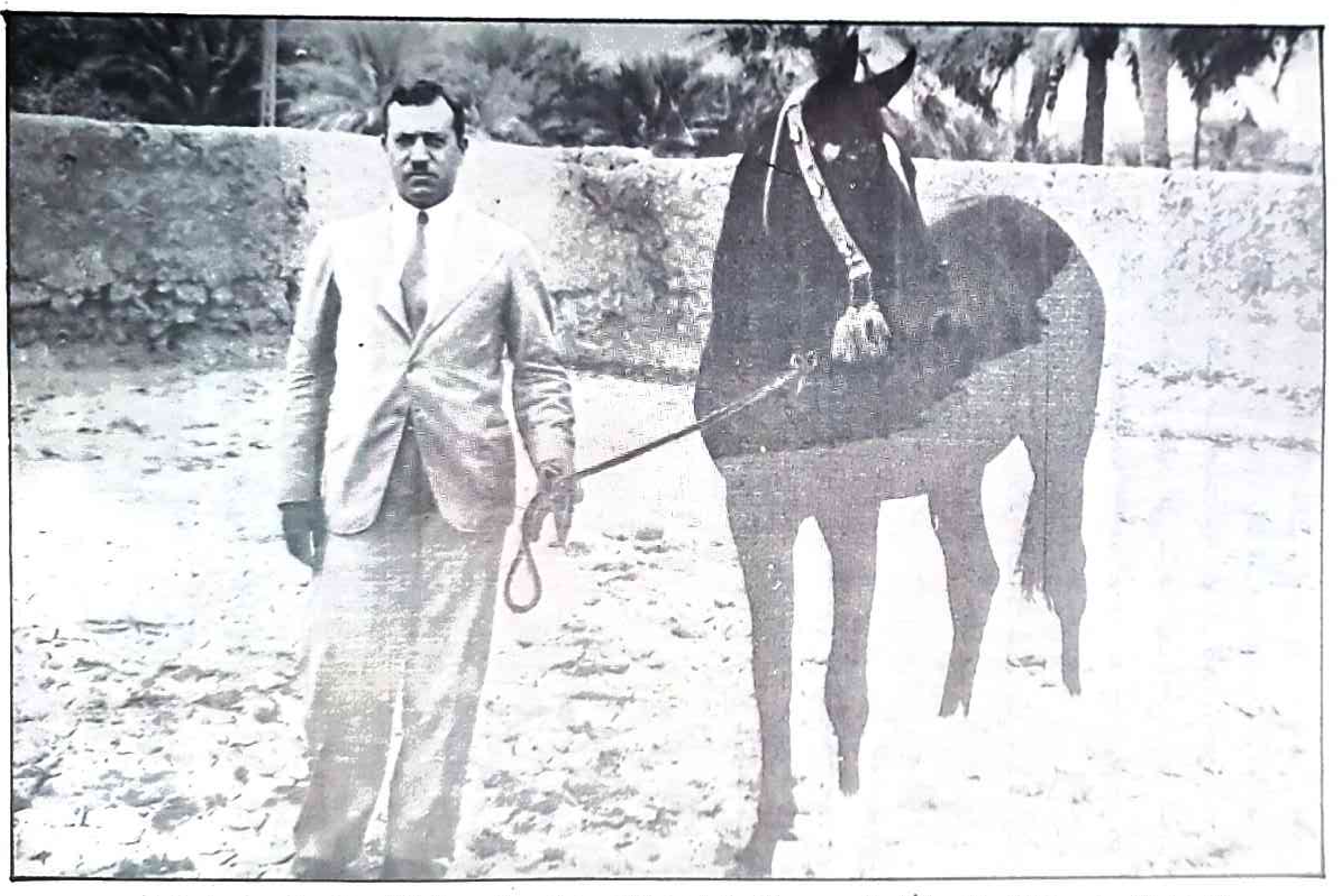
كان الشريف شرف قد نصب وصيا على العرش، وتألفت الوزارة الكيلانية فسارت الامو في البداية على احسن مايرام ولاول مرة في تأريخ العراق ذاق العراقيون طعم الحرية والاستقلال الكامل، حيث التف الشعب من حول حكومته الجديدة يدا واحدة وقلبا واحدا، يحدوهم الامل الجديد في طرد الانكليز وتمزيق المعاهدة الجائرة، وتجنب كوارث الحرب العامة الثانية....

ماذا عن الجيوش الانكليزية في البصرة!؟

الواقع ان الجيوش الانكليزية النازلة في البصرة، كانت تزداد باضطراد، وليس من علامة تدل على ان هذه القطعات ستغادر العراق باعتباره ممرا لامقرا كما صرح الانكليز انفسهم بذلك! وهذا معناه ان العراق سيحتل من قبلهم ثانية كما كان الامر في الحرب العامة الاولى!! وعندما يسألون عن موعد المغادرة كانوا يتذرعون بأوهى الاسباب. وخلافا للواقع!! واكثر من هذا فان السفير البريطاني الجديد لم يقدم اوراق اعتماده كما تقضي الاصول الدبلوماسية بذلك بالرغم من قيامه بزيارة وزير الخارجية مرتين والتباحث معه في بعض قضايا الساعة! هذا في الوقت الذي كان فيه تدفق القطعات العسكرية الى العراق مستمرا!! فلم تر الحكومة العراقية بدا من انذارهم

بضرورة مغادرة البلاد وفقا للوعد الذي اعلنوه، ومع ذلك فلم يرعووا ولم يأبهوا بصوت العراق الصارخ الذي لن يقبل عن الحرية والاستقلال بديلا، وقد بذل من التضحيات والدماء الكثير في الثورة العراقية (سنة العشرين)! ولكنهم اصروا واستكبروا، بعد ان كذبوا وماطلوا، وجعلوا يضعون الالغام امام حكومة الدفاع الوطني، ويعملون على اسقاط الحكم والمجيء بنوري السعيد او بمثله الى الوزارة لكي يحققوا نواياهم وينفذوا خططهم المرسومة في الميدانين العسكري والسياسي!

ولهذا فقد شدد الانكليز ضغطهم على (عبد الاله) لاسقاط الحكم بكل وسيلة. ولكن القواد الاربعة كانوا في كل مرة يرفضون مجيء نوري السعيد لخدمة مصالحهم الاستعمارية. ويسدون الطريق امام الانكليز، فلم يبق امامهم طريق يسلكونه غير طريق الثورة. ولكن الانكليز استمروا على النزول في البصرة واتخذوها مقرا لهم، الامر الذي حمل القواد على ان ينذروهم، ويطالبوهم بتطبيق نصوص المعاهد العراقية – البريطانية. وبخاصة البند الخاص الذي ينص على ان العراق يسمح بمرور قوات الانكليز عبر البلاد في حالة نشوب حرب. دون البقاء فيها!! ولكن ردّ الانكليز على طلب العراق هذا وفي كل مرة كان لايخرج عن اطار المماطلة والتسويف واللف والدوران!



هذا الجواد الاصيل هدية الملك غازي الأول الى محمود سلمان وقد اهداه الملك عبد العزيز السعود الى الملك غازي الصورة عام ١٩٣٩

الفصل الثالث

لقد دق ناقوس الخطر! !

في تلك الاثناء كان محمود – قد داهمه المرض، وكانت الاجتماعات اليومية التي كانت تعقد في دارنا، تجري في محل اخر، وماهي الا عشرة ايام بعد المعالجة حتى شفي – محمود – واكتسب الصحة والشفاء التام من فضله تعالى... وفي ذات مساء كنا نستمع الى انباء الاذاعة، واذا بجرص الباب يدق واذا بفهمي سعيد يدخل علينا. بملابسه العسكرية! ووجه الكلام الى – محمود – بعد السؤال عن صحته، عما اذا كان قادرا على الخروج معه الان. وكانت هيأة – فهمي سعيد، لا توحي بالارتياح والطمأنينة، وان هنالك امر ما عصيبا وخطيرا. فتأهب – محمود – للخروج معه توا، ولمحت صلاح الدين الصباغ خارج الدار في انتظار الاثنين! ! فسألت بدوري.. ماوراؤك من الاخبار يا ابا يعرب؟ هل هنالك انذار جديد؟ فابتسم وقال... ادع لنا بالخير والسلامة وان شاء الله تسمعين مايسرك.. فخرج الاثنان الرفيقان المناضلان، وطلبا مني ان استمع الى الراديو، للاطلاع على التطورات التي تجري في جبهات القتال في بلاد الغرب!

لقد قضيت الليل ساهرة وبجانبي (الراديو اتسمع الاخبار وانتظر عودة – محمود – ولكنه تأخر ولم يعد وكنت خائفة من الجهد والسهر لأنه كان في دور النقاهة! فما هي الا ان دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، حتى لمحت انوار سيارة تقترب الى دارنا، ورأيت – محمودا – يدخل من باب الحديقة، فأسرعت الى فتح الباب، ونظرت الى وجهه الذي يوحي بان هنالك شيئا غير اعتيادي، وبعد ان خلع ملابسه سألته عما يقلقه فقال. ادعو الى الله ان يحفظ فهمي، واضاف، بأن زملاءه – في اثناء مرضه – كانوا قد اتخذوا قرارا بأن يوجهوا للانكليز انذارا رسميا لسحب قواتهم وضرورة مغادرتها العراق، وان الجيش العراقي سيتحرك الى (سن الذبان) ويعسكر هناك، وان الجيش سيقاوم الاحتلال وخطة الانكليز ولو بالقوة اذا ما اقتضى الحال! فسألت – محمودا – هل لديكم القوة والقدرة على مقاومة الانكليز فيما اذا اصرّوا على موقفهم هذا؟ فقال.. انهم مايزالون يماطلون ويسوفون في الانسحاب. وان الانسان كلما لان واستكان امامهم كلما ازدادوا غطرسة ومطلا وتسويفا، والعكس بالعكس. اذا ماجوبهوا بالجدية والصرامة، فانهم يأخذون ذلك بنظر الاعتبار واعادة النظر في موقفهم! واردف يقول.. ولاتنسيَ – ياَمديحة – ان هذه هي الفرصة الوحيدة مع الانكليز. هم الان في موقف حربي

لايحسدون عليه، لان الغزو الالماني يهددهم من عدة محاور، ولايستطيعون سحب الكثير من جنودهم المقاتلين لكي يحاربونا، بل سيخرجون من خلال هذه الحالة الحرجة بحل يرضينا...

ولقد سافر في هذه الليلة - فهمي سعيد - مع آليّته بحفظ الله ورعايته، فلم يغمض لمحمود جفن «في تلك الليلة، وفي الساعة الخامسة صباحا غادر الدار الى مقر عمله ولما وضح النهار. شاع النبأ في كل مكان، بأن الحرب الفعلية قد نشبت بين العراق والانكليز، بين الجيش الانكليزي المرابط في الحبانية (سن الذبان) وبين الجيش العراقي هناك... ذلك لان الانكليز ماكادوا يستلمون الانذار العراقي الشديد حتى ردوا عليه باطلاق المدافع، ولم يسع الجيش العراقي البطل الا ان يردعليه بالمثل! وهكذا تشبت الحرب العراقية - البريطانية في يوم (٢ مايس ١٩٤١)، فقامت قيامة العراق من ادناه الى اقصاه، وهرعت الافواج والكتل البشرية الى مقرات التطوع والدفاع المقدس، وحتى الضباط المتقاعدون وقد احنت الاعوام ظهورهم ارتدوا ملابسهم العسكرية وطالبوا بارسالهم الى ميدان القتال، فما احلى الشهادة والاستشهاد في سبيل الوطن الحبيب! عدا ذلك فان منظمات وكتائب الشباب قد سيطرت على الامن العام والنظام الداخلي، وراحت تؤجج نيران الثورة على الانكليز المعتدين! وقد بلغت الحماسة الذروة في نفوس الجماهير، بحيث كانوا يوجهون نيران بنادقهم ورشاشاتهم ضد الطيارات الانكليزية من على سطوح منازلهم لاسقاطها!

اما السيدات من جميع الطبقات فقد شاركن في الدفاع عن الوطن، وقد ساهمت بدوري في جمع التبرعات للقوة الجوية، حيث كانت التبرعات تنهال بسخاء، وجادت السيدات في خلال ساعات قلائل بالكثير من الحلي والمجوهرات والنقود.. حقا.. والله ان الانسان ليفخر بهذه المكرمات والطاقات المخزونة في روح هذا الشعب المناضل الذي يرفض الذل والهوان، ويظل مرفوع الهامة والكرامة.

محمود في المعركة

لم يعد - محمود - الى البيت منذ نشوب الحرب مع الانكليز في (٢) مايس ١٩٤١ وكنت اطمئن على سلامته عن طريق التلفون، اذ كان يتصل بي من مقره في معسكر الرشيد الذي كانت تشن عليه الغارات الجوية باستمرار، ويصاب باضرار وخسائر بالغة، وقد سقطت احدى القنابل المجرمة بالقرب من الخندق الذي يحتمي به - محمود - بحيث انهار الخندق عليه وعلى من كان معه، فاخرج بعضهم من تحت الانقاض! وهنا اضطر محمود الى اخلاء المعسكر من الطيارات حفاظا عليها من القصف الشديد المتواصل الذي لايرحم! ومن ثم جاء محمود الى البيت لاول مرة منذ بداية الحرب، فأبدل ملابسه، وكانت عيناه محمرتين متورمتين! وأوصاني

بأن اقول لكل من يسأل عنه بأنه في مقر القيادة العامة... وكان يقود المعارك الجوية من هناك بنفسه، ويوجه الطيارات العراقية للاغارة على معسكرات الانكليز!

وصول طيارات المانية

في غضون ذلك وصلت خمس عشرة طائرة المانية قيل يومها انها جاءت الى العراق لمساعدة الجيش العراقي، وقد شوهدت في سماء بغداد على ارتفاع منخفض. فكانت مبعث السرور في نفوس الجماهير المائجة الهائجة ضد العدوان الانكليزي، بحيث رفعت من معنوياتهم التي كانت عرضة للدعايات الانكليزية واليهودية... وقد بلغ الهياج والغضب من قبل ابناء العشائر العراقية الذروة، وكانوا يوجهون بنادقهم ضد الطائرات لايفرقون بين الانكليزية منها او الالمانية!! ولان الطيارات الالمانية كانت تطير على مستوى واطئ لانها مع العراق. فقد اسقط العديد منها من قبل العشائر والجماهير الغاضبة كما سقط عدد اخر منها في المطار العسكري بسبب الغارات البريطانية على المعسكر وقد بلغ الحماس في نفوس الطيارين، الالمان. بحيث امتطى احدهم طيارته، وقاتل المهاجمين الانكليز قتالا ضاريا، فسقطت البقية الباقية من طيارات الالمان. وتمت السيطرة الجوية على المطار العسكري من قبل الانكليز المتفوقين.. وظللنا ننتظر من الالمان مساعدة جوية اخرى ففوجئنا بالاعتذار عن المساعدة الجديدة. وان نتصالح مع الانكليز ونهادنهم في هذه الظروف بانتظار الفرصة! حتى ان الدولة التركية قد عرضت علينا «الوساطة» بيننا وبين الانكليز، ولكن!!

«موقف صلاح الدين الصباغ»

ولكن انبرى صلاح الدين الصباغ ليخاطب اولئك الذين يفكرون في عقد الصلح والتسوية مع الانكليز بهذه الكلمات.. لقد قرننا الدفاع المقدس وانقاذ البلاد من الاحتلال الانكليزي. وتحقيق الحرية والاستقلال التام لها... فاما الموت والشهادة في سبيل الوطن. واما الصلح والاستسلام الذي نرفضه ولانقبل به مطلقا! فلابد من مواصلة الحرب والدفاع.. ولم يكن هذا رأي (صلاح) وحده بل كان رأي رفاقه الاحرار كلهم، فكان رفض الوساطة التركية بكل اباء وشمم. وهكذا استمرت الحرب سجالا بين الطرفين طوال شهر مايس. وكانت طيارات الانكليز مستمرة على الغارات في كل يوم، للتأثير على معنويات الشعب وحرق اعصابه.. وكانت الطيارات من مختلف الانواع للتأثير علينا. فرة من طراز (هاريكان) ومصبوغة باللون

الاسود، تواكبها دعايات من قبل اليهود المتواجدين في بغداد بأنها طائرات مصنوعة من معدن خاص لا يخترقه الرصاص ولا القنابل! ومرة اخرى من نوع الـ (سبتفاير) مصبوغة باللون الابيض والاسود، تواكبها اراجيف ودعايات مسمومة من قبل العملاء واذناب الاستعمار! ! كل ذلك لتحطيم الروح المعنوية، ومطالبة الشعب العراقي – عن طريق المنشورات التي تلقى من الجو – بأن يلقى القبض على «القادة الاربعة»، وان يحاكموا ويقتلوا دون رحمة لانهم هم السبب الاول والاخير في هذه الكارثة التي اصيبت بها البلاد بعدما كانت مطمئنة امنة! ذلك لان بريطانيا – وهي صديقة العراق – لم تكن راغبة في شن الحرب على العراق وانما حملت عليها حملا! ! ومع ذلك فقد كان العراق بشيبه وشبانه، وبرجاله ونسائه يدرك تلك الاكاذيب والاباطيل، ويزداد حقدا وغضبا. على الانكليز الذين يطمعون في احتلاله مباشرة، فلم يأبه بتلك الدعاية والاراجيف، بل كانوا يدوسون تلك المناشير باحذيتهم ويمزقونها بايديهم، ويبصقون عليها، ويقيمون التظاهرات الوطنية الثورية لطرد الانكليز من البلاد والالتفاف من حول حكومة الدفاع الوطني.... يقابل هذه الروح اللاهبة نقص في السلاح والعتاد يوما بعد يوم، وهجمات تلو هجمات من قبل الانكليز، حيث اضطرت قواتنا على الانسحاب الى الفلوجة. وفق خطة عسكرية...

اين هو – محمود – !؟

عاد محمود من قلب المعركة الى الدار في الساعة الرابعة فجرا، يبدو عليه غبار المعارك، وهو مقطب الجبين، فأخبرني بأن الانكليز. قد دخلوا – الفلوجة – وتراجعت قواتنا عنها، واننا سنحارب ونحارب حتى النفس الاخير! وفي تلك اللحظة الرهيبة رن جرس التلفون، واذا بالمتكلم الذي لم يفصح عن هويته واسمه يطلب – محمودا – فتكلم معه، ومن ثم اخرج سيارته فورا، وقال لي بأنهم يطلبونه بسرية.... وهكذا انطلق الى رفاقه وعاد بعد ساعة ونصف الى الدار، وهو يقول.. ان المصائب تأتي مجتمعة، وان الجو قد تكهرب اكثر، وان الوضع قد تدهور، وان خلافا في الرأي قد حصل بين صلاح الدين الصباغ، ورشيد عالي الكيلاني!

الخلاف بين الكيلاني والصباغ

لقد حصل سوء تفاهم بين رشيد عالي الكيلاني وصلاح الدين) الصباغ في احرج مرحلة تعيشها البلاد، وعبثا حاول رفاق الاثنين ان يتداركوا سؤ التفاهم ذاك، لان الكيلاني كان قد قدم

استقالته من الحكم، ولان الجهود التي بذلها - محمود سلمان - كمحاولة اخيرة لم تعط ثمارها، وكذلك جهود الاخرين من عسكريين ومدنيين لان الكيلاني كان في حالة عصبية، ولهذا فقد ارتؤي ان يؤجل الامر الى الغد، عسى ان يهدا الكيلاني ويعدل عن الاستقالة!! وقد ذكره - محمود - بقسمه السابق وعهده على ان يتضامن مع القادة في كل المواقف والاحوال.

كما شرح له بصراحة، بأنهم اصحاب قضية واحدة تتعلق بمصير البلاد في الحاضر والمستقبل، وان الاصرار على الاستقالة «لاينطوي على التضحية والوطنية!

وحي المؤمن رؤيته!!

غلبني النعاس في ساعة متأخرة، وانا يقظانة كالنائمة او نائمة كاليقظانة! واذا بمفتاح باب الدار الكبيرة الذي كان في يدي، وفجأة قد ضاع من يدي، وقد فتشت عنه في كل مكان فلم اجده!! واذ بي ارتقى السلم الى الطابق الثاني، فأشاهد اناسا غرباء في الدار يحتلون احدى الغرف في الطابق العلوي من داري، فهرعت اليهم لاتفحصهم واتبين من هم!؟ واذاهم عصابة من الغرباء كانوا قد وضعوا امامهم عدة الات طابعة كاتبة، وكأنهم يعقدون اجتماعا في داري ليس في صالح البلد، فأرعبني المشهد واسرعت الى ايقاظ - محمود - لأقصّ عليه القصص ولكي يلقي القبض على هؤلاء المتسللين تحت جنح الليل.

وما اكاد ادخل غرفته حتى شاهدت - وياللعجب - بقرة امام سريره! وقد تجليبت بغطاء من قماش رمادي اللون، وقد تساءلت عن البقرة ماهي؟ وكيف جاءت الى هذه الغرفة؟ وماهي الا ان تتملكني الدهشة والعجب، عندما نطقت البقرة وقالت (من؟ من هؤلاء «الاربعة»؟ وكررت هذا التساؤل عدة مرات، فزدت استغرابا وعجبا وارتعبت كثيرا، وقرأت «بسم الله الرحمن الرحيم، وتقربت من البقرة واسرعت في رفع الغطاء عن ظهرها، وقلت ماهذه بقرة! وما اكاد اتم كلامي هذا حتى غابت البقرة عن ناظري، فرددت باسم الله الرحمن الرحيم، وايقظت محمودا من نومه وقصصت عليه مارايت من البداية الى النهاية... قلت له. لقد سبقتك فارتقيت السلم الى الطابق الثاني، وجئت انت فاشهرت مسدسك عليهم، وهاجمك احدهم، فاطلقت عليه المسدس، ولكن الرصاص لم ينطلق! وحاولت ثانية وثالثة الاطلاق من مسدسك - الاوتوماتيكي - ولكن الرصاص كذلك لم ينطلق!

وفي اخر المعركة رماك احدهم فأصاب منك مقتلا في بطنك، وطرحك ارضا، فكدت اجن لما حدث، فولولت وناديت.. يامحمود هل قتلك هذا المجرم، فهببت من نومي مذعورة، واذا بمحمود يسألني، لماذا تصرخين وتناديني، هل عشت في النوم حلما مزعجا فأجبته ادعو الله ان

تكون اضغاث احلام، ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين! ! فضحك - محمود -... ولكن بقيت شاردة اللب طوال النهار، واقول في سري... ان ضياع (المفتاح) لباب الدار الكبير يدل على ضياع (صاحب الدار)! ولكي استقر نفسيا، فقد ذبحت رأسين من الغنم قربانا لوجه الله تعالى، ووزعت بعض الدراهم على الفقراء، والمحتاجين، عسى ان يدفع الله كل مكروه عنا ويحفظ - محمودي في اطار من الصحة والسلامة والتوفيق لخدمة البلاد!

عودة الى حديث الحرب! !

... في معركة الحبانية -كما قلت- استمر انسحاب قواتنا لعدم وجود الأسلحة الكافية لمواصلة الحرب فأصدرت الحكومة قرارا بارسال بعثة عسكرية الى إيطاليا الذراع الثاني لدول المحور لشراء طيارات حربية من هنالك. كما تقرر الانسحاب الى المواقع الشمالية من العراق باعتبارها مناطق جبلية وعرة يصعب اجتيازها وإقتحامها ويسهل فيها الدفاع..

وتقرر كذلك وعندما سقطت قنبلة بالقرب من قصر الزهور نقل الملك فيصل الثاني ووالدته والحاشية الملكية الى الشمال. وفعلاً فقد غادروا العاصمة الى كركوك وكانت الاستعدادات مستمرة لنقل الحكومة كذلك....وفي هذه المرحلة الصعبة التي تجتازها البلاد أرغم (رشيد الكيلاني) على سحب أستقالته فعادت الأمور الى حالتها الاعتيادية.

سفر عائلة رشيد عالي الكيلاني خارج العراق إستغله الانكليز.

بعد مرور إسبوعين فقط على نشوب الحرب تناقلت الأوساط العامة والخاصة إشاعة تقول بأن عائلة (الكيلاني) تنوي السفر الى تركيا وتأكدت إشاعة سفرها الى استانبول ومن هذا المنطلق نشطت دعايات الأنكليز وعملائهم وطالبوا الشعب باحداث ثورة داخلية ضد حكومة الكيلاني التي آلت بهم الى هذا المصير! كما وجه الانكليز أكاذيبهم وافتراءاتهم بأن الكيلاني سفر عائلته وهرب الأموال الكبيرة من خزينة الدولة ومن الجهة الألمانية الى غير ماهنالك من الاراجيف والأشاعات! ومع ذلك فقد أنعكست هذه الدعايات على الكثير من الناس وسفر القادرون عوائلهم خارج العراق، وبخاصة الى سوريا ولبنان وطهران الى جانب سفر بعض الوزراء خارج العراق للاستشفاء وللاستجمام!

يجري هذا التصدع في الجبهة الداخلية في الوقت الذي كان فيه سلاحنا في تناقص وسلاح

عدونا في تزايد الى غير ذلك من الظواهر السلبية التي أوحت للقادة بالإنسحاب الى الشمال لمواصلة الحرب ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وتشير الاوضاع العامة -عسكرياً وسياسياً- إلى غير مصلحة البلاد!!

هكذا إنقطع الأمل الأخضر
ولابد من مغادرة البلاد!!

في الساعة العاشرة من مساء (٢٩) مايس ١٩٤٩ جاءني -محمود الى الدار غضبان أسفا وطلب مني أن أهيئ حقيبة سفر لانه -مع رفاقه في السلاح والوطنية- سيغادرون بغداد الى كركوك! خرج مسرعاً وعاد أدراجه الى الدار فقال لقد اتفقنا على السفر الى ايران بدلاً من الشمال وقد سافر قسم منهم فعلاً!

هنالك مؤامرات خطيرة ضدنا!!

وقد سألته عن السبب الذي حدا بهم الى السفر لأيران بهذه السرعة فأجاب...بأنهم وقفوا الآن على سر مؤامرة يقوم بها (نور الدين محمود) وبعض أعوانه للقبض علينا وتسليمنا للانكليز!! ونوري الدين من الأعوان الذين كنا نثق بهم ويتعاون معنا وهو اليوم -وكما اكتشفنا- يقلب لنا ظهر المجن ويتعاون مع ألد اعدائنا.. ولهذا فقد قررنا السفر الى ايران حفاظا على الأرواح البريئة التي ستزهق فيما لو استمررنا على الحرب... ومن ثم وجه السؤال الي وقال مارأيك -يامديحة- في عدم رغبتي بالسفر الى ايران ولا الى غيرها بل أرغب في البقاء هنا في صميم الوطن لأني لست بخائن حتى أهرب ولقد تعاهدنا جميعاً نحن القادة على أن نضحي بدمائنا في سبيل الوطن وقد قمنا بما أملاه الواجب علينا في هذا السبيل؟؟ فأجبته بقولي.. اسمع -محمود- وفكر جيداً في الأختيار.. فأنت تقول بأننا كنا قد قررنا السفر الى ايران وتعاهدنا على ذلك فماذا يجديك البقاء وحدك هنا؟ ماذا سيحدث لك لو بقيت بمفردك لذا فان رأيي هو أن تسافر مع الجماعة فتوكل على الله والله خير الناصرين... وبعد هذا الجواب رمقني يائساً وأدركت من هذه النظرة أنه كان يريد الجواب السلبي بأن لا يسافر وأنه كان غير راغب حقاً في السفر مع الرفاق ولكنه أتفق معهم كيلا يظن رفاقه بأنه تخلى عنهم وعن السفر معهم في أحرج لحظة يعيشونها متكافلين متضامنين من اجل مصلحة العراق والوطن.. قلت له .. توكل على الله وسافر مع الرفاق ولا تجازف بحياتك فالبلاد أحوج ما تكون الى حياتكم جميعاً فالله معكم.. فودعني

وخرج وقال بأنه لن يعود الى الدار وسيتصل تلفونياً بنا. وبعد نصف ساعة كلمني وطلب مني أن أرسل سيارتي الى دار (رشيد عالي الكيلاني) ففعلت ولدي عودة السائق أنبأني بأنه نقل حقائب (الكيلاني) الى المحطة فأوصيته بكتمان الأمر ولم أنم طوال ذلك الليل البهيم الأسود وكنت مضطربة قلقة ومتسائلة... ماذا يضمر الغد لهؤلاء الرفاق الأبطال الذين لا ذنب لهم سوى خدمة العراق وتجنيبه الويلات والحرب؟

وفي الصباح الباكر استأنفت الطيارات المعادية غاراتها على بغداد بكل شدة وكانت أصوات المدافع تلعلع في الفضاء حتى لكان الدور كانت تهتز من القصف الشديد! ! واستمرت الطائرات حتى الساعة الحادية عشرة قبيل الظهر وقد نصحني بعض الأصدقاء بأن أغادر الدار خوفاً من ان نصاب، بقنبلة مجنونة لأن دارنا كان يقع في منطقة معزولة تقريباً وقد يمكن رصده بسهولة من الجو! ! فما كان مني الا ان أخذت بهذه النصيحة وبضرورة مغادرة الدار خاصة عندما أصيب بيت (صلاح الدين الصباغ) و تعرض لاحدى الغارات الجوية وأن خادمتهم قد أصيبت باحدى الشظايا أو بصلية رشاش كما قيل. نقلت على أثرها الى المستشفى. وهكذا فقد غادرت الدار الى دار أختي في الأعظمية حيث كانت وحدها تسكن في البيت اذ كان زوجها قد سافر الى الجبهة... قضينا أربعاً وعشرين ساعة وأخبار محمود مفقودة وكذلك رفاقه! ! وقد أخذت مني الوساوس والتخيلات الشيطانية كل مأخذ واقتعدت الى جانب -الراديو- اسمع الى الأخبار من جميع الأذاعات والمصادر حتى جاء يوم الجمعة الموافق (٣٠) مايس ١٩٤١ واذا باذاعة بغداد تذيع خبراً هاماً وهو وصول القواد العسكريين في بغداد وأعضاء حكومتهم ومفتي فلسطين (الحاج أمين الحسيني) الى ايران كما أذاع المذيع نبأ اعلان الهدنة في بغداد وعند ذاك وعند ذاك فقط تنفست الصعداء والتقطت الأنفاس وحمدت الله على هذا النبأ السار

اليهود في بغداد

وبعد يومين من اعلان الهدنة دخلت القوات البريطانية بغداد وكان اليهود (العراقيون) استقبال القطعات ينثرون عليها الأزهار والأوراد ويتحدون الشعور العراقي بل ويسمعون أهله كلمات التشفي بكل صلافة! فتحرك أبناء الشعب ضدهم ونزلوا بهم تقتيلاً وتجريحاً ونهباً وسلباً وتحولت بغداد في تلك المرحلة الى قطعة من الجحيم فالنار لاهبة في محلات وميادين عديدة وأزيز الرصاص يدوي هنا وهناك والدماء تسيل في الشوارع العامة واستمرت حالة الفوضى هذه ثلاثة أيام بلياليها وهنا تدخل الجيش للحفاظ على أرواح الناس وممتلكاتهم ومع ذلك فقد ذهبت ضحايا عديدة من اليهود وغيرهم معاً وكانت الخسائر المادية كثيرة جداً..

وفاء الحرس ! !

عدت الى داري بعد ان قضيت اسبوعا واحدا في دار أختي وطلبت من الحراس العسكريين الذين كانوا مكلفين بحراسة البيت من قبل بالانصراف الى وحداتهم قبل ان يصدر الامر بسحبهم طلبت ذلك حفاظا على كرامتي الشخصية... ولكن هؤلاء الجنود الاربعة الحراس ابوا الانصراف والتخلي عن واجبات الحراسة ! ! وتوسلوا بالبقاء وانهم سيبدلون ملابسهم العسكرية بأخرى مدنية ، وانهم سيظلون يحرسوننا بقلوبهم ، ولكني ابيت ذلك . وقبل بعضهم يدي عسى ان اوافق ، وبعد ذلك أفهمته بأن هنالك مسؤولية في البقاء . وان الحكومة ذاتها لاتوافق . وان الخير كل الخير في ان ينصرفوا في هذا اليوم . فخرجوا متأسفين متأثرين !

بعد اسبوع داهم الدار ثلة من البوليس (الشرطة) بقصد تفتيش الدار . فلما سألتهم عن السبب اجابوا بأن قد بلغنا بأن في حيازتكم بعضا من اموال اليهود المنهوبة ! فلم اتمالك نفسي وثرت على هذا الاتهام وغرابته ! وطلبت اليهم ان يحترموا حرمات البيوت وان يعودوا من حيث اتوا ، فلم تفد معهم هذه الكلمات ، وشرعوا بتفتيش الدار . ولما لم يجدوا شيئا من ذلك . اعطوني ورقة شهادة بانهم لم يجدوا في حيازتنا اية اموال من هذا القبيل وانصرفوا الى الدائرة التي كلفتهم بهذا الواجب .

وقد لاحظت مع مرور الايام ان هنالك حول دارنا حركة غير اعتيادية . وان نوعا من الرقابة قد فرضت عليه . وان البوليس السري لن يبرح هذه المنطقة اناء الليل واطراف النهار . الامر الذي اضطر معه بعض الاقارب والاصدقاء على الانقطاع عن زيارتنا تدريجيا... وفي هذه الاثناء انتقلت اختي وزوجها عندي بناء على الضرورة الملّحة . وشرع (ابي داود) يزورنا بين الفينة والاخرى . وكان في البداية متأثرا جدا وعصبيّ المزاج على هذه الحالة التي لامثيل لها !

وقد حدث ان تمرض عدنان – في تلك الايام ، وكدت اجن من تهاطل سحب المصائب علي ، واناجي الله واسبح بأسمائه ان يدفع عني هذا البلاء ويشفي عدنان من المرض لانه شاب شجاع ، ولم يبق امامه غير سنتين للانتهاء من الدراسة ، ويمتع «طارق» و «المغيرة» بابراد الصحة والسلامة !

الرسالة الاولى من محمود

. تسلمت ببالغ السرور اول رسالة من محمود من طهران – وفيها يخبرني بسلامة الوصول رغم المشاق التي كابدوها . وبحفاوة الحكومة الايرانية بهم . ويطمئنني على صحته الغالية . فبعثت اليه الجواب دون ان اشعره بمرض – عدنان –... وبعد يومين وصل سائق سيارته الذي كان قد

رافقه الى طهران. اكد لي بأنه في صحة جيدة، وانه ابى ان يحتفظ بالسيارة الرسمية التي اقلته الى ايران وقد سلمها الى المفوضية العراقية في طهران، لانها ملك الحكومة العراقية لاملكه... وقد تسلمت - عن طريق السائق هذا - رسالة مسهبة تقع في (٢٦) صفحة يخبرني فيها عن تهيئتهم لمغادرة ايران الى تركيا. وانه قد تم الاتفاق على ان يسافر (الكيلاني) في القافلة الاولى. ومن ثم يسافر (الحسيني) مفتي فلسطين، ومن ثم يسافر هو وجماعته الاخرون. ولقد استغربت من هذا التدبير والسفر المسلسل. لان الحكومة البريطانية في تلك الايام، قد انذرت طهران مرتين بأن يغادر (الالمان) المتواجدون فيها ايران والا فان بريطانيا ستلجأ الى احتلال ايران من الجنوب. وان روسيا ستحتلها من الشمال!! ترى، ماذا سيكون مصير محمود - ورفاقه فيما لو حدث هذا؟ ولماذا قسموا المغادرة والسفر على ثلاث مراحل؟ الا يقدرون خطورة البقاء في ايران بعد ان انذر الالمان بالخروج من ايران خلال ايام!؟ وهنا لمعت في ذهني فكرة السفر الى طهران في السرعة المستطاعة. وفعلا فقد بدأت بتنفيذ الفكرة، وحصلت على (فيزة) من السفارة الايرانية. واستأجرت سيارة تقلني الى ايران، وابرقت له بانني مسافرة اليه فورا. فجاءني الرد العاجل بأن اسافر بسيارتي الخاصة. وان احضر معي مبلغا من المال لانه في اشد الحاجة اليه! لتدبير اموره المعاشية.

وكانت زوجة (صلاح الدين الصباغ) هي الاخرى ترغب في السفر كذلك فاتفقنا على الموعد، ولم اخذ سيارتي الخاصة بل اجرت سيارة وغادرت بغداد، بعد ان سفرت - عدنان - الى لبنان للاستشفاء..

تركت بغداد - يوم ١٩٤١/٧/٢ الى طهران - عن طريق خانقين - قصر شيرين وبعد ثلاثة ايام وصلناها في الساعة الثامنة صباحا، وكان المفروض وصولنا قبل يوم واحد، ولكن حدث هذا التاخر بسبب عاصفة هوجاء، وهطول الامطار بغزارة، وكذلك حدوث بعض الصواعق المرعبة! وكان علينا ان نقطع جبال سعد اباد في تلك المنطقة الوعرة، وان نجتاز العديد من الطرق الملتوية، وان نتعرض للخطر اكثر من مرة!! اما بقية الطرق فكانت سهلة. اللهم الا طريق جبل (باي طاق) الذي لايختلف كثيرا في وعورته عن الطريق الذي سلكنا! اشرفنا على بعض القرى الايرانية، ودخلناها، فكان بعضها من المناطق الخضراء، والبعض الاخر ارضا جرداء وقد شرح لنا السائق - السبب في هذا التفاوت بين هذه الخضراء وتلك الجرداء، فقال ان القرى الخضراء التي نشاهدها هي ملك الشاه، وان القرى الجرداء هي لأبناء الشعب الايراني الذين ابوا اعطاءها للشاه فقطع عنها الماء، واصيبت بالجفاف. وفي اليوم التالي واصلنا السفر الى طهران، وحللنا في البيت الذي كان - محمود - قد استاجره خصيصا لنا، وقد سر كثيرا باللقاء. والغريب ان «معد» الذي كان عمره لايتجاوز احد عشر شهرا قد عرف اباه وقد فارقه منذ

شهرين، ويصيح (بابا... بابا) وقد تبادلنا المعلومات العائلية، الى جانب الوضع السياسي القائم في العراق. فسألته لماذا لم يسافر الى تركيا!؟ فاجابني بأنه قد حصل على (الفيزة) ولكن سماحة المفتي قد رفضت السفارة التركية منحه (الفيزة) المطلوبة. ولهذا فقد تأخر سفرنا لانه من غير المعقول ان يبقى (المفتي) وحده في طهران كما وعده رشيد عالي الكيلاني بأنه سيحصل للجميع على (فيزة) من قبل وزارة الخارجية التركية...

الخلاف بين الكيلاني والمفتي

وسألت محمود – عن الاشاعات التي تتحدث عن وجود خلاف بين الكيلاني والمفتي. فابتسم وقال... انه ليس خلافا بالمعنى الصحيح ابدا فدعيني من هذه الاسئلة التي لافائدة من الخوض فيها والجواب عنها.. وسألني عما اذا جلبت له بعض النقود حيث لم يبق في جيبه مايكفي الا ليوم واحد!! فطمأنته من هذه الناحية... ولكني استغربت جدا من ضيق ذات يده لاني اعلم بأن اللاجئين السياسيين يتمتعون بمساعدات وفقا للتقاليد المرعية بين الدول. ولكنه علق على ذلك بقوله... انك – يامديحة – تعرفين طبعي جيدا. فأنا لا امد يدي لأي كان حكومة او فردا ولو مت جوعا! وسألته عما اذا كان يساعد بعضهم بعضا من الناحية المادية. فضحك وقال. ارجو ان لاتسألي عن هذا الامر الذي لااحب التحدث عنه! وحسبك ان تعرفي ان لكل انسان طبعه ..

فهمي سعيد يزورنا

جاء لزيارتي الاخ فهمي سعيد. واخذنا نتجاذب اطراف الحديث.

فسألته.. الم تتصلوا بأحد من ناحية وضعكم ومصيركم؟ فأجابني بالنفي القاطع.. وسألته.. وماذا ستفعلون!؟ وها هو الانذار الثالث والاخير. وقد وجهته بريطانيا الى حكومة ايران. ولم يبق امامكم متسع من الوقت؟!؟ فانفجر قائلا.. لقد قيل لنا بأن لاتتصلوا بأحد. ولاتتخذوا أي تدبير كان لانهم هم الذين ،سيتولّون كل شيء. وها هو احدنا قد سافر الى تركيا (يعني الكيلاني) وها هو الثاني يتكتم ويتحفظ ولايقول شيئا كأننا نحن جواسيس وعيون ورقباء عليه! وكأننا لسنا اهلا لثقته كما كان الحال في بغداد!! (يعني المفتي). قلت لفهمي سعيد. ولماذا لاتتشبثون لانفسكم بانفسكم؟ ومامعنى انتظاركم اكثر مما يجب والايام تمر سراعا؟ فقال.. اني لمنتظر موافقة زوجك – ياسيدتي – انه ليثق – بالمفتي – ولا يقبل بأن يعمل كل لنفسه. ويقول. مادمنا قد

غادرنا بغداد سوية فيجب ان نبقى سوية ونسافر سوية ونكون سواء بسواء في السر والضراء!
وهنا التفت الى زوجي وقلت له.. اسمح لي بأن اقول لك انك غلطان في هذا التفكير.. فمادام رشيد عالي الكيلاني قد ترككم وسافر وحده فلا ارى سببا لهذا الالتزام بالمفتي. ومن يدري فلعل هذا قد يسافر ويخليكم وحدكم.. تماما... كما فعل - الكيلاني - من قبل، وحينذاك اين تكون ثقتك به؟ لماذا لاتقدمون طلبا الى السفارة التركية الان وتحصلون على «فيزة» في الاقل؟ واذا ماأردت انتظار صاحبك، فلن يتعارض هذا مع العمل على استحصال الفيزة بدخول تركيا. فوافقني - فهمي - على هذا الرأي ونزل - محمود - كذلك عند رأيي . واتفق الاثنان على تقديم طلب بذلك..

زيارات الاصدقاء لنا

توافد الى دارنا جميع العراقيين الذين كانوا في طهران، مع الجالية العربية وعوائلهم للسؤال عن اهلهم واقاربهم وعن احوال العراق في تلك الظروف الصعبة.. وقد رددت الزيارة لعديد منهم...

ماذا عن ايران؟؟

طهران مدينة جميلة، فيها مصايف جميلة منها «شمران» و «دربند» . وغيرها وقاصدوها - من اجل، الاصطياف - يؤسرون بجمال الطبيعة الزاهية. والمصايف الحديثة، التي تحتوي على كل انواع المتع والتسلية واللهو... شيء وحيد لاتحسد طهران عليه هو الماء فان مياه الشرب تنقل بعربات متنقلة. حيث يباع الماء لكل بيت!! واحسن امواه الشرب هي تلك التي تأتي من السفارة البريطانية ويسمى (اب سفارت).. اما مايحتاجه الانسان من المياه للغسل والحمامات وغيره فأن هذا يجري في الطرقات لانه ينبع من العيون والينابيع الكثيرة. حيث ان كل بيت يحول مجرى الماء الى المخزن المعدّله او (البدروم)، حيث يجري منساباً الى (الشقق) بوساطة مضخات خاصة..... ولكن عندما يرى الانسان تلك الامواه تجري في الشوارع وعرضة للتلوث، والوقاية الصحية تكاد تكون مفقودة، فانه لايطيق رؤية ذلك، فضلا عن كونه مصدرا خطراً لجميع الامراض، وبخاصة (القرع) والسفلس المتفشية هنالك بشكل يلفت النظر ويستعصي على الاطباء.

استحصال «الفيزة»

اكثر ما كان يقلقني في تلك الايام، هو الحصول على «الفيزة» لكل من محمود والاخ (فهمي سعيد). فقد حررا طلبين الى السفارة التركية، على ان يقدماها في الغد! وما جاء الغد وذهبنا الى السفارة المذكورة حتى فوجئنا بوفاة السفير التركي بالسكتة القلبية! ورو‌عنا! فياسوء الحظ! هكذا هي الاقدار تعاكسنا حتى في مثل هذه الامور الشكلية! اذن فلابد من الانتظار حتى نهاية ايام الحداد! الوضع في ايران والاحداث العامة كانت تتطور بسرعة. وكانت القوات البريطانية تزحف بطيئة الى ايران، وكذلك القوات الروسية، وكان الجميع في حيرة من امرهم!!

ذهب محمود وفهمي ذات يوم لزيارة (المفتي) ولدى عودتهما رأيت علامات التقطيب والاكفهرار، بادية على وجهي الاثنين فسألتهما ماالخبر؟ فأنفجر - فهمي - قائلا اسألي زوجك ماالخبر؟ فأجابني - محمود - بأن الانكليز والروس الان على الحدود الايرانية. وقد اجتمعنا بالمفتي لتدارس الامر، فنصحنا بالبحث لنا عن مخابئ نختفي فيها، حتى ينكشف الامر وينجلي. ونتأكد من إيران هل ستسلمنا الى الانكليز، ام انها ستراعي حرمة اللجؤ السياسي!! فقال - فهمي - هكذا يكون الوفاء! لقد ضحينا لغيرنا وهاهو الغير يضحي بنا! لقد نام رشيد عالي الكيلاني في تركيا، وامس فقط ارسل «تلغرافا» للمفتي يقول فيه بأنه لم يتمكن من اخذ تصريح لنا بدخول تركيا، وعلينا ان نعمل دون الاعتماد عليه وهاهو المفتي يقول بدوره، فتشوا عن مخابئ. لكم. وهكذا ضيعا علينا الفرصة... فقلت لهما - والحديث لصاحبة المذكرات - سأذهب غدا الى السفارة التركية واشرح لها حقيقة الحال واطلب منها حمايتكما، فقالا، لقد فات الوقت.. ولكني اصررت على الذهاب في الغد، وهكذا كان فقد قابلت السفير التركي فإستقبلني استقبالا حسنا. وشرحت له الوضع، فقال بأنه لايستطيع وحده البت في هذا الامر الهام بل لابد من رجوعه الى وزارة الخارجية التركية، وقد ابدي تفاءله من ان الخارجية ستوافق على ذلك ويعني على دخول (محمود وفهمي)، ولم يبد صحّ بشأن (المفتي) ورجوته بأن يرسل برقية - على حسابي - الى الخارجية بما اريد، فهز رأسه وقال، ليس الغلاج بهذه السرعة، وياليت - يابنتي - ان يكون. ذلك لان الروس تقدموا الينا والطريق مقطوع فمن اي طريق سيسافران.

فقد انقطع الاتصال بتركيا منذ يومين فقط، سواء عن طريق الاناضول او العراق.. ومع ذلك فلا تقلقي لانهما من اللاجئين السياسيين عند حكومة ايران ومن العار على هذه الحكومة ان تسلمهما! عدت الى الدار، واخبرتهما بتفاصيل المقابلة وطلبت منهما ان يتحركا بسرعة ويجدا محلا للاختباء ريثما ينجلي الموقف.

مع اسماعيل صبري ..

....كان في – طهران – رجل عراقي اسمه (اسماعيل صبري) كما اتذكر ولقد سمعت بأنه كان ضابطا في الجيش العراقي. ومدرسا في مدرسة الخيالة وقد اتهم بالتجسس لحساب ايران فطرد من الجيش وابعد من البلاد. واتخذ من – ايران – مقرا له وقرر السكنى فيها وقد قابل الكثير من العراقيين المتواجدين هنالك ومنهم زوجي وفهمي. وقد عرض عليهما مساعدته. وتأمين اختبائهما. ومن ثم العمل على تهريبهما من الحدود التركية.. وقد علّقا عليه بعض الامل. ... ولكنني وبدوري لم اشعر بارتياح الى ما يبديه ذلك (الرجل) من المساعدة! بالرغم من قدم المعرفة مع الرجل هذا!

وفي احد الايام – وانا جالسة في شرفة الدار – شاهدت احد الاصدقاء قادما نحو دارنا. وكان يحث الخطى بسرعة. ويبدو عليه بعض الاضطراب فسألني عن (زوجي). فأجبته بأنه خارج الدار. فقال بأنه يحمل أنباءً مزعجة. وهي ان الانكليز في (قزوين) وهم يتفاوضون الان مع الايرانيين حول امور كثيرة. ولاادري فيما اذا كان موضوعكم من جملة تلك الامور! وقد رجاني ان ابلغ زوجي بهذه الانباء وانصرف! عادا الى البيت كلاهما زوجي وفهمي سعيد. فأخبرتهما بما نقله الى ذلك الصديق قبل لحظات. فقالا بانهما قد سمعا بذلك وانهما يبحثان عن مخبأ! وكان فهمي مصرا على ان يأخذ عائلته معه في الاختباء رغم عدم موافقتنا على ذلك فليس من السهل الهروب او الفرار مع العائلة اذا اقتضى واقع الحال ذلك.

الصباغ والسبعاوي

لقد فاتني ان اذكر بان الحكومة الايرانية كانت قد ابعدت كلا من صلاح الدين الصباغ ويونس السبعاوي الى (زنجان) وهي بلدة شمال طهران تقع في منتصف الطريق المؤدي الى الحدود التركية.

وذلك بعد صولي الى طهران بأربعة ايام. فسافر صلاح الدين وعائلته الى تلك البلدة. اما يونس السبعاوي فقد ترك عائلته في طهران مع صهره (صديق شنشل) لان زوجته كانت على وشك الوضع.. وبعدما اقتحم الروس المنطقة الشمالية من ايران عاد يونس السبعاوي الى طهران بمفرده. وقال بأنه قد بحث عن صلاح الدين الصباغ ليعودا معا ولكنه لم يجده! وعندما عاد «صلاح» الى طهران زار (المفتي) واخذ رأيه – فيما يفعل – هل يظل في داره مختبئا ام يخبر السلطات الايرانية بعودته!؟ وقيل – يومها – ان المفتي قد نصحه بابلاغ الحكومة الايرانية

بذلك. وهكذا كان فقد سلم (السبعاوي) الى البوليس من تلقاء نفسه. فأظهروا سرورا بعودته، وسألوه عن – صلاح – فأجابهم بانه بحث عنه ولم يجده. فقالوا حسنا فعلت. اذهب الى بيتك الان. وعاد الى الدار وقبيل تناوله طعام الغداء كان (البوليس) السري في انتظاره لدى الباب ! !

فلما خرج اليهم قبضوا عليه وأودعوه . رهن التوقيف. والواقع ان هذا الحادث كان له ابلغ الاثر والاسف في نفوس العراقيين اللاجئين وزاد في مخاوفهم وقلقهم وحذرهم من حكومة لاترعى حقوق اللاجئين السياسين، بل تنتهك حرمة اللجؤ السياسي جهرة. وامام العالم! وبعد يومين جاءنا خادم – المفتي – الى الدار في الصباح الباكر. وانبأنا بأن سماحة – المفتي – قد اختفى عن الانظار واختبأ في انتظار الموقف حتى ينجلي وتتكشف الامور. وقد طلب منا ان نختبئ ايضا.

وبعد خروجه، قدم * فهمي سعيد – واكد لنا النبأ، فقرروا ضرورة الاختباء كذلك.

مع القنصل التركي.

وبعد مضي يومين على اختبائهم شاءت الصدفة ان اقابل القنصل التركي على السلالم حيث كان يسكن بجوارنا وفي بنفس العمارة.

وبعد ان حياني سألني عن – زوجي – فأخبرته بأنه مختبئ الان، فقال لي.. اني لااظن بأن الحكومة الايرانية تسلم اللاجئين السياسيين، وانه لاحاجة لاختبائه وجماعته، وان هذه مسألة دقيقة تتعلق بشرف المملكة وهيبتها وسيادتها ! ! قلت له.. اتمنى ذلك ولكن من يضمن هذا؟ بعد ان سجن احد الوزراء، اللاجئين – واقصد يونس السبعاوي – فما كان منه الا أن هز رأسه وكتفيه، وابدي استغرابه مما قلت ! !

محمود يعود ! !

قبيل الظهر رن جرس الباب واذا بمحمود منتصباً أمامي فبهت وسألته عن سبب العودة بعد أن قرر وجماعته الاختباء؟ فأجاب بأنه قد مل هذا الوضع وهذا الزمن الرديئ الذي يعيشه وجماعته! فكيف نبيح لأنفسنا الهروب والاختفاء ومعنا قافلة من النساء والأطفال؟ ان الذي يهرب يجب أن يكون وحده ومتنكراً الى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا ... ثم أنسيت –يامديحة- أننا كنا نختبئ عن اسماعيل صبري التي كنت تتوجسين منه الخيفة والحذر منذ البداية ! فلقد أتضح لنا ان هذا الرجل المحترف لا يبغي الا ابتزاز أموالنا وقبض المكافآت ! ولهذا فانه سيفكر جدياً في الابتعاد عن هذا الرجل بكل وسيلة ممكنة !

القاء القبض على محمود!!

بعد تناول طعام الغداء قرع الباب فخرجت لأفتحه فاذا بالبوليس الايراني يسأل عن زوجي فلما خرج اليهم خاطبه أحدهم بقوله ...أنت تعلم بأن بلادنا قد احتلت من قبل الانكليز والروس وكذلك الأمريكان. وبما أن (سعادتك) وجماعتك لاجئون سياسيون عندنا وقد ارتأت الحكومة أن تحافظ عليكم من أعتداء المحتلين وأمرت بأن تتفضل معي الان الى بيت (الشريف شرف) حيث تقرر وضع كل أربعة أو خمسة منكم في دار واحدة وتحت حماية (البوليس) ورقابته. أما الضباط الصغار والمحامون وسواهم من اللاجئين فقد تقرر وضعهم في أحد (البانسيونات) وتحت الحماية كذلك... وهنا قلت... لقد وقعنا وليرحمنا الله انه خير الراحمين.. تهيأ -محمود- وخرج معهم وبقيت في حيرة من أمري قضيت الليل ساهرة وأنا أفكر بما عساني أن اعمل وكيف أتصرف في تلك اللحظة الرهيبة؟ لقد مر الصباح وارتفع عمود الضحى وحل الظهر تتقاذفني الهواجس والوساوس! وماهي الا أن يقرع جرس الباب واذا بمحمود يعود الى البيت فيا للفرحة ! فسألته عن الخبر فابتسم وقال.. لا نحن مانزال مسجونين.. وكل ماحدث من جديد هو اني والشريف شرف وأمين زكي رئيس أركان الجيش وعلي محمود الشيخ علي وأخيه سنكون في دار الشريف شرف تحرسنا الشرطة. وها قد سمح لي بزيارتكم الآن مع الشرطي وهو واقف الآن أمام العمارة.

وسآتيكم في كل يوم لأراكم....

موقف المفتي!!

...ولكن اسمعي -يامديحة- ماذا عمل المفتي فلقد أخبرني الشريف شرف وأمين زكي بان المفتي قد أرسل إليهما يستدعيهما حيث هو في داره... وما أن حزما الأمتعة والحقائب وركبا السيارة حتى ألقي القبض عليهما من قبل البوليس الايراني وأعادوهما للدار... إنظري -يامديحة- وتساءلي.. هل أن حياة أمين زكي أو الشريف هي في خطر داهم أكثر من حياتي وحياة فهمي سعيد بحيث يستدعي الأمر الى دعوتهما الى دار «المفتي» من قبل المفتي نفسه لانقاذ حياتهما في الوقت الذي يرسل فيه خادمه الينا لنبحث عن مخابئ وملاجئ!؟ ماذا ستقولين بل ماذا سيقول التأريخ في هذا الموقف؟ ولكن...لا بأس فان الوجوه لابد أن تتلاقى ولابد أن أوجه اليه العتاب الشديد وأطلب اليه تفسير أو تبرير هذا الموقف الغريب مني ومن فهمي سعيد.. وهل هذا الموقف مما تقتضيه (الأخوة المشتركة التي كان يدعيها يوماً ما!؟ وهنا طيبت خاطره وعرضت عليه فكرة..

هي أن نرشي (البوليس) لأنهم كلهم يرتشون من شدة فقرهم وحاجتهم ومن ثم نهرب الى حيث نقرر. فقال -محمود- حسناً ولكن دعيني افكر الى الغد وان غداً لناظره قريب!!

السائق يأتي بأخبار جديدة!!

في ذات اللحظة دخل علينا سائق سيارتنا وأخبرنا بأنه شاهد -البوليس- في الشارع العام وسأله عن (فهمي) و (حمود) و(رشيد فليح) في نفس الوقت الذي كان فيه (رشيد فليح) و(حمود) قادمين الينا ليسألا عن سيدي -محمود- فأشرت إليهما بالاختفاء عن رقابة البوليس والتسلل الى الشوارع الفرعية لأعود اليهما بعد فترة! وهكذا تقابلت معهما وقصصت عليهما حكاية -سيدي- وعادا ليخبرا -فهمي- بذلك. فسر -محمود- من نباهة السائق ولأن -صلاحاً- سيعرف كل شيء عن محمود. ويحاول الهرب لانقاذ نفسه من هؤلاء الذين لا يرعون الا ولا ذمة!

فهمي يسلم نفسه!!

قضيت الليلة وأنا أفكر بطريقة ما لأتمكن من تهريب محمود عن طريق -البوليس- أو عن طريق آخر وما جاء العصر حتى جاءني -محمود- مقطب الجبين ساهم الوجه فأخبرني بأن -فهمي سعيد- بعد خروجي من عندكم جاء فسلم نفسه الى البوليس حيث الدار التي نسكنها!! ذلك لأنه عندما سمع باعتقالنا لم يتحمل ذلك بل آثر العيش معنا في السجن! وعندما عاتبته على تسليم نفسه قال.. أتظنني -يامحمود- أحيا بعد أن أسمع بموتك لاسمح الله فلقد عشنا معاً وعملنا معاً فلنمت معاً!! وعندما عرضت على -محمود- فكرة الهروب قال لن أهرب الا مع -فهمي- والا فلنمت معاً!!

استمرت هذه الحال أكثر من سبعة أيام خرج بعدها السائق (سلمان) يشتري لنا بعض الحاجيات ولكنه عاد أدراجه الى الدار ليخبرني بان (سيده محمود) وفهمي سعيد وكامل شبيب هم الآن في السجن وقد نقلوهم من الموقف الى السجن أمس بعد أن خرج (سيدي) من عندنا وهم الآن من دون طعام وشراب. صعقت لهذا الخبر المر وأعيتني الحيلة وحسن التصرف. انتظرت عودة السائق ولكنه تأخر أكثر مما يجب وتصورت أن السائق -هو الآخر- قد قبض عليه أيضاً.. فطار صوابي وأخذت الأفكار مني كل مأخذ وقلت في سري.. رباه ماذا سأعمل ومعي طفلان؟

عاد السائق فبدد أوهامي وقال بأنه راهم في السجن وان تزويدهم بالطعام والشراب مباح... وفي الحال ذهبت الى عائلة -فهمي- لأنورهم بالأنباء الجديدة لأنهم يجهلون كل شيء وانطلقت -مع السائق- الى حيث السجن لأقابل المدير هناك. فلاحظت أن هذا الموقف مقر لتوقيف المجرمين وقطاع الطرق والسفلة والقتلة وأنهم كانوا مكبلين بالحديد والأصفاد. فبكيت من البكاء لتصوري ان -محموداً- وجماعته قد ينامون مع هؤلاء السفاكين والأفاكين! وناديت السائق بأن هلم وخذني الى الرجل الذي اسمه -المقدادي- والمقدادي هذا هو رئيس قسم الاستخبارات ومكلف بمراقبة اللاجئين السياسيين فقادني الى مكتبه واستأذنه لي بالمقابلة فخرج الرجل بنفسه لمقابلتي ولما تفرست في وجهه من خلال دموعي السواخن الغزار التي لم استطع حبسها لم يخامرني الشك في أني أقف أمام جلّاد بالرغم من حسن مقابلته لي!! قال.. أهلاً وسهلاً -وكان يتكلم بالعربية اعتبريني أخاً لك -ياسيدتي- واعتبري مكتبي هذا مكتبك ومري بما تشائين!! قلت له شكراً ولا أريد سوى رؤية زوجي..فسكت -هنيهة- ثم قال.. ثقي ياسيدتي بأني لا أعرف السبب في توقيفهم حتى الآن حيث كنت في سفرة وباشرت اليوم ورأيتهم على هذه الحال وليس لي علم بهم أكثر من هذا!! فلم أتمالك نفسي حتى انفجرت قائلة إنني لم أطلب منك معرفة السبب مطلقا فانا أعرف السبب جيداً وكل ما أريد المواجهة مع زوجي فقط فأرجو أن تجيبني على تحقيق رغبتي هذه..فسكت -لحظة- كان يتفرس فيها في وجهي وعندما بلغت العصبية مني الذروة..أجاب بقوله. آسف فليس لدي أوامر بامكان ذلك ولكني أعاهدك بأني سأكلم ادارة الأمن العام حول رغبتك في المقابلة فاذا وفقني الله في هذا المسعي فسأرسل وراءك الى البيت لأخبارك بالموعد المقرر. ولكني ومن دون شعور صرخت في وجهه وقلت له.. أهكذا أنتم تكرمون ضيوفكم واللاجئين السياسين عندكم؟ اذن فأين هو شرف ايران في التعامل مع اللاجئين اليها؟ أهكذا توقفون القادة والوزراء عندكم جنباً الى جنب مع المجرمين وقطاع الطرق والقتلة؟ ولم أع ماقلته في تلك اللحظة فما كان منه الا أن طيب خاطري وقال. يمكنك ياسيدتي إرسال الطعام اليه يومياً وسأوصي بادخاله اليه وكذلك إرسال الملابس وبعض الحاجات الضرورية الأخرى. فأرجو أن تهدأ أعصابك وتعودي الى المنزل وسألح في تعيين يوم المقابلة فأعتمدي علي وثقي بي!! فشكرته وعدت الى بيت -فهمي- لأخذ الأولاد وأخبرتهم بماجرى لي مع -المقدادي- وما وعدني به.

أصبح الصباح فأرسلت طعام الافطار مع السائق الى السجن وانتظرت عودته عسى أن يأتي بنبأ جديد . وعندما عاد رأيته مستبشراً وناولني ورقة من محمود واذا به يطلب مني أن أقابل السفير المصري في طهران وأطلب منه أن يتوسط في الأمر..

مع السفير المصري

هرعت الى السفارة المصرية فأستقبلني أحد الموظفين فيها وعرضت عليه رغبتي فأبدى استعداده فذهب وعاد الى بعد دقائق وقال...ان معالي الباشا في انتظارك الآن. فدخلت على معاليه-وهو ذو الفقار باشا والد الملكة فريدة ملكة مصر-فنهض من مكانه وحياني بلطف وبشاشة ودعاني الى الجلوس وأمر لي بالقهوة فسألني عن أحوالنا وسير الأمور فوجدت فيه شخصية الرجل الكامل بكل ماتنطوي عليه هذه الكلمات انه لرجل وقور مهيب وشهم لطيف وجعلني اطمئن الى كلامه من خلال طريقة لقائه وتبسطه في الحديث معي! فاستأذنته بشرح الموضوع فأذن لي وأبدى أسفه وتأثر كثيراً وقال أطلب منك أسماء رفاق زوجك كلهم كي أسأل عنهم جميعاً ووعدني بأنه لن يألو جهداً في سبيلنا والمشاركة في حل المشكلة ففعلت.. وقبيل الانصراف سألته عما اذا في الامكان مقابلته مرة ثانية اذا ما أقتضى الأمر ذلك فقال.. هذه الدار دارك فتفضلي متى شئت ومن أجل رد الجواب لك أرجو امهالي بعض الوقت لأني لا أتدخل معهم تدخلاً رسمياً وانما عن طريق المجاملة والصداقة الدبلوماسية وأنت تعرفين ذلك حق المعرفة فبلادنا المصرية في الوقت الحاضر لا يختلف وضعها عن وضع العراق بلدكم.. فشكرته بالغ الشكر هو وأعضاء سفارته المحترمة وغادرت السفارة الى البيت في انتظار الجواب من هذا الرجل الطيب والسفير حقاً وصدقاً..

زيارتي للضباط الصغار

ارسلت مع -سلمان- بطعام الغذاء الى السجن ومعه (خمسون) توماناً وهي عملة طهرانية تعادل (٢٨) جنيهاً ليعطيها لحراس السجن كرشوة أو هدية لقاء فضلهم علي بايصال رسالة من -محمود- الي فأستمررت على هذا المنوال ثلاثة أيام لم أطق بعدها صبراً على البقاء في البيت فطلبت من -سلمان- أن يأخذني الى (بانسيون) الضباط الصغار لأنورهم مع بقية اللاجئين ومنهم (جمال الحسيني) الفلسطيني القومي المجاهد..وعندما فاجأتهم بالزيارة شعروا بأني هبطت عليهم من السماء فألتفوا حولي جذلين ومتسائلين عن آخر الأخبار لأنهم قليلوا الاتصال ولا يعرفون شيئاً عن الأحداث فنورتهم بكل ماعندي ودعوت لهم بالسلامة ورباطة الجأش والتوفيق من عند الله...



الصورة في طهران ١٩٤١ بعد لجوء قادة الثورة اليها مع عدد من ضباطهم ويشاهد في الصورة من اليسار الملازم نجدة الشواف، الشهيد محمود سلمان، الملازم الاول فاضل رشيد، الرائد عبد الوهاب الشيخ علي، النقيب حمود السعدون، النقيب رشيد فليح، الملازم عبد الحميد قادر السامرائي. الجالسون من اليسار الملازم عبد الحق العزاوي، الملازم عبد الرزاق احمد طه

مع «المقدادي» ثانية

عدت الى الدار، وياللصدفة فقد شاهدت في تلك اللحظة واحداً من (البوليس السري) يقف على باب الدار، وأسمه – بختياري– الذي يقوم بوظيفة المساعد «للمقدادي». ترى ماذا يريد مني هذا «القادم الكريم» ولا أقول هذا البوليس السري!؟ ترى هل لديه أمر باعتقالي مع المعتقلين، محمود ورفاقه !؟.. وإذا بهذا البوليس –بختياري– يبلغني بأن– المقدادي – رئيسه يرغب مقابلتي في مكتبه الأن.. وهكذا كان. فقد قصدت معهم –المقدادي– ودخلت مكتبه، وحييته وطلب نفرين من البوليس، كلمهما بالفارسية، والتفت الي وقال لقد وفيت بوعدي معك ورتبت لك المقابلة مع زوجك، فتفضلي مع هذين الاثنين يقودانك الى حيث يكون، وأطلب اليك أن يكون الحديث مختصراً ويقتصر على السؤال عن الصحة والاحوال والأولاد ولا شيء غير ذلك.

أين المفتي!؟

ثم قال لي.. أود أن أقول لك شيئاً واحداً! وأعدك وعداً قاطعاً بأنك إذا ما قلت الحقيقة، فسوف أفرج عن (سعادة البك) ورفاقه! قلت سل، وأعدك بالجواب اذا ماكنت أعرف ذلك...

وهنا نطق بالسؤال فكان السؤال (أين المفتي؟)

وصوب نظره في عيني فأجبته بأني لا أعلم.. وقال.. اذا ما وجدنا– المفتي– أفرجنا عن الجميع، فأكدت له ثانية بقولي.. ثق بأني لا اعلم... ثم أخرج لي صورة فوتوغرافية وسألني، اتعرفين صاحب هذه الصورة من هو؟ فاجبت باني ايضا لا اعرف صورة من هي هذه الصورة... فقال.. انها صورة احد اعوان «المفتي» فكيف لاتعرفين!؟ وحصل لدي انطباع بأنه لم يثق بجوابي... وهنا قال.. تفضلي لمقابلة زوجك، وتذكري وصيتي لك في التحدث معه... وفي تلك اللحظة تبدلت صورتي، وشعرت بكل السرور يطفح به قلبي، لاني على وشك ان ارى «محمود»!

خرجت من هذا «المقدادي» بطريقي الى محمود فقال السائق.. اعط هؤلاء الماشين الى جنبك بعض الدراهم حتى يسكتوا عن الحديث في اثناء المقابلة لأنهم يتكلمون العربية، فأعطيت لكل واحد (٢٠)توماناً اذ دسستها في جيوبهم فسروا بالدراهم غاية السرور.. وعندما دخلنا السجن واستقبلني مأمور السجن ضاحكاً فأفهمني سلمان انه هذا هو الذي يوصل الرسائل الي فنفحته

(٣٠) تومانا فأسرع وقال سأدعو (سعادة الآقاي) للحضور.. وما هي الا لحظات حتى جاءني -محمود- بالبجاما! ! من دون (روب) ويحتذي الحذاء المنزلي، فاستغربت حقاً من مجيئه على هذه الصورة وسألته عن السبب فقال استعجلت رؤيتك وأتيت بهذا الزي! وهنا ادخلونا غرفة لا تزيد مساحتها على المترين المربعين ووضعوا لنا فيها كرسيين ودخل مرافقاي معي! ولكن مأمور السجن أخرجهما فوقفا معه خارج الغرفة وجعلوا يتحدثون طويلاً لكيْ يضمن لنا حرية الكلام، فشكرته بعد المقابلة وأدركت ان الفلوس التي اعطيتها له قد أدت مفعولها أخبرت -محموداً- بتفاصيل مقابلتي لـ(ذو الفقار باشا)

سفير مصر في طهران، فقال لي لا تجهدي نفسك بأمثال هذه المحاولات التي لاتجدي من دون الله شيئاً ولولا الحاح رفاقي علي لما طلبت منك أن تقابليه رغم طيبته ولطفه.. فقلت.. دعني وشأني أتصرف الأن كما أشاء من هذه الناحية لأنك ورفاقك مسلوبوا الارادة، فاقدوا الحرية فعلق على هذا الكلام بأن لي مطلق الحرية شريطة أن لا ترهقي نفسك وان لا يؤثر ذلك على تربية الأولاد.. ويؤلمني جدا أن أرى الشحوب بادياً على محياك - والله - !ما هذا - يامديحة - ارفعي رأسك عالياً بكل اباء وشموخ وافخرى ابداً ودائماً بوضعي ومصيري مهما كان فاني لست مجرماً ولم أبغ غير انقاذ هذا الوطن - المسكين- العظيم الذي تكالبت عليه عوادي الاستعمار والعملاء... يامديحة! لقد أديت واجباً مقدساً تجاه وطني كان علي أن أؤديه كاملا غير منقوص.. فما لي اراك الأن شاحبة أسفة، بل مضطربة مترقبة؟ انني لا أرتاح من هذه الصورة الأسيفة التي قد يشمت الأعداء بها أرجو أن أراك - بعد اليوم- وأنت في أجمل زينة، وأبهى صورة، لا تفارق الابتسامة شفتيك، والاشراقة وجنتيك. والآ فقد أزداد تألماً من جراء ذلك، فشمّري الساعد واعتصمي بحبل الله. ومن ثم سألني عن الأولاد لم لم أحضرهم معي فأجبته بأني لم أكن على علم سابق بموعد المقابلة، وسأحضرهم في المرة القادمة إن شاء الله. انتهت المقابلة، وكان هم -محمود- الوحيد العناية بصحة الاولاد والرفق بنفسي وارسال حقيبة ملابس له فانصرفت... وهكذا كان وقتي موزعاً بين الاشراف على الأولاد وتسمّع الأخبار الجديدة وتطور الوضع العام وزيارة زوجي.

الزيارة الثانية

ذهبت ثانية لمقابلة -محمود- عن طريق - المقدادي- فأوصاني بالاستعجال والعودة ا البيت لان طهران تمر في هذه الساعات بأحوال غير طبيعية وغير اعتيادية ومن الأوفق أن تقدري هذا الظرف وتسرعي في الزيارة والعودة! ! كنت قد عرفت - من خلال الاذاعات- ان الشاه

(رضا بهلوي)– قد تنازل عن العرش الشاهنشاهي لابنه (محمد رضا بهلوي)– الشاه الحالي–..
وقد نقلت الى محمود في اثناء المقابلة هذا النبأ فما كان منه الا أن ضحك وقال أتصدّقين يامديحة–
مثل هذا النبأ الذي زفه اليك المقدادي بعدما أطلعت خلال هذه الفترة على أحوال هذه الأمة
الايرانية التي حصنها الله بهذه الحصون الجبلية الرهيبة وما تمتلك من جيش وأسلحة وعتاد وقد
استسلمت للقوى الغازية المحتلة ولم تطلق رصاصة واحدة صوبهم!؟ لا تصدقي هذا الخبر فسيان
عند الايرانيين أن يحكمهم هذا أو «ذاك ولا تهتمي بمثل هذه الأقاويل... وقد أعرب فهمي في
هذه الزيارة عن رغبته في ان تزوره عائلته فوعدته باحضارها في المرة التالية..

مع اسماعيل صبري!!

عدت الى البيت فوجدت اسماعيل في انتظاري فسألني عما «وراني» من الاخبار ولم أخبره
بطبيعة الحال عن اي شيء لأنني جعلت أشك في موقفه! وهنا سكت وقال جئت اليك لأعرض
عليك طريقة تؤدي الى إنقاذ –الجماعة– من السجن وذلك بتوجيه من المقدادي ومدير الأمن
العام ولكن هذه الطريقة تكلف مبلغا كبيرا من المال وقد ارتأينا أن تساهموا أنتم وعائلة فهمي
سعيد بتدبير هذا المال! لكي نتمكن من تهريبهم الى خارج السجن! فقلت وأمارات الشك
وعدم الرضا تلوح على وجهي. لا بأس اننا على استعداد شريطة أن لا يدفع المبلغ الا بعد مغادرة
زوجي ورفاقه السجن ومن ثم مغادرة الحدود الايرانية فقال حسنا سأجرّب وفي المساء جاءتني
أخت زوجة فهمي وأبلغتني بأن (اسماعيل صبري) كان قد زارها وعرض عليها ماعرضه علي
مستغلا الطيبة وقد أجابته بأنها توافق على ذلك وتدفع المبلغ ولكن بعد المذاكرة والاستشارة مع
(حرم محمود سلمان) وهكذا كشف (اسماعيل صبري) عن نفسه وأراد استغلال محنتنا وضعفنا
ولكن خاب فأله وتقديره وظهرت حيلته! ولكن هل ياترى وقف هذا الرجل المحتال عند هذا
الحد؟ كلا... فلقد أرسل لنا برجل آخر إسمه (الجواهري) وهو صوري الأصل وصحفي كما
يدعي! وقد استوطن –طهران– من زمان ويعيش على التجسس لحساب ايران! وكانت ايران
قبل نزول (الشاه الأب) عن العرش ملأى بالجواسيس والعيون بحيث كان الأخ يتجسس على
أخيه وكنت ترى البواب والشحاذ والخادم جاسوسا وهكذا.. أتى الجواهري الينا «مبعوثا فوق
العادة» من قبل (اسماعيل صبري) وبعد أن أبدى أسفه وتأثره من الحالة التي يعانيها –محمود–
ورفاقه في السجن قال بأنهم لم يسجنوا الا تخوفا من هروبهم وأن قسماً منهم قد حاولوا الهرب
فعلا كزوجك وفهمي سعيد فكان هذا مبررا لاعتقالهم! فقلت له.. إسأل (اسماعيل صبري)
زميلك عن كل هذا فعنده الخبر اليقين لأنني واثقة جدا بأنه بالذات هو الذي وشي بهم! فما كان

منه الا أن حول هذا الحديث عن مجراه وقال مهما يكن الأمر فأن في الامكان إنقاذهم لو أننا قدمنا رشوة الى بعض من في أيديهم الحل والعقد! فأجبته بأني على أتم الاستعداد شريطة أن لا أدفع أي قدر من المال الا بعد أن أرى زوجي خارج السجن فقال.. بأن وزير الخارجية الايرانية صديقه وأنه مستعد للمساعدة من هذه الناحية.. فأجبته لا بأس! ومادمت صادقا وجادا في هذا فهل في إمكانك ترتيب مقابلة لي مع وزير الخارجية!؟ قال.. سوف أحاول ذلك وخرج يائسا بائسا!!

الزيارة الثالثة لزوجي

ذهبت في اليوم التالي لزيارة محمود واستصحبت عائلة فهمي سعيد ولما التقينا بالرفيقين على درب النضال وجدت -فهمي- خلافا لما أعهده فيه متأثراً عصبي المزاج وعندما حدثتهما عن لعبة اسماعيل صبري والجواهري حذرانا من كلا الأثنين! وقلت بدوري دعونا نفكر في طريقة أخرى لتهريبكما مادامت الرشوة والدراهم لها مفعولها وأثرها في هذه البلاد الممزقة أخلاقيا واقتصاديا وسياسيا! فقال -فهمي- كيف يمكن ذلك وهم لا يسمحون لنا بمقابلتكم الا بملابس السجن هذه وكما تروننا؟ لا نلبس غير البجاما ولا ننتعل غير الحذاء المنزلي: وهنا فهمت السبب في الزيارة الأولى عندما قابلني -محمود- على تلك الصورة!! وقبيل الانصراف قلت لهما بأني غدا على موعد مع السفير المصري لكي يطلعني على محاولته الشخصية مع السلطة الايرانية فطلبا مني الاتصال بهم في السرعة المستطاعة حول هذا الموضوع وسألني محمود بدوره عما سمعته عن أخبار «المفتي» وعما اذا كان قد سافر أم لا؟ فأنبأته بأن أنباءه مقطوعة من زمان ولا نعلم مقره في الوقت الحاضر. فأبتهل الى الله القدير بأن يُنجيّه ويحفظه من كل مكروه!! وهنا ضحكت ولم أستغرب من سريرة -زوجي- الطيبة وقلت... فكر بنفسك قبل كل شي فليس هنالك من يفكر فيك! فقال كلمته الخالدة (ماذا تريدين؟ أتريدين أن نموت جميعا؟ فلينقذ رب العالمين من يريد حتى نتمّ رسالتنا الوطنية وليس مهما أن أكون أنا الضحية وأنا الشهيد فأكبرت فيه هذه الروح الوطنية العالية وهذه الشيم العربية وابتهلت الى الله في سري وفي قلبي أن يحفظ لي. بطلي هذا وكل الأبطا والأحرار الآخرين.

مقابلة (ذو الفقار باشا)

في الصباح التالي ذهبت لمقابلة (ذو الفقار باشا) السفير المصري في طهران فاستقبلني استقبالا جيدا وسألني عن الأولاد وعن زوجي ورفاقه وسألته عن مساعيه المشكورة فقال لي بأنه بذل

جهودا شخصية كبيرة ولكن الحصيلة مع الأسف لم تكن كما نتوقع فلابد من تسليمهم للانكليز بدلا من الحكومة العراقية خشية من الانتقام منهم.. وسيظلون لدى الانكليز كأسرى حرب الى أن تنتهي الحرب ويقضي الله امرا كان مفعولا. فشكرته على ذلك وكان أن دخل في ذات اللحظة (محمد سعيد بك) السكرتير الأول في السفارة المصرية فأوصاه بأن يقوم مقامه في السؤال عن صحة الأولاد وتفقد العائلة وقضاء كل الحاجات الضرورية فكان موقفا كريما من السفير المصري في تلك الظروف العصيبة فكررت شكري وأمتناني وانصرفت من لدنه شاكرة ممتنة وفي تلك الفترة تمرض طفلي «معد» وأجريت عليه الفحوص الطبية اللازمة كما أن قواي قد ضعفت وبدأ الهزال والشحوب علي ظاهراً حتى أن صاحب العمارة التي نسكنها وهو طبيب مثقف ثقافة عالية ومن أسرة عريقة فوالدته أميرة ومتزوج من سيدة محترمة قد شعر بحالتي الصحية هذه وقال لي... أنت لست بالسيدة التي رأيتها منذ شهرين لأنك عندما وصلت طهران ورأيتك -وأنا أدخل عيادتي- استلفت نظري وقلت لاصدقائي بأنك أجمل سيدة استأجرت احدى الشقق في عمارتي وما عليك الا أن تهتمي بصحتك وتتفسحي في الهواء الطلق وتريحي أعصابك.

رسالة من يونس السبعاوي

ذات صباح أرسلت بسائق السيارة -سلمان- الى السجن مع طعام الفطور وبعد عودته سلمني رسالة من يونس السبعاوي يقول فيها... لقد أتعبناك -ياسيدتي- بأمرنا وشأننا وأرجو أن تتمي جميلك وذلك بالذهاب الى السفارة الروسية علّها تتدخل في أمرنا وتتمكن من إنقاذنا واذا تعذر عليك الذهاب الى هناك فأرجو ابلاغ سائق سيارتي ليقوم بهذه المهمة..وقد فكرت مليا بهذا الأمر وقررت عدم الذهاب مع العلم أن الروس كانوا قد عرضوا على العراق مثل هذه المساعدة قبل الآن وعندما كان العراق في حرب مع الانكليز! ولكن حكومة العراق -يومها قدمت شكرها للروس وقد اعتذرت عن قبول المساعدة! والسبب في عدم تلبيتي رغبة يونس السبعاوي هو خشيتي من أن يغضب -محمودا- مثل هذه الوساطة حيث أن الرسالة ليست منه وأحضر سائق السبعاوي الذي كان يرافقه أحد رجال البوليس الايراني فاحترت في أمري كيف أبلغ سائق السبعاوي برغبة (السبعاوي). فدخلت غرفتي وكتبت ورقة صغيرة بالمطلوب من السائق ووضعتها في علبة السكاير وخرجت فقدمت سيكارة له من العلبة وتناولها مع الورقة الصغيرة في غفلة من البوليس فخرجا معا وعرفت بعدئذ بأنه اختلف الى السفارة الروسيّة وبلغها برغبة السبعاوي ورفاقه.

مقابلة مع ناجي السويدي

قابلت ناجي السويدي في الصباح لأعرف ماعنده من الأخبار فوجدت رؤوف بك البحراني أحد الوزراء اللاجئين الى ايران فرحبا بي بالغ الترحيب وسألاني عن -زوجي- ورفاقه فحكيت لهما جميع التفاصيل التي أعرفها وعشتها يوما فيوما... وقد كان السويدي يومها متأثرا جدا وكان يسألني ويقول... ماذا كان يضير -رشيد عالي الكيلاني- لوكان أخذهم معه الى تركيا. هل كان الخطر يلاحق صهره وسائقه أكثر من القوّاد!؟ إن تصرف الكيلاني والكلام للسويدي- لا أعرف تفسيره أو تبريره. والواقع أن دمهم اذا ماحصل شئ -لاسمح الله- انما يقع على رأس الكيلاني بالذات... فسكت عن الكلام المباح وجعل يلاطفني ويصبرني ويؤملني وإنه لا ييأس من رحمة الله الا القوم القانطون! وأردف يقول انه ينوي السفر الى بغداد وأنه مستعد لأن يحاكم، وأنه يفضل السجن المرفي بلده على أن يسجن بين هؤلاء الناس وفي هذه الدولة التي لا ترعوي ولا ترعى حرمة اللاجئين السياسين. وقد وعدني بأن يزورني في الوقت المناسب لكي ينورني بما يجد من الأخبار والأحداث..

زيارة الى بانسيون اللاجئين

وفي اليوم التالي ذهبت الى (البانسيون) لاعطي بعض الدراهم لاولئك (المساكين المتطوعين) واذا بالبوليس يضرب نطاقا حول (البانسيون) اذ منعوني من الدخول اليهم فعدت ادراجي بسيارتي، ولكن صوتا صارخا، هو صوت - جمال الحسيني - يصرخ في وجه هؤلاء (الزبانية)! لم تمنع هذه - السيدة - من الدخول؟ انها قادمة للسؤال عن اخوانها... وفي هذه الاثناء - وياللصدفة! - رأيت «حمود» و «رشيد فليح» و «عبد الحق العزاوي. على الباب فناديتهم بأن يأتي احدهم، فأتى - حمود - وقد دفع بالبوليس من امامه، وتركه يصرخ. ويهدد، وقلت له.. ادر لي جانبك لاضع الدراهم في جيبك، وهكذا كان.. وماهي الا لحظة حتى يأتي العديد من البوليس المسلح لدعم الاولين.

فقفلت باب السيارة، وقلت للسائق اسرع اسرع الى البيت... وقد لامني - السائق - على جرأتي هذه والتي لاتخلو من مجازفة وخطر! ولدى وصولي البيت، احاط البيت نفر من البوليس المسلح وطوقه، وكنت ارقبهم من الشباك.... وقال لي السائق، ربما القوا القبض عليك.. فقلت له، ان حدث ذلك، فلا عليك الا ان تأخذ الاولاد وتقفل راجعا الى بغداد. ودع

الاولاد عند اختي... ولم اكد اتم توصيتي هذه للسائق حتى قرع باب الدار. واذا بضابط بوليس، والبختياري – وهو مساعد المقدادي – الايمن يبلغني بأن زوجي سيكون في البيت خلال بضع ساعات، ويجب ان اكون مستعدة للسفر!! فأجبته بأن ولدي مريض ولا استطيع السفر الا بعد شفائه حفاظا على حياته.. فقال... في مثل هذه الحالة فلابد ان احصل على موافقة – المقدادي – فهبط من الشقة، وكلم – المقدادي – تلفونيا – من مكتب صاحب العمارة، وبعث بطلبي، فكلمت – المقدادي – وسألني عن مرض ولدي، وعمن يعالجونه من الاطباء، وقال سأنظر في هذا الامر، وازورك بنفسي في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم.. فطلبت من – سلمان – ان يكون على اهبة السفر فيما اذا رفضوا بقاءنا.. وفي تلك اللحظة جاءتني زوجة – فهمي – يرافقها واحد من البوليس الايراني، وابلغتني بأنهم اشعروهم بالسفر، وقد جاءت الي تسألني. ما الخبر؟ فأجبتها، لقد اشعرونا بالسفر.. تماما... كما اشعروكم. ولااعلم باكثر من هذا!! وماهي الا ان دقت الساعة الثانية بعد الظهر، واذا بالبوليس الايراني. يؤدي التحية. للمقدادي الذي جاء الينا كما وعد.

جاء – المقدادي – وانتحى بي جانبا، وقال بأنه اتصل بالاطباء المعالجين، فأكدوا لي خطورة سفر الطفل. ولذا فقد قررت الحكومة الايرانية ان تغض النظر عن سفركم في الوقت الحاضر! وارجو عدم اخبار اي كان بذلك.. واشار الى اخت – فهمي – وقال. حتى هذه لاتخبريها بما قلته لك.... لان الجميع ملزمون يالسفر عاجلا، ماعداك والاولاد والسائق.. وسيكون زوجك هنا في الساعة الرابعة عصرا لكي يودعك... وسألته.. الى اين سيكون السفر. فأجابني.. لاادري وخرج!

انتظار على الجمر!!

قاتل الله – الانتظار – انه اشد من القتل واحر من الجمر.. تمر الدقائق والساعة تلو الساعة. وانا انتظر مجيئ – محمود – كما وعدني – المقدادي – في الساعة الرابعة ولكنه لم يأت... وقد قررت مع نفسي السفر مع قافلة الجميع مادام – زوجي – سيسافر كذلك. وعندما تأخر مجيئ – محمود – بعض الدقائق. خلت بأنهم قد سفروه، ولم يسمحوا لي بوداعه!! اعصابي ثائرة. دموعي غزار. نظرات شاردة الى الشارع!! ماذا.. ماذا!! انه «المغيرة» الطفل يصرخ بابا... بابا... بعدما وقف على الباب (اوتوبيس) كبير يحرسه عشرة مسلحين غلاظ الاكباد. واذا بمحمود – يترجل. فقلت الى اين؟ قال لا ادري، وكل ماأدريه هو انهم قالوا لي. انهم سيأخذوننا، ولك – نصف ساعة – لكي تودّع اهلك!

احتضن الاولاد وقبلهم. فقلت له بأنهم كذلك وافقوا على سفري ولكن رجوتهم ان يؤجلوا ذلك بسبب مرض معد. فقال، الحمد لله، فكنت سأطلب منك المستحيل من اجل تأخير سفرك معنا. فقلت له. بل انني قررت ان اتبعك حيثما تسافر وتكون ولو الى الموت فماذا تقول؟ قال كنت ارضى بذلك لولا هذان الطفلان البريئان. فاذا كنت تحبينني حقا - وهو كذلك - فاسمعي نصيحتي بأن تعودي الى بيتك في بغداد، وترحمي الاولاد.. وهكذا اصررت على السفر، معه، واصر على بقائي وسفري الى بغداد. ولم اجد بدا من النزول عند مشيئته... في هذه الاثناء التي يتحاور فيها شريكا حياة ومصير في احرج لحظة تأريخية، هي لحظة وداع «الى حيث لاندري، يجئ «الاوتوبيس» المنتظر، فركبت معه لتوديعه الى المحطة.. ولدى الوصول الفينا جميع اللاجئين تقريبا وعوائلهم قد تجمعوا قبلنا في نفس المحطة.. وكذلك عائلة «المفتي» وعائلة «السبعاوي» التي ماتزال حتى اللحظة ضعيفة بسبب المولود الذي وضعته منذ سبعة ايام. وقد اقاموها من على السرير وامروها بالسفر مع زوجها والاخرين بذلك القطار الخاص الذي اعدوه لترحيلنا!

وعندما كنت اتمشى مع - محمود - للتباحث فيما كان يهمنا من الناحية العائلية والاجتماعية والمصيرية، جاءنا (السبعاوي) فقدم لي شكره الجزيل لاني - حسب قوله - بذلت اقصى مايمكن في سبيل الجميع، وسأل الرب الكريم ان يبارك في وفي كل الطيبين والطيبات.

برافو مدام.. برافوا مدام!!

قبيل الرحيل، وامام كل العراقيين المسفرين، تقدم الي واحد من كبار المسلحين الايرانيين، وخاطبني بقوله، اني معجب بشجاعتك وخصوصا في مثل هذا الموقف المرهب، فقد تصورت، ان اراك ضعيفة وباكية، وليس قوية ومتماسكة الى هذا الحد. ولا ادري - والله - كيف انطقني الله باللغة الفارسية، فقلت له... اسمع ياهذا وافهم جيدا بأن هذا الرجل - واشرت الى محمود - هو اعز ما املك في الدنيا، وانا اعلم بانه صائر الى الموت! ولكن عزائي - اذا مافقد - هو انه ادى واجبه ورسالته تجاه وطنه العزيز ... هذه هي الحقيقة فأعلمها وافهمها، وليعلمها هؤلاء الواقفون معك، انتم يامن استسلمتم امام الاحتلال الاجنبي من دون ان تطلقوا طلقة واحدة، وقد رضيتم بالاحتلال عن طيب خاطر! وهنا وفي هذا الموقف التاريخي الرهيب، لم يسع هؤلاء الايرانيون الا ان صفقوا لي وخاطبني «كبيرهم» برافو مدام!! برافو مدام كما لم يسع محمود الا ان تقدم الي وطبع على جبيني قبلة الوداع والرضا والفخر وقال.. الان والان فقط

لاشعر بالعزة والكبرياء الوطني، فليحفظك الله للوطن ولهؤلاء الاولاد الصغار المساكين كما ان الاخوان العراقيين قد بهتوا لموقفي البطولي هذا – ولافخر – وهتفوا بحياة الوطن..

وفي اللحظة ذاتها وصل الى المحطة موظف انكليزي من السفارة البريطانية، يحمل في يده قائمة كشف باسماء جميع العراقيين اللاجئين، ترافقه سيدة، ولاادري فيما اذا كانت موظفة هي الاخرى، ام انها زوجته، وصدر الامر بأن يتحرك القطار الى الجهة التي لانعلم عنها شيئا!! وقد طلب مني – محمود – ان اذهب غدا صباحا الى المفوضية العراقية في طهران لأتحسّس رأيها في عودتي الى العراق، وفي حالة وجود مانع لديها اذن فلأسافر الى تركيا ولا أبقى في بغداد وفقا لرغبة زوجي لوحت بيدي لقطار الموت «هذا، وعدت الي سيارتي وسائقها، واذا بأحد الايرانيين يهم بالركوب معنا ويقول، بأني مكلف من قبل الحكومة بحراستكم اثناء اقامتكم في طهران. فصرخت في وجهه، وقلت له قل لمن عينك وارسلك بأنا لسنا في حاجة اليكم، ولانقبلكم حراسا وحماة لنا.... وصلنا البيت بسرعة، وانا منهكة الاعصاب فأجهشت في البكاء، لاطفئ نار اللوعة والفراق في قلبي، حتى ارتحت قليلا، وعاد الي الهدوء نسبيا.

ليلة ليلاء !!

ليلة ليلاء! ام (ليل اليل) لاادري! لقد نام الاولاد، وظللت اساهر الهواجس والافكار. واتصور زوجي، سجينا او مريضا، أو شهيدا، واتصور هؤلاء الطغاة الذين كبلونا وبلادنا بالاغلال والاصفاد، فاستعيذ بالله من كل الشياطين، ومن كل هذه الوساوس والكوابيس التي تجثم على قلبي، فانتفض من السرير، وافتح النوافذ، واذرع غرفتي عرضا وطولا! رباه!! ما اقسى القدر معي... رباه هل سيكون القدر قاسيا – مع اولادي – والى هذا الحد لقد تنفس الصباح كعادته في كل يوم، ولكني لم اتنفس الصعداء كعادتي في كل مرة!! رباه! هذا طفلي ممدد على السرير بين الحياة والموت، وهذا اخوه الطفل الاخر لايفقه شيئا!! حنانك يارب والف حنان، وانت الذي تمنح عبدك القوة والصبر والايمان..

مع داود باشا الحيدري

خرجت من الدار، الى حيث المفوضية العراقية في طهران، ولدى وصولي، لمحت (الوزير المفوض) داود باشا الحيدري يهم بالخروج في نفس اللحظة، وقلت للسائق اسرع الى – الباشا – وابلغه بأنّي جئت لاقابله. وهكذا فعل... فما كان من السيد الحيدري الا ان توجه الى حيث

سيارتي فحياني تحية طيبة، ورحبّ بي كثيرا. وقال (تفضلي مديحة هانم عند بناتي في البيت، وها انا ساعود بعد لحظة. فقلت.. اشكرك - ياباشا - جزيل الشكر، ان لي سؤالا واحدا.. هو.. هل هنالك مانع من عودتي الى بغداد فأجاب.. والله لااعلم، وانا ذاهب الان الى السفارة البريطانية وسأسألهم عن امكانية ذلك ام لا... واظنهم لايمانعون في هذا!! وقال لي.. لم لم يراجعني الجماعة قبل الان لنعمل مانستطيع عمله؟ وهنا ضحكت وقلت.. لقد راجعكم -كامل شبيب - بالذات فماذا عملتم له، فلقد سافر مع الجماعة الى حيث لاندري! ولم أزدْ على ذلك. لاني لم ارد احراجه، ولانه وحكومته لم يكونوا احرار الارادة والكلمة والتصرف، لان الانكليز هم الاسياد «الحاكمون بأمرهم» في العراق!

قال (الحيدري) على كل حال، اليوم بعد الظهر سأبعث لك خبرا او جوابا عن سؤالك هذا. واذا كنت في وحشة فأرجو ان تشرفي داري مع بناتي لاني اعتبرك بنتي، فشكرته ثانية، وعدت ادراجي الى البيت، وانا اردد هذه الكلمات.. ترى هل فقدنا استقلالنا الوطني الذي حصلنا عليه باراقة الدماء؟؟ ترى، اهي حكومة عراقية تحترم نفسها، «ووزيرها المفوض» لايجرؤ على الموافقة على عودة (مواطن عراقي) الى بلده قبل ان يستشير الانكليز!؟ الويل ثم الويل لك ايها الدهر الخؤون!

السويدي يزورني في الدار

زارني بعد الظهر (ناجي باشا السويديَ) مع (رؤوف بك البحراني) فابديا التأثر والاسف، لسفر رجالنا، وقال لي - السويدي - بأنه والبحراني وموسى الشابندر، قد تقدموا بطلباتهم للعودة الى بغداد، وسيسافرون بعد اسبوع. فقلت لهم، وانا انوي السفر فقال.. اذن، تأهبي معنا حتى نؤمن راحة الاطفال وسنسافر - انشاء الله - عن طريق المحمرة - البصرة، وهو نفس الطريق الذي كنت قد اخترته، لاني لاأحبّذ العودة عن طريق خانقين - قصر شيرين، الذي جربته، سابقا ولاني لااريد ان اشاهد بعيني معسكرات المحتلّين وجرى الاتفاق على ان نسافر معا بعد عشرة ايام، وخرجوا من الدار على ان يعودوا ثانية للاطمئنان على صحة معد...

عبد الملك الخضيري يزورني

زارني السيد عبد الملك الخضيري في داري، وكان يعمل سكرتيرا في المفوضية العراقية في - طهران - واخبرني بأنه قادم الي من قبل (داود باشا الحيدري) وانه يقول بأن لامانع من عودتي

الى بغداد، واردف – الخضيري – يقول.. ارجو اعتباري اخا لك، وانا مستعد لاداء اية خدمة تطلبينها مني. فشكرته على هذه الكلمات الرقيقة، وجعل يعاود زيارته لنا في كل يوم، ليسأل عن صحة الاولاد، وقضاء مانحتاجه اذا ما اقتضى الامر. وكذلك كان يفعل (محمد سعيد بك) سكرتير السفارة المصرية في طهران. وهكذا هيأ الله لنا من بني اهلنا وعروبتنا من يهتم بشؤوننا ويواسينا في وقت المحنة...

كان سلمان – السائق – يستعجلني السفر في كل لحظة مع علمه بطفلي المريض وعدم تحسن صحته. وكلما اسأله عن سبب الاستعجال يجيبني بأن وجودنا في بلدنا خير الف مرة من بقائنا هنا، وان الله تعالى خير من الاطباء، وربما في التأخر افات ومضاعفات لان الحالة هنا –كما تعلمين– ليست طبيعية! فأقنعني بأنه على حق، فسارعت باعطاء – الباسبورت – الى الاخ عبد الملك الخضيري فاجري اللازم وحجز مكانا لنا في القطار في الخميس القادم.. اتصل بي فخامة (ناجي السويدي) واخبرني بأن سفرهم قد تأخر حتى اشعار اخر بناء على اشارة من الوزير المفوض العراقي! فقلت له ولكني مسافرة، فقال توكلي على الله، والسلامة ترافقك في كل مرة، وارجو ان تتصلي بأخي (توفيق السويدي) وتخبريه عن كل ما حصل هنا، واذا ماكنت في ضيق او حاجة مادية، فأرجو الاتصال بأخي توفيق» وتقولين له، بأن اخاك ناجي – يأمرك لقضاء خدمات كذا.. وكذا... دون قيد او شرط فشكرته شكرا جزيلا..

لماذا سفر اللاجئون العراقيون من قبل الانكليز !؟

قبيل مغادرتي ايران الى العراق بيوم او يومين، وبعد اتصال سائق السبعاوي بالسفارة الروسية في طهران– علمت بأن السفير الروسي قد اتصل بوزير الخارجية الايرانية وكان وقتها (اقاي سهيلي) وطلب منه عدم تسليم العراقيين، اللاجئين للانكليز بل تسليمهم للروس. فرد عليه (سهيلي) بأنه سوف يخبره في الغد عن طلبه هذا لان قضيتهم تحت الدرس. وبعد خروج السفير الروسي من لدنه طلب – سهيلي – بصورة فوق العادة مقابلة السفير البريطاني، فأخبره بمطلب السفير الروسي منه! فاستعجل السفير البريطاني هذا الامر، وامر باعداد قطار خاص وتسفير اللاجئين العراقيين فورا وفي نفس اليوم كيلا تتوتر العلاقات بين الانكليز والروس من ناحية، وبين الروس والايرانيين من ناحية اخرى... هذا ماقيل لنا عن السبب في تسفير اللاجئين العراقيين، ولااستطيع ان اجزم بصحة هذا النبأ، كما لااستطيع نفيه.

وللمؤرخين وحدهم حق التثبت من هذا بعد ان يعودوا الى الوثائق الرسمية بهذا الصدد....

قبل سفري بيوم واحد زارني عبد الملك الخضيري

....جاءني السيد الخضيري قبل سفري بيوم واحد لتوديعي والاطمئنان على صحة الاولاد، وكان قد حجز لنا صالونا في القطار باسم (شقيقته) - اي انا - لانه كان من المتعذر يومها حجز صالون او محلات في القطار بسبب تلك الظروف المحروبة! وهذا فضل جديد أضيفه الى افضال السيد الخضيري.. فضلا عن انه ابدى استعداده لتزويدي بالمبلغ الذي احتاجه من المال، فاكدت له بأني في (اكتفاء ذاتي) من هذه الناحية، ولن يكف عن الالحاح الا بعد التأكد!! كما رجاني - وعندما اكون في بغداد - ان اتصل بعمه (السيد كامل الخضيري) لقبض ايراده من حصته - اي حصة عبد الملك - في حالة حاجتي الى المال، وهنا اصبحت عاجزة عن الشكران!!

وقد اخبرني بأنه سيبعث - تلغرافا - الى البصرة لاقاربه لكي اكون في ضيافتهم فاعتذرت عن هذه المكرمة الجديدة بسبب وجود خالة زوجي وخاله في البصرة، وانهم قد يزعلون اذا لم اكن ضيفتهم!!

غادرت - طهران - مساء الخميس في اليوم الثاني من رمضان المبارك، وفي شهر (سبتمبر) من عام ١٩٤١ سنة.

وقبيل المغادرة علمت بأن زوجي ورفاقه وعوائلهم جميعا هم في مدينة - الاحواز - حيث تقع هذه المدينة على طريق سفرنا، وقد نضطر على المبيت ليلة واحدة، ففرحت فرحا كثيرا، فقد ارى - محمودا - بطريقة او باخرى...

تحرك القطار في الساعة الثامنة مساء وانا افكر واضرب اخماسا باسداس، والطفل المريض - معد - في حجري، وقد يهلك في كل لحظة، لان جميع الاطباء حذروني من السفر وهو في هذه الحالة!!

الوصول الى الاحواز.

وصلنا الاهواز بعد رحلة استمرت (٢٤) ساعة. وفي المحطة هجم علينا الحمالون لكثرتهم وفاقتهم فضلاً عن أن بعضهم من النشالين المحترفين كما أنبهونا الى ذلك وقد طلبت من -سلمان- أن يكون حازماً وحذراً من هؤلاء اللصوص. أشرنا الى أحدهم فأحضر لنا (تاكسي) الى حيث فندق (كارون) الذي يعتبر حينذاك من ارقى الاوتيلات المعروفة فلم نجد فيه محلاً شاغراً ودلّني صاحب الفندق على فندق آخر فلم أجد محلاً فيه كذلك! وأخيراً أنتهينا الى فندق (الفردوسي)

وهنا الطامة الكبرى فقد كان غاصاً بالرجال والنساء وكل منهم يخاف على أمتعته من السرقة والضياع عدا ذلك فان هذه (الفنادق) لا تختلف عن (الخانات) القديمة البدائية وتفتقد الى النظافة والخدمة. وهكذا عفت هذا (الفندق الخان) ومشاكله المحتملة وأخذنا (التاكسي) الى مقر (بوليس) المدينة المتأخرة عمرانياً واجتماعياً ودخلت على مدير البوليس وقصصت عليه مشكلتي وطلبت منه أن يرشدني الى فندق أمين فقال لي من الصعب جداً أن تجدي محلاً أميناً في غير فندق (كارون)! فما كان من (المدير) الا أن اتصل بادارة (الكارون) راجياً اياهم أن يهيئوا لنا غرفة بكل طريقة فأجابوه بأنه لا توجد أية غرفة شاغرة في الوقت الحاضر وان هنالك غرفة واحدة لكنها محجوزة من طهران باسم أخت القنصل العراقي هناك وأنها لم تصل حتى الآن! فلما سمعت بهذا الخبر سررت جداً وعلمت بأن عبد الملك الخضيري هو الذي حجز لنا هذه الغرفة فيالشهامة هذا الرجل ! هرعت الى الاوتيل ثانية وأخبرت صاحبه بأني أنا أخت القنصل العراقي في طهران وان غرفتي محجوزة لديكم فاعتذر لأنه لم يعرفنا عندما جئناه لأول مرة فاحتللنا الغرفة وحمدنا الله الذي لا يحمد على مكروه وضيق سواه!! في الصباح الباكر وبعد تناول الفطور ذهبنا الى مدير البوليس الذي تعرفنا عليه بالامس وكان رجلاً طيباً بالنسبة للآخرين الذين عرفناهم في طهران وطلبت منه أن يدلني على معتقل العراقيين في الأهواز اذا ماكان يعرف مكانه فأجابني بأنه يعرف مكانه ولكنه من الأفضل أن لا تذهبي اليه فهنالك صعوبة وخطر ! ومن الأفضل ان تستأنفي السفر الى المحمرة ومن هنالك الى البصرة أخذت بهذه النصيحة وأستأجرنا -تاكسي- اوصيت -سلمان- أن يكون حذراً ، يقظاً من صاحب «التاكسي» لئلا يغدر بنا!!

تركنا الأهواز الى حيث (المحمرة) فلاحظت اضطراب سلمان وتخوفه من السائق ومن حقه ذلك بعدما رأينا مارأيناه في الأهواز من اللصوص والنشالين! وكان الحديث مستمراً بين سلمان وصاحب السيارة وظهر من خلال الحديث ان لصاحب السيارة ولداً يعمل جندياً في الجيش العراقي فأجابه «سلمان» بأنه يعرفه حق المعرفة وأنه صديقه فراح الرجل يوصيه به خيراً ويخبره بأن أهله في شوق اليه وأن بالهم مشغول عليه وهم منتظرون رسالة منه! فوعده سلمان بذلك وانطلقت السيارة على بركة الله: فسر سلمان أيما سرور بهذه «الكذبة» أو الفرية لأنه أصبح في مأمن من صاحب السيارة... وصلنا المحمرة وقصدنا أحد المطاعم المعروفة واذا بصاحب المطعم يرحب بأخت القنصل العراقي) وقد هيأ لنا أكلاً خاصاً وأجلسنا في غرفة نظيفة لنأخذ قسطنا من الراحة ومن ثم هيأ لنا سيارة خاصة تنقلنا الى البصرة. وهذا فضل جديد لعبد الملك الخضيري أضيفه الى قائمة الافضال السابقة..

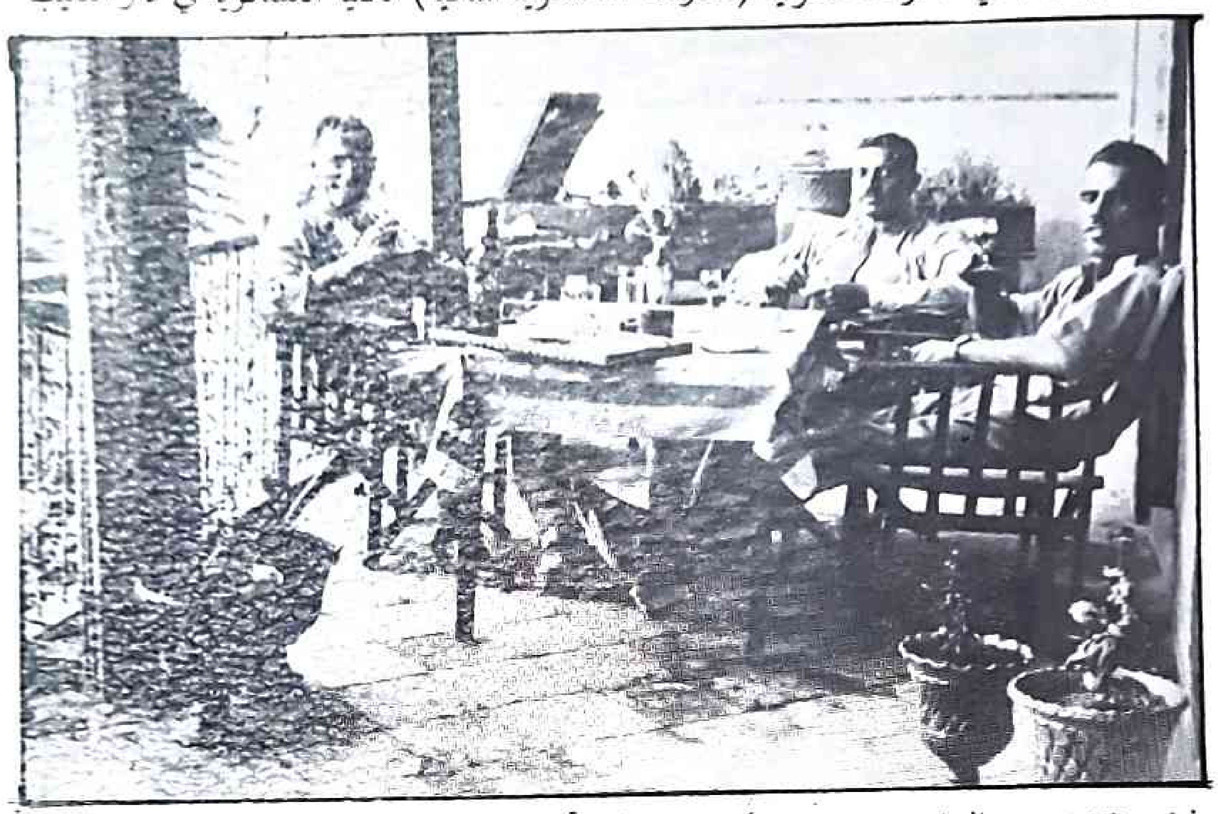
ودعنا صاحب المطعم ونفحناه «اكرامية» تليق بالخدمة وأستأنفنا الرحلة الى البصرة والحمد لله فقد تحسنت صحة معد في هذه الأيام بالرغم من وعثاء السفر وصلنا نهر (قارون) الذي لا

جسر عليه وعبرت السيارة بوساطة (معدية) بعد أن نزلنا منها وعدنا فركبناها الى حيث الضفة المقابلة.. وماكان المساء حتى وصلنا (نقطة) بوليس ايذاناً بوصولنا البصرة.. فتقدم منا شرطي عراقي فسألنا عن هوياتنا ومن أين جئنا والى اين وجهتنا فرحب بنا كل الترحيب وخف الآخرون من أفراد الشرطة للسلام علينا وتفانوا في خدمتنا وتوفير الراحة لنا حتى أن بعضهم أخذ يبكي زوجي ورفاقه! وقد تأخر -مأمور المركز- فتأخرنا بعض الوقت فاضطروا لمكالمته بالتلفون وسألهم عما اذا كانوا قد فتشوا الحقائب وأن الأطفال لا يتحملون التعب! ولابد من تحركهم وهكذا أحضروا لنا زورقاً ينقلنا الى الشاطئ الثاني لشط العرب حيث جاء ضابط القسم أسمه ودود وسألهم عن تفتيش الحقائب فقالوا فتشناها ويصوت واحد فيالشهامة العراق والعراقيين! وسألني (ضابط القسم) عما أذا كنت أحمل رسائل أم لا؟ فقلت كلا ولكنه لم يقتنع في البداية وكان ينظر الى (شنطتي) نظرة شك وأرتياب فخاطبته بقولي افهم -ياهذا- ان التي تقف أمامك ليست بخرساء ولا جاهلة حتى تحمل رسائل وتسلّمها لكم فلماذا لا تصدقني!؟ فخجل وسمح لنا بالمرور، نزلت في الزورق الذي كان شكله يختلف عما رأيته من زوارق بغداد حيث كان يشبه (الجندول) فأنساب بنا على صفحة شط العرب، وكان ساحل البصرة رقراقاً أمامنا والأنوار تتلألأ ممتدة على طوله. حقاً انه لمنظر خلاب ساحر. ان هذا التمتع بهذه المناظر الساحرة لم يكن ينسيني صورتي الأسيفه وأنا أدخل وطني الحبيب بخاطر منكسر وبال مشغول بزوجي الذي خلفته ورائي في السجن وتحت رحمة القدر ولا اعلم ماذا سيكون المصير!! لقد قادني صاحب الزورق الى حيث دائرة الكمرك فاستقبلنا (الموظف الخفر) فعرف هويتي وتناول -التلفون- وخاطب ابن خالة زوجي ليأتي الينا ويأخذنا الى داره... ولم يفتش الموظف المسؤول حقائبي تكريماً لي..وخلال عشر دقائق كان (عبد الكريم رحماني) من أولاد خالة -محمود- قادماً الينا حيث أخذنا الى البيت فرحبوا بـ وألتفّ الكل من حولي وتبادلنا المعلومات وكنت في غاية الجهد والسهر..

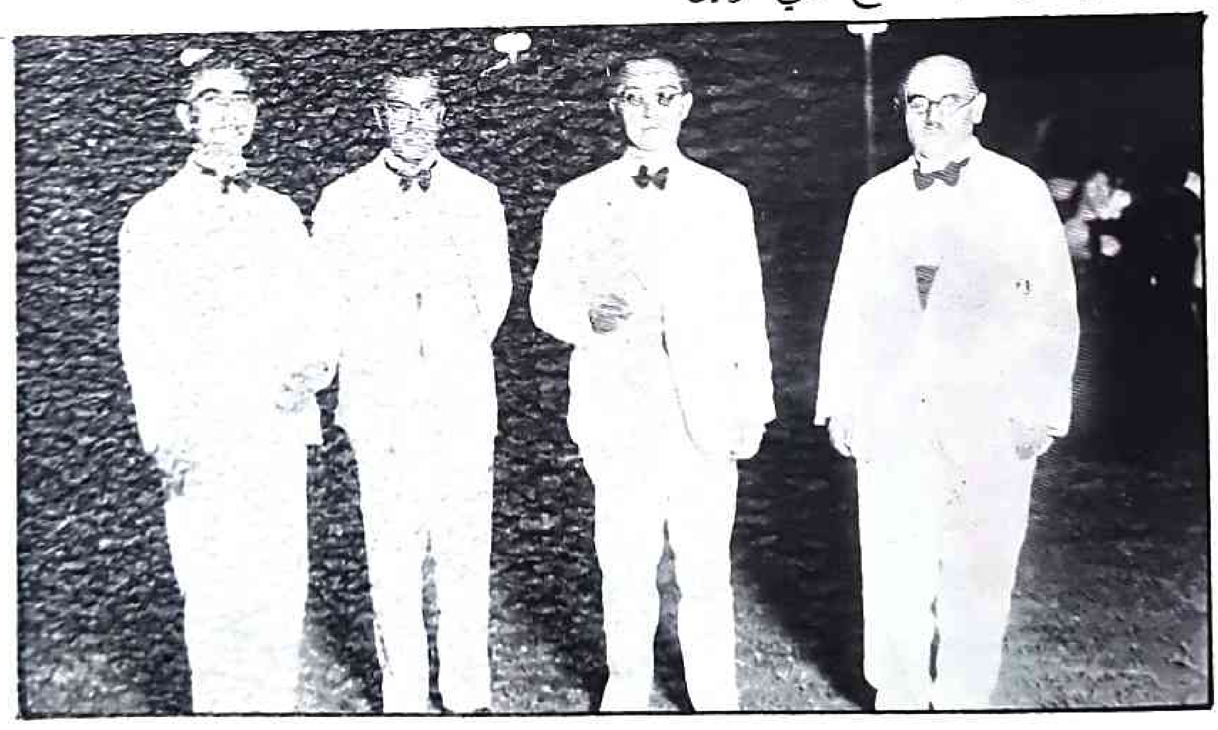
في الصباح وبعد سهرة مع اقارب زوجي، اتصلت تلفونيا باختي لاخبرها بوصولي البصره واني قادمة الى بغداد بالرغم من كرم الضيافة والالحاح على بقائي بينهم بضعة ايام. وبعد الظهر أخذني (عبد الكريم الرحماني) وزوجته، وجابوا بنا احياء البصرة في جولة استطلاعية.

ومن ثم غادرنا البصرة مساء الى بغداد، اذ وصلناها في الساعة العاشرة صباحا، حيث كان في استقبالي اختي وطارق والفلاح الذي كان يعتني بحديقة الدار!!

٢٠ /٦ /١٩٣٣ في الكرادة الشرقية (المدرسة العسكرية الملكية) الكلية العسكرية في دار النقيب



فوزي القاوقجي والدار تقع قرب الكلية العسكرية من اليسار فوزي القاوقجي (النقيب) محمود سلمان (في الوسط) صالح زكي توفيق

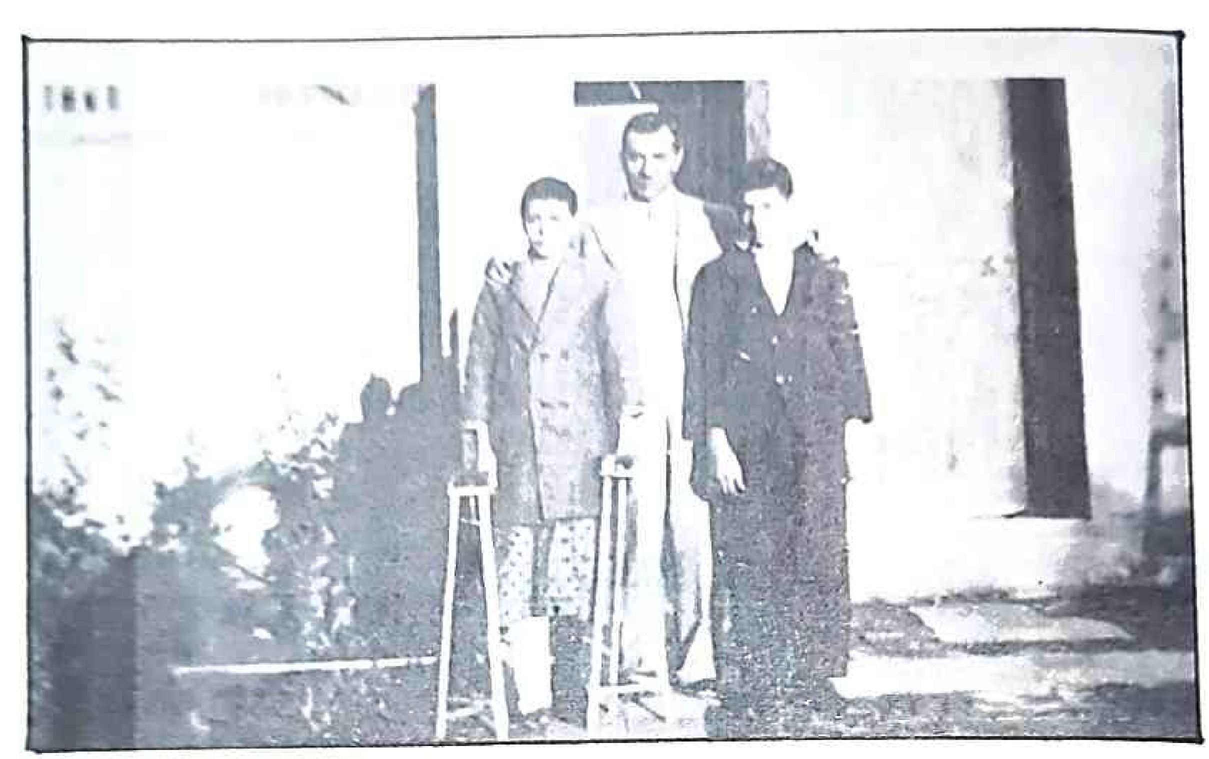


ليلة ٢٣/٢٤/ حزيران / ١٩٣٧ في بهو امانة العاصمة بمناسبة زيارة وزير خارجية تركية لبغداد توفيق رشدي آراس في الوسط الشهيد محمود سلمان وعن يساره توفيق رشدي آراس وساطع الحصري وعن يمينه طالب مشتاق



في حفلة مظاهرة الفروسية الكبرى التي اقامتها مدرسة الخيالة عام ١٩٣٨

من اليمين الشهيد محمود سلمان/ آمر مدرسة الخيالة، السيد محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان، الملك غازي الاول، صالح جبر



محمود طارق عدنان



محمود سلمان
مديحة سلمان
في دارهم بالعيواضية



الفصل الرابع

زوجة تعود الى بيتها المهجور!!

لكأن البيت غريب عني، ولكأني غريبة عنه!! اين تلك الاثاث الانيقة المنسقة. اين ذلك البيت الجنة الخضراء؟ اين تلك صاحبة البيت الناهية الامرة. لقد كنت ـ الملكة ـ الجالسة على عرش «مملكتي الصغيرة»! انه لدار مهجور!! ويبدو ان رضيعتي قد باعت اكثر الاثاث خوفا من ان تقوم الحكومة بمصادرتها او وضع اليد عليها! هنا صورة ـ محمود ـ وهنالك يجلس محمود.. وهذه غرفة الاستقبال التي تعج بفرسان البلد من المعارف والاصدقاء، اين انت ـ يامديحة ـ من كل هذا؟ اين تلك (الجنة) التي اصبحت خالية خاوية على عروشها! اين انت ـ يامحمود ـ ياسلواي ياعزائي؟ اني لاتخيل الان نظراتك التي كانت تفيض حبا وحنانا..... هكذا كنت اناجي نفسي واسائلها، ولكن ماذا تجدي المناجاة والمساءلة؟ هل كانت مجدية لاخرين غيري عاشوا المعاناة والهموم؟ سلمت امري الى الله وانقطعت عن العالم في «صومعتي» وانصرفت الى الاهتمام باولادي. لقد سجلت (المغيرة) في احدى مدارس الحضانة الخاصة اما «معد» فقد بدات صحته تتحسن تدريجيا مع الايام...

اما الاقارب والاصدقاء فقد انقطعوا عن زيارتي بعد ان علموا بأن الدار تحت الرقابة الشديدة، وان (البوليس السري) يحيط بالمنزل من كل جانب وان السجون والمعتقلات كانت مفتوحة تستوعب كل الاحرار والابرياء (يوم نقول لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد؟)...

واذا ماظل الحال على هذا المنوال!! فلا يستغرب ابناء الجيل القادم وهم يقرأون تأريخ تلك الفترة المظلمة المؤلمة اذا ماقرأوا ان «عريسا» في يوم زفافه، كان قد اعتقل بملابس (السموكنج)!! وان احدى زوايا المعتقل الرهيب كانت تضم في وقت واحد (محاميا) كبيرا و (قهواتيا) بسيطا، لايجمع بينهما جامع الا تهمة النازية» فكلاهما معتقلان سياسيان! والغريب في الامر ان زوج اختي لم يعتقل في تلك الفترة وكذلك (ابي داود) كما لم يفصلا من وظيفتيهما!! وكان (ابي داود) يزورني بين الحين والاخر، وكان ـ مفلح ـ زوج اختي يسكن معنا هو واختي...

كانت المراسلات لا تنقطع مع زوجي ـ محمود ـ لانها كانت تصلني عن طريق السفارة البريطانية بانتظام. اما رسائلي اليه فكانت تتأخر طويلا الامر الذي كان يقلقه... وقد نصحني ان ارسلها ـ عن طريق السفارة البريطانية ـ ففعلت، فوصلته والحمد لله...

ناقوس الخطر يدق من جديد!!

ناقوس الخطر يدق من جديد!!

وذات يوم. وعندما كنا نستمع من الراديو الى اخر الانباء واذا بصوت المذيع يعلن. ان محاكمة غيابية قد اجريت «لأبطال» ثورة مايس ١٩٤١، وقد اصدرت احكامها باعدام كل من رشيد عالي الكيلاني، وصلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد. ومحمود سلمان. ويونس السبعاوي، كما اصدرت حكمها بالسجن على كل من علي محمود الشيخ علي. وامين زكي رئيس اركان الجيش، وو..... الخ.

وستعاد المحاكمة من جديد في حالة حضورهم..

لقد وقع النبأ علي وقع الصاعقة. وراحت زوجة والد محمود تلطم وتضرب على رأسها. فهدات من روعها وقلت لها بأن الأنكليز تعهدوا بعدم تسليمهم الى حكومة العراق واعتبارهم – اسرى حرب – الى ان تضع الحرب اوزارها، فلا خوف عليهم باذن الله.. يؤكد قولي هذا ان الحكومة العراقية كانت قد ارسلت انذارا لهم وطلبت حضورهم بوساطة السفارة البريطانية!

ولكن السفارة لم تقبل تسلم الانذار. واعتذرت بأن محل اقامتهم مجهول!

كانت الوزارة العراقية حينذاك برئاسة جميل المدفعي، وقد صدرت الاحكام هذه على عهده، فكان صداها مؤسفا ومدوّياً في كل العراق والعالم العربي اجمع.

اما الصحف العراقية فلم تعلق او تكتب شيئا عن هذه الاحكام. الا مايصلها من قبل الحكومة للنشر. لان الرقابة على الصحافة كانت شديدة، ولان الكثير من الصحف كان يصدرها عملاء الانكليز وعيونهم وجواسيسهم!!

الرسالة التي اقضت المضاجع!!

انها الرسالة التي وصلتني من – محمود – والتي يخبرني فيها بأنهم – اي الانكليز – سينقلونهم الى جهة مجهولة! وانه يطلب تحويل مبلغ كاف من المال له ولبعض رفاقه من الذين يفتقرون الى المعونة... وهكذا انتابتني الوساوس والمخاوف من جديد. وتركت الرسالة في نفسي هواجس تقض المضاجع.. حررت له الجواب على الرسالة. وحولت له ما استطيع تحويله، وسلمت الرسالة والحوالة كلتيهما الى السفارة البريطانية في بغداد. ولم اخبره بطبيعة الحال عن الاحكام

الغيابية التي صدرت بحقهم من المحكمة العرفية لان البريد كان مراقبا من قبل السلطات. وقد تلقيت - بعد اسبوعين - الجواب بأن قد وصلتاه، اعني الرسالة والحوالة وان النقود بقيت في حوزة الانكليز وانهم هم الذين سيتولون الصرف منها لي في ضوء احتياجاتي ورغبتي!

وما لبثت انتظر الرسائل الجديدة وانا على احر من الجمر، عسى ان اعرف الجهة التي اخذوا اليها، وماهي الا ان يفاجئني - ساعي البريد - في لحظة قلقة برسالة جديدة دون ان تلصق عليها الطوابع البريدية، وفتحتها فلفت نظري كلمة (البصرة في ٩٤١٠٠٠٠). وهنا طار صوابي ولم اعد اتفهم مدلولات السطور، ولامضمون الرسالة الذي اشعرني بأن - محمودا - ورفاقه الاحرار قد تركوا الاحواز، الى البصرة حيث نقلوا على ظهر باخرة اليها بعد ان باتوا في مياه شط العرب ليلة واحدة! رباه ان العدو اللئيم قد يسلم الرفاق الى حكومة العراق التي تأتمر بأمرهم ولاتخرج عن ارادتهم! رباه ان الدنيا قد اصبحت امامي ضيقة جدا بل اضيق من كفة الحابل! رباه! الى اين يذهبون بهؤلاء الاحرار..

وماذا في الرسالة بعد!؟ انه ليخبرني فيها كم كان حنينه لرؤية الوطن الحبيب طاغيا على كل مشاعره!! انه قضى الليل وهو على امواه شط العرب يتأمل بجمال سماء العراق. وبزرقة المياه ويفكر بمواقفه الوطنية الى جانب الرفاق من أجل عز العراق ومجده وتحرره! كم كان وهو في جنوب الوطن العظيم واثقا بذاته، ومؤمنا بالله مهما كانت العواقب والنتائج! هكذا كانت عواطفه ومشاعره وهو في البصرة... وعندما اقول هذا للتأريخ والاجيال. فان هو الا واقع الرجال الرجال المؤمنين بربهم وبأوطانهم والدفاع المقدس عنها! ولطالما كان يقول لي - قبل المحنة - انني لاحبك - يامديحة - واحب اولادي، ولكن حب الوطن فوق طاقتي. فلا تغاري من شريكك في القلب والهوى، انه الوطن ولاشيء غير الوطن! اني لمستعد على ان اضحي بك وبالاولاد، في سبيل «حبيبي الاول» الوطن العربي الكبير... ومهما سطرت من كلماته في هذا المجال. فاني لاانصوره الا (عاشقا مجنونا) في حبه هذا الجارف الطاغي على كل شيء دونه!

رباه!! ماذا يراد لهؤلاء الاحرار، والى اين سترسو السفينة بهم؟ لقد غابت البصرة وغاب الرافدان عن انظارهم عندما مخرت الباخرة عباب الخليج. ولكن حب الوطن ظل منقوشا على صفحات افئدتهم وفي حنايا صدورهم فالى اين!؟

رسالة مابعد الخليج!!

تسلمت رسالة جديدة من «محمود» يقول فيها بأنهم قد وصلوا ميناء (دربن) في جنوب افريقيا بعد رحلة بحرية شاقة استغرقت (٣٥) يوما، وكانوا قبلها قد وصلوا الهند. لان النية كانت منصرفة الى انزالهم هنالك. وقد استقر الرأي، وبسبب نشوب ثورة داخلية في الهند. على ان

ينقلوا الى (روديسيا) في جنوب افريقيا! وقد حجز في ميناء (دربن) كل من محمود سلمان. وفهمي سعيد ويونس السبعاوي، وعلي محمود الشيخ علي. وامين زكي. وصديق شنشل. اما الباقون منهم فقد نقلوا الى داخل (روديسيا)..

هذا ماجاء في تلك الرسالة التي تقض المضاجع. وكنت اتساءل. ترى لم حجز «الجماعة» في الميناء. وسفر الباقون الى الداخل؟ هل لتفريقهم عن بعضهم. ام لمارب اخرى... هذا التساؤل، ومرض «معد» في تلك الايام بالذات كانا السبب في ان تتلبد الغيوم والهموم في سماء البيت. وان اعود من جديد صريعة للاوهام والهواجس والاشاعات...

اشاعات في بغداد.

كان الرأي العام في العراق تتقاذفه الاشاعات والاراجيف. وكان يتساءل عن مصير اولئكم الابطال الذين وضعوا ارواحهم على اكفهم، وحاربوا الانكليز المحتلين. لقد راجت يومذاك اشاعة محتواها ان زوجي ورفاقه بطريقهم الى العراق من روديسيا. وانهم سيصلون بعد ايام. وان خاتمة المطاف بغداد لينالوا جزاءهم على مواقفهم البطولية الرائعة! وفريق اخر كان يحلل الموقف بأن الانكليز بدأوا يلومون حكومة العراق لان الامن العام غير مستتب. وان البلد يعيش على كف عفريت، وان ساعة الانفجار والثورة الوطنية لابد ان تدق بسرعة! وفي مثل هذه الحال لابد من عودة «القواد الاربعة» واجراء المصالحة الوطنية معهم. والعمل على تعاونهم مع «الحاكمين» بأمر الانكليز!! وهكذا كان البلد يعج بأمثال هذه الاشاعات والتأويلات. وكل يضرب على الوتر الذي يطربه او يثير اشجانه..

استقالة المدفعي من الحكم ومجئ حكومة نوري السعيد.

ان تلك الاستقالة المفاجئة كانت تنذر بالخطر. وان مجئ نوري السعيد الى الحكم دليل واضح على هذا الانذار بالخطر! فهو خصم لدود للقواد الاربعة لايستهان به وان وزارة المدفعي ماكانت الا الجسر الموقت لعبور نوري السعيد الى الحكم! من هنا قد تلقى الاضواء الكشافة على مصير قادة الثورة الوطنية ضد، الانكليز. وبخاصة فقد سبق ان اصدرت الاحكام بحقهم غيابيا بالاعدام والسجن، فأية اعصاب تتحمل العيش في تلك الاجواء المضطربة؟ واية امرأة في مثل حالتي ووضعي لاتتقاذفها هذه الافكار والتصورات. اذن فلابد من الانتظار لبضعة ايام وليالٍ، والليالي من الزمان حبالى مثقلاتٌ يلدن كل عجيب!!

لقد وصلوا البصرة!!

صح ماقيل عن عودتهم الى العراق. فقد وصلوا البصرة وانا والناس بين مصدق ومكذب. ومن ثم جاء من يخبرني بأن زوجي والرفاق هم الان في بغداد. وفي ضاحية (ابو غريب) بالذات! وهي مزرعة تجريبية وفيها حقل حيواني لتحسين نسل الخيول العربية. وقد تأكد لنا الخبر من مصدر اخر. وقال ان في الامكان مقابلتهم بعد الاذن بذلك من السلطة المختصة. ان ناقل الخبر لي هذا، هو احد جنود الحرس الملكي حيث راه - محمود - في معتقل (ابو غريب) وطلب منه ابلاغ الخبر الينا، فارسل هذا زوجته لتبليغنا بذلك.. وقد ارسلت - طارق - الى بيت الجندي ليتأكد من ذلك، وعسى ان يأتينا بتفصيلات اكثر.

الوقع انه الخبر الاسود الذي صدمني وصعقني.. فلقد قيل بأن القادة قد جاؤا وهم مكبلون بالحديد! وقيل ان الوصي على العرش قد زارهم في المعتقل ومعه مصوره الخاص لاخذ شريط سينمائي للمقابلة! وقيل ان يونس السبعاوي. عندما رأى الوصي ومصوره الخاص. قال له. ارجو ان تعلقوا صورنا في الشوارع العامة وعلى واجهات المباني. فليس في هذا ما يخجلنا لاننا قمنا بواجباتنا تجاه الوطن العزيز. والكل يعلم ذلك والتأريخ يسجل هذا!!

وقيل ان الوصي قد واجه «محمودا» بالكلام القارس ونظر اليه شزرا وقال له بالحرف الواحد (انت نجس)!! فرد عليه - محمود - بصراحته المعهودة.. انني لست بمن يوصف (بالنجس)! وما انا الا حر ابى الاعتداء على وطنه واحتلال وطنه! وكلمة (نجس) انما تطلق على غيري وعلى من يستحقها من الخونة والعملاء!! وفي اثناء المقابلة التي حضرها بعض الصحفيين الذين ارسلتهم الحكومة لاخذ تصريحات من كل منهم. رفضوا الكلام وقاطعوا الصحفيين. ولم يتحدثوا لهم بشيء! الامر الذي حمل الحكومة على تلفيق بعض التصريحات على لسان بعض رجال الصحافة لنشرها في الصباح التالي...

من هو ناكر الجميل!!؟

في الصباح التالي ظهرت احدى الصحف العميلة وهي تنشر حديثا ملفقا على لسان - محمود - وبعنوان (ناكر الجميل يعترف)! والقصد من هذه الجملة الملفقة هو ان - محمودا قد انكر جميل الوصي عليه. وانه اليوم يعترف! ولاادري اي جميل هذا!؟ هل يقصد به اصرار - محمود - على تولي عبد الاله الوصاية على عرش العراق في الوقت كان فيه الكثيرون لايرغبون في ذلك. لان الاتجاه كان يومها الى الامير زيد بن الحسين؟؟ يؤيد قولي هذا ماجاء في مذكرات

المرحوم صلاح الدين الصباغ احد رفاق - محمود - في الحركة الوطنية. اذن من هو صانع الجميل ومن هو منكره؟ اترك هذا للقارئ المنصف وللتأريخ الموثق السليم.

ثم هل من نكران الجميل ذلك الدور الجميل الذي كان يقوم به - محمود - بأمانة وشرف للتقريب بين الملك غازي. وابن عمه عبد الاله، بعد ان توترت العلاقات بين الاثنين واطلع عليها العام والخاص!؟ في ذلك الموقف كان محمود - يلح على الملك غازي. بالعطف على الامير عبد الاله، وشد ازره الى اخر ماهنالك من وسائل المصالحة وتوثيق المحبة بين الملك وابن عمه.. ولكن، قل كل يعمل على شاكلته. وما اعظم الفارق بين الاصالة الوطنية والعمالة الاجنبية!!

أول زيارة لمحمود في المعتقل
من خلال الاسلاك الشائكة!!

قيل لنا يوما ما ان في الامكان زيارة ازواجنا في معتقل (ابي غريب) ولكن بعد استحصال الاذن من رئيس الحرس الملكي، وكان يومها (العقيد عبد الوهاب عبد اللطيف) الذي كان يشغل منصب المرافق الثالث في نفس الفترة التي كان فيها - محمود - مرافقا للملك. ولابد ان اذكر بهذه المناسبة ان محمودا كان ذا فضل عليه، فقد عينه في المنصب الذي يرغب فيه وكان السبب في ترفيعه من (رئيس الى مقدم) اي رتبتين بعدما حرم من الترفيع، وما شاكل ذلك من المساعدات التي اداها محمود «للعقيد المذكور! اسجل ذلك ليقف القراء على «نفسيات» بعض الناس، عندما تتبدل الامور والصور ويقع «احدهم» في المحنة!

اقول، حصلت على اذن بالزيارة وحصلت موافقة رئاسة ديوان مجلس الوزراء على ذلك. كما حصلت عليه عائلة (السبعاوي) يونس، وعائلة (فهمي سعيد) وبقية عوائل المعتقلين.. وكنت اعتزمت ان يصحبني الاطفال في زيارة والدهم، غير اني عدلت عن ذلك في اخر لحظة كيلا ينطبع منظر ابيهم ٥ وهو في المعتقل - في اذهانهم، واكتفيت بأخذ (طارق) معي. وكذلك عائلة (فهمي سعيد)...

تقع ضاحية (ابو غريب) على بعد نصف ساعة او اكثر قليلا من دارنا حيث وصلناها في الساعة الحادية عشرة صباحا فوجدنا المكان قد تحول الى معتقل بل الى سجن رهيب تحيط به الاسلاك الشائكة، ويقوم على حراساته جنود غلاظ اشداء مسلحون بالرشاشات والمدافع! وكان ضابط المعتقل من الطراز القاسي الذي لايفهم معنى العروبة والعرب. ومعنى الحرية والتحرر والثورة على الانكليز فضلا عن عداواته الشخصية مع بعض المعتقلين!

الواقع لقد وضع (الرجل المناسب) في المحل المناسب.. بعد لحظات انتظار حضر بعض

الضباط ونادونا بأن تفضلوا للمواجهة وقد اصطحب كل واحد منهم احدى العوائل الزائرة وهو يحمل ورقة وقلماً.... فتحوا لنا باب الاسلاك الشائكة وسرنا في منعطفات وشوارع ملتوية. واذا بضابط آخر برتبة ملازم يواكب الضابط الاول الذي كان يقودنا ويقول له.. إكتب على الورقة كل مايطلبه (سعادة البك) ويقصد زوجي وكذلك كل ماتطلبه (الهانم) ويقصدني طبعاً! فالتفت الى الضابط الذي كان معنا وقلت له انه يريد منك أن تسجل على الورقة كل حديث يدور بيننا في أثناء المقابلة وهنا امتعض الضابط الآخر وقال لا تحملي هذا الكلام على المحمل السيء فأجبته.. يا أخي إننا لسنا سذجاً أو بلهاء الى هذا الحد تكلم مع صاحبك بلغة مفتوحة وواضحة فأنتم موظفون تنفذون ما تؤمرون به! وهذا هو واجبكم... بعد دقائق وصلنا باب (المعتقل) أو (الزريبة) لأن هذا المحل كان زرائب للخيول في موسم الشتاء... وقفنا لحظة وفتشوا (طارق) وبقية من كانوا معنا فدخلنا في غير امان وسلام وتذكرت المقولة (ادخلوها بسلام آمنين) البناء كما ذكرت زريبة خيول تتكون من ستة غرف وضع ثلاثة في كل ناحية وبين الواحد والآخر غرفة فارغة!! اما في الصف المقابل فقد فعلوا العكس بحيث وضعوا أحدهم مقابل الغرفة الفارغة من الصف الأول وذلك لكيلا يرى أحدهم الآخر عندما تفتح الأبواب... وكان السيد أمين زكي رئيس الأركان في أول غرفة على اليمين ومن ثم غرفة فارغة ومن ثم غرفة زوجي فأخرى فارغة فغرفة (فهمي سعيد) والى اليسار مقابل (أمين زكي) غرفة فارغة فغرفة (صديق شنشل) فأخرى فارغة فغرفة علي محمود الشيخ علي وثالثه فارغة فغرفة (يونس السبعاوي) وقفنا كل واحد أمام الغرفة التي تخصه قبل أن يحضر رئيس المعتقل وهوالضابط الذي ذكرته انفاً وأسمه (عبد القادر حسين) ومعه مفاتيح الغرف كلها وليس (مفاتيح) الجنان! ففتح الغرف ودخلنا واذا بالضابط الذي كان مكلفاً بالدخول معنا واسمه (جميل العاني) ان لم تخنّ الذاكرة يدخل وينحني بكل احترام وطاعة أمام (زوجي) وكانت علامات التأثر والتهيب بادية على محياه فرحب -محمود- به مغاية الترحيب وقال له تفضل ! فازداد تأثراً وتهيباً وأنحنى ثانية وقال له... سيدي أنا ضابط من عانة (وهي البلدة التي ينتمي اليها زوجي) الذي كان جده الأكبر قد نزح منها الى بغداد. وما أن عرف زوجي انتماء هذا الضابط حتى هش وبش وسأله عن إسمه وعائلته فأنحنى ثالثة وأدار ظهره وأتجه نحو الباب ووقف بين الباب والخارج لكيلا يسجل شيئاً من حديثنا ويترك لنا حرية الكلام! فيا للأدب والتربية والخلق العالي! في تلك اللحظة كنت أدقق النظر هنا وهناك في غرفة محمود وما تحويه من سرير مكسر وفراش مبعثر وقلة ماء وكأس وصفيحة! فكنت في حربٍ مع أعصابي فتماسكت وتملكت نفسي لأني لم أرد أن اظهر ضعيفة متداعية أمام -محمود- ! لذا فقد تكلفت وقابلته بنفس الابتسامة التي كان يعهدها مني في البيت! ولم أشعره بشيء فكان فرحاً سعيداً باللقاء.

هكذا يتكلم الرجل الرجل
أمام الامرأة الامرأة في المحنة!!

قال الرجل الرجل للامرأة الامرأة في ذلك الغيهب الرهيب.... قال لها وهو يحاورها.. كنت أظن -يامديحة- أنهم سيحرموننا من رؤيتكم حتى من هذه الزيارة..توقف لحظة وكأنه يناجي الرب ويتأمل ويقول ...ولكن أين الصغار أما كان الأفضل أن اراهم وأطمئن الى صحتهم وأطبع قبلات على جبينهم! قلت سآتي بهم في المقابلة الآتية ان شاء الله لتراهم.. قال ولكن أهناك سبب لعدم جلبهم معك واحضارهم اليوم... ؟أصدقيني -يامديحة- هل هصر الموت ذلك الغصن الصغير (معد) وخفت أن أحزن عليه عندما يأتي (المغيرة) وحده معك !؟انك لتخفين علي الأمر اني لأتذكر اني تركت (معد) في طهران مريضاً ولا أمل في شفائه أصدقيني! وهنا أكدت له وحلفت بان (معد) في أتم الصحة والعافية وكررت له التأكيد واليمين فأظهر لي أنه لم يقتنع بكلامي هذا وطمأنته بأن يكون الاولاد كلهم معي مرة ثانية اما أنا فقد كنت اركز نظري في وجه محمود وبجبهته المشرقة وكأن هالة من الأصفرار يحيط بها الآن بسبب الهموم الوطنية التي كان يعيشها وكأنه قد غير شكل شاربه وليس كما كنت أراه في الماضي وكنت اردّد في سري لقد تبدل الوجه والجبهة والشارب والسحنة ولكن الروح الوطني الذي يتقمصه وأصبح جزءاً من حياته وكيانه مايزال روحاً ثورياً صارخاً من الأعماق.. الويل ثم الويل للانكليز!! لقد شعر -محمود- بتأملاتي وأفكاري كلها وكيف أني جمعت الماضي والحاضر والمستقبل في ذهني وفي اللحظة فضحك وأراد أن يداعبني فسألني كيف رأيت شاربي الجديد ألم يعجبك؟ فأجبته انه جميل وجميل وجميل! فربت على كتني وقال... اسمعي -مديحة- جيداً اني سأقول لك الآن كلمات بليغات خالدات! أرجو أن تعيها جيداً وتصبري عليها جيداً وتتجلدي لها جيداً... وانك كنت لي أبداً ودائماً عضدي وساعدي في كل شي فكوني -كعهدي بك- ولا تتركيني الآن... اني لأطلب منك وفي هذا اللقاء التأريخي ان تكوني أبداً مرفوعة الرأس والكرامة وأن لا تذلي نفسك من اجلي وفي سبيلي وان لا تتوسلي بهذا وذاك من أجل قضيتنا الوطنية التي تبنيناها مختارين وبدافع من تربيتنا العسكرية والقومية اعلمي -يامديحة- بأن كل شيْ واضح فلقد بدأنا الشوط والرحلة حفاظاً على حرية البلاد وسيادتها بدأنا الشوط والرحلة ضد الأنكليز وعملائهم وأننا لنعلم بأنها رحلة تنتهي بنا الى الموت وسنموت وأنف الأعداء راغم وكل من يقول لك غير هذا فانه الكذاب الاشر وأنه المنافق المماذق! انهم سيحاكموننا محاكمة صورية ليموهوا الحقائق أمام العالم كله. وما القصد من مجيئنا الى بغداد الا فصل جديد من السناريو للتخلص منا ولا شيْ غير ذلك .. هكذا هي ارادة الانكليز لقد جربوا معنا شتى الأساليب في الترغيب والترهيب لنكون ادوات والآت في أيديهم وخداماً لمصالحهم! بيد أنهم قد خاب فألهم وطاش سهمهم

وحلومهم! ولم تبق من وسيلة في أيديهم الا أن يسلمونا بأيدي أصدقائهم وعملائهم لاسدال الستار على المسرح! يامديحة... ان البلاد أحوج ماتكون الى تضحياتنا لتأخذ مكانتها الحضارية تحت الشمس والى جانب الدول الأخرى في العالم. فمن لها غيرنا؟ لذا فقد خضناها حرباً ضروساً ضد الانكليز وعشناها هموماً وألواناً من المآسي والغصص ووهبناها جما جمنا لتكون حجر الأساس للحرية والأستقلال. فيا -مديحة- لا تجزعي ولا تحزني... أقول هذا لكي أخفف عنك الصدمة في وقتها! فهيئي نفسك وروضيها على فقدي واستشهادي وأسهري على تربية الأولاد وأجعلي من كل واحد منهم «محموداً» خلفاً....شدي أزرهم كما شددت أزري إغرسي في نفوسهم حب الوطن وخدمته وليكونوا بعدي همّ سلواك وعزاءك..

تذكري -يامديحة- عندما كنت أقول لك في بعض الليالي انى لن أموت على الفراش والسرير وان الموت قد يكون مريحاً على الفراش والسرير فكنت تغضبين وتثورين وتقولين مالك ولهذا الحديث الذي يكرب النفس؟ فكنت أكرر عليك القول بأني لن أموت على فراش كيلا تخافي وتقلقي! نعم انه لهاجس خفي كان يشعرني أبداً بأن لن اقضي على الفراش. ذلك لأن اندفاعي وجنوني في حب الوطن كانا يدفعاني الى التضحية وان بلغت حدود الشهادة! وان المجنون في حب الوطن لن يموت على الفراش أبداً...

اعلمي -مديحة- هكذا هي مسيرة حياتي التي ستكتب لها الصفحة الأخيرة بعد أيام.. فثقي بأني لست نادماً على هذه المسيرة ولكني لاندم على عمل واحد وشئ واحد هو زواجي فلقد كان الأفضل ان لا أتزوج وقد نذرت نفسي للوطن منذ البداية هكذا هي مشيئة الله لقد انتهت الزيارة وكأننا في جو من الأحلام التي بددها هؤلاء المسلحون المزعجون فأخرجونا من (المعتقل) بنفس الطريقة ونفس الطريق الذي سلكناه عند المجئ في يوم ثان هيأت - لمحمود- مايحتاجه من ملابس واتصلت بضابط المعتقل اطلب السماح بتوصيلها فأجابني الى ما أريد.. وفي يوم آخر اتصل بي قائد الحرس الملكي (العقيد عبد الوهاب عبد اللطيف وأخبرني بأن أرسل (روب دي شامبر) الى محمود لحاجته اليه وشكرته على ذلك... ولعلمي بأفضال زوجي عليه عندما كان مرافقاً ثالثاً للملك رجوت منه السماح برؤية -محمود- دقائق وأعدت عليه القول فاعاد علي قصة (الروب) وكأنه لم يفهمني ومن يدري فلعله كان يخاف من السماح لي بالزيارة رغم كونه قائداً للحرس الملكي! وهنا تساءلت أهكذا تذل المناصب أصحابها؟ أهكذا يتبدل هؤلاء الأصدقاء في وقت الشدة ويتناسون أصحاب الفضل عليهم وبعدما كان (صالون) الدار يغص بهم وكلمات المجاملة والزلفى والتقرب تخرج من أفواههم! لا عجب فالله يقول ذلك قول يقولونه بأفواههم ولو أطلعت على قلوبهم لوليت منهم فراراً ولملئت رعباً!! لقد زج في المعتقل كل من كان له علاقة بنا! فقد قبض على (ابي داود) قبل وصول -محمود- الى بغداد بيوم واحد وارسل الى معتقل الفاو قرب البصرة.. هكذا هو حكم قره قوش انه لا يرحم ولا يفهم!

مثل هذا المرافق سبب البلاء!!

... واخيرا سمحوا لنا بزيارة ازواجنا مرتين في كل اسبوع فبعثت بـ(طارق) لكي يحصل لنا على الاذن بالزيارة الثانية. ولكن مرافق رئيس الوزراء (س...) قد امهل طارق وأجلسه في غرفة الانتظار مدة طويلة، دون جدوى، بحجة ان (نوري باشا) كان مشغولا بامور هامة!! وكان «المرافق» هذا يجلس في غرفة «المنتظرين»، الذين يريدون مقابلة - الباشا - فيعرض بالحركة الوطنية (مايس ١٩٤١) وبقادتها، ويشنع بهم دون حياء وخجل! فلم يحتمل - طارق - هذا الكلام وهذا الانتظار الطويل، فقال للمرافق. اذا كنت تخشى ان تقول للباشا عني. فخذ هذه الورقة واعطها له لانه يعرفني ومع ذلك فقد دخل على الباشا ولم يعطه الورقة. حتى خرج - الباشا - ووقع نظره على - طارق - الذي تقدم نحوه وشكا له مرافقه الذي لم يسمح له بالمقابلة، فقال (الباشا) لطارق، غداً اكون في وزارة الدفاع فتفضل لاخذ الاذن بالمقابلة.

وهكذا كان، فقد حصلنا على التصريح في اليوم التالي. واحضرنا الملابس والحاجيات الاخرى لمحمود، وزرناه في الموعد المحدد، بموجب الترتيبات السابقة. وقد رافقنا في هذه المرة الملازم (.......) بدلا من المرافق السابق.. ولدى نزولنا من السيارة تقدّم آمر المعتقل (الرئيس عبد القادر....) فتظاهر باللطف والعطف، واخذ يداعب الاطفال حتى انه حمل الصغير منها وهو (معد...) الذي كنت البسه ملابس فتاة، لاني محرومة من البنات. فكان يبدو جميلا وجذابا! في زي البنات، بشعره الطويل المضفر، وبالاشرطة الملونة الزاهية. وبالاساور والحلي والخواتم والعقود التي تجعله (فتنة للناظرين)! وعندما تقدمنا الى غرفة - زوجي - كان الآمر مايزال يحمل «معد» بيديه ويداعبه.. وبينما نحن ننتظر فتح الابواب الداخلية، واذا بيونس السبعاوي يمر من امامنا. فيحييني ويبتسم ويقول لي.. شدي حيلك «ام المغيرة» ولاتهتمي ابدا كعهدي بك قوية وصابرة. فذهب الى غرفته وفي تلك اللحظة حانت مني التفاتة الى الغرف المقابلة فاذا بي المح (علي محمود الشيخ علي) يجلس على السرير. والشحوب يغشى وجهه، ولم يكن مرحا مثل رفاقه بل رانت الكآبة على وجهه. فلما وقع نظره علينا اشاح بوجهه الى الناحية الاخرى ولا ادري لماذا؟؟

مع محمود في المعتقل...

...واخيرا فتح باب غرفة - محمود - فتقدمنا امر المعتقل قائلا.. انظر سيدي بمن جئتك. واشار الى «معد» الذي كان مايزال يحمله بين يديه. فتناوله منه غير مصدق بهذه المفاجأة الطريفة، وبأن هذا «معد» فعلا! وهو الذي تركه في - طهران - بين اليأس والرجاء. بين الحياة

والموت.. كما احتضن «المغيرة» وانكب عليها يشمها ويلثمها بحرارة ولهفة!!

يارب!! ماذنب هؤلاء الاطفال المحرومين من عطف الاب الحنون!؟ هل قدر لهذين الطفلين ان يربيا يتيمين كما قدّر لأمهما التي تربيت يتيمة من قبل.. تلك هي الافكار والتساؤلات التي خطرت في ذهني وانا في غرفة - محمود - وتكاد الدموع تطفر من عيوني، ويكاد الاسى يحرق احشائي! ولكني حبست الدموع، وانطويت على الاسى، وقلت لنفسي.. انني لست ضعيفة ولست قاصرة النظر، فلانظر الى الافق البعيد!! لقد جلست على مؤخرة السرير المحطم، حيث ان الكرسي الواحد الموجود، كان الضابط المرافق قد سحبه ووضعه مقابل السرير وجلس عليه! بكل وقاحة، واكثر من هذا فقد كان متحفزًا لكتابة مايدور مع زوجي من حديث!! حقا ان هذا الحجر او البشر المتحجر، لايدرك معنى الاخلاقية والشرف الوطني، بل كانت ترسم على شفتيه ابتسامات التشفي، لا لسبب، وانما هي الوصولية او سلم الانتهازية يرتقون عليه الى حيث تأمين مآربهم وشهواتهم الرخيصة! وقد تبادلت النظرات مع - محمود - وتحدثنا عن الامور الثانوية، عن حديقة البيت، وعن تربية الاولاد، والمصروفات. ولكأن هذا «الرقيب» العتيد على السنتنا، يزداد حقدا وينظرنا شزرا كلما تحدثنا عن هذه الامور، ولكأنه يريد صيدا سمينا من المعلومات، ليقدمه على مائدة اسياده ليتقرب اليهم زلفى!

وفي ثنايا الحديث اخبرني - محمود - بأن الملكة عالية ام الملك فيصل الثاني، وزوجة المغفور له الملك البطل غازي، واخت الامير عبد الاله، كانت قد اتصلت بأمر المعتقل (عبد القادر حسين) تلفونيا ليبلغ محمودا بما يلي (.. كيف حاله الان؟ وكيف حال وصيّه؟» وتقصد الشريف شرف.. وهنا سألته بم رد عليها؟ فضحك وقال (قلت لعبد القادر بلغها شكري على سؤالها عن حالي، وانني بفضلها على احسن حال..!!).

وفي هذا الوقت طلب «معد» ماء يشرب، فقمتُ لاسقيه من الماء الموجود في الغرفة ولكن - محمود - منعني، فقال ان الكأس نظيف ولكن الماء قذر، لانه من مياه السواقي التي يسقون بها المزروعات! فهيئي لي (ترموس) في الزيارة القادمة... فما كان من الرقيب الضابط (....) حتى انتفض وانفعل وقال ماهذا الكلام؟ ان هذا الماء نظيف، وانا اشرف على جلبه من بغداد، وكان خشن الطبع لدرجة لايطاق! وهنا فقدت السيطرة على اعصابي، وخاطبت - محمود - بقولي.. ليس من حقك ان تتذمر من هذا الماء القراح!! وان الذي ينتظره الموت ساعة بعد ساعة لايهمه ان يتجرع السم الزعاف!!

ومن ثم قال - محمود - اسمعي - يامديحة - ان محاكمتنا ستبدأ قريبا جدا، واخبرونا عما اذا كنا نود توكيل محامين للدفاع عنا، فحذار حذار ان تبحثي عن محام للدفاع عني، حيث قد اخبرتك قبل الان بأن المحاكمة شكلية وصورية، وقراراتها معروفة فلا تطأطئ راسك لاحد، واني مصر على عدم توكيل محام عني!!

فقلت.. اترك هذا الامر الى تصرفي.. فقال لقد رجوتك بمحض ارادتي. ومع ذلك فأنت حرة في التصرف.. هكذا انتهت الزيارة بأشارة من المرافق . . . . . فتواعدنا على امل اللقاء ثانية....

وصلت البيت وعهدت بالاولاد لاختي.. وكان السيد (محمد امين الرحماني) ابن خالة - محمود - في انتظار عودتي ليطمئن على وضع ابن خالته.. وقد قرأ الخبر اليقين في وجهي المحتقن، واعصابي الثائرة، ولكني تملكت نفسي بعد ان ارتحت قليلا. وقلت له بأن - محمودا - في صحة جيدة، وان محاكمتهم ستجري عما قريب، وان محمودا لايرغب في توكيل محام للدفاع عنه، لانه يعتقد بأن المحاكمة صورية. وقد تقررت الاحكام سلفا لكل منهم.

ومع ذلك فقد ترك لي حرية التصرف بهذا الامر وسأبحث له عن محام قدير مهما كلفني ذلك من الاجور المادية الباهضة حتى ولو بعتُ اولادي في هذا السبيل... والسيد الرحماني هذا كان يفهمني اكثر من الاخرين. وكان شابا عاقلا مهذبا. وراح يخفف من روعي ويهدئني. ويقول لي.. اعملي ماشئت فأنت اعقل من ان يتقدم اليك احد بنصيحة!

مع مصطفى العمري

... وفي الغد الباكر اتصلت - تلفونيا - باحدى صديقاتي المخلصات فجاءتني على عجل. فأخبرتها بأني ارغب في توكيل محام للدفاع عن زوجي، وكما ادري فان اي محام اعتيادي لايفيدنا في هذه القضية، لان دور القانون والحق لايفعل مفعوله. ولهذا فقد فكرت في اختيار محام من طبقة الوزراء والرؤساء السابقين. وقد فضلت السيد مصطفى العمري بالذات على غيره في هذه القضية، وانت تربطك بالسيد العمري صلة قرابة او مصاهرة. فضلا عن كونه من الوزراء السابقين اللامعين.

فما كان من صديقتي الطيبة هذه الا ان تجاوبت معي. وعرضت علي كل مساعدة ممكنة...

وفي يوم تال ذهبت برفقتها للسيد مصطفى العمري فاستقبلتنا زوجته بالترحاب البالغ. وبعد ان تناولنا القهوة، دخل علينا - العمري - مصطفى. ففتحت - صديقتي - معه الموضوع ورجت قبوله بالدفاع عن زوجي، ونوهت له بأجور الاتعاب مهما بلغت من الكلفة! فأبدى العمري استعداده للتوكل عن زوجي. ولكن بعد ان استشير بعض الاخوان او الجهات. فأرجو الاتصال بي بعد ظهر اليوم لاعطيك قراري الاخير....

ولدى خروجي وصاحبتي من دار (مصطفى العمري) اخبرتني صاحبتي بأن العمري لايتوكل في هذه القضية قبل ان يستشير صديقه وزميله (الروح بالروح) جميل المدفعي!! فان اشار له

بذلك، فهو كذلك، وكما تريدين. والا فلا! ! وفي العصر كلمتني - بالتلفون - وقالت ان (مصطفى بك) يعتذر لاسباب تخصه هو بالذات. فنهضت توا وقصدت المحامي (كمال السنوي) باعتباره من المحامين المشهورين يومذاك، وذا مركز اجتماعي مرموق. فطلب امهاله الى الغد وجاء الغد، فاعتذر عن التوكل كما اعتذر زميل له من قبل! ! وقد علمت - بعد هذا - ان السيد السنوي كان مرشحا للنيابة من قبل (نوري السعيد) في تلك المرحلة المشؤومة!

وفي اللحظة ذاتها دخلت على (حماة) العقيد فهمي سعيد فأنبأتني بأن السيد «عبد الوهاب محمود» المحامي والشخصية المرموقة قد عرض نفسه للدفاع عن (فهمي سعيد) و (محمود سلمان) و «يونس السبعاوي) تبرعا ومن دون اجور! ! فشكرت للرجل شهامته وكرامته الوطنية. غير أني لم أكتفِ بذلك، فقصدت (نصرة الفارسي) وهو الشخصية المرموقة التي لاتحتاج الى تعريف. وقابلته في مكتبه فرحب بي وطيب خاطري. وعرضت عليه الامر. فظهرت عليه علامات التأثر الشديد، والعصبية الزائدة وقال بالحرف الواحد.. اقسم بشرفي لو لم تكن عندي موانع ادبية لما ترددت لحظة واحدة في القبول والتوكل عن زوجك... فكما تعلمين - يامدام - اني كنت وزيرا في حكومة - المدفعي - التي اصدرت هذه الاحكام الغيابية! فلهذا السبب الادبي وحده اعتذر عن التوكل... اذ ماذا سيكون ردي على الحاكم العسكري. لو قبلت وحضرت المحكمة. وفاجأني بالسؤال التالي.. كيف تدافع عن «متهم» وقد كنت انت وزيرا في الوزارة التي اصدرت الحكم عليه غيابيا!؟ واخذ بدوره يردد كلاما مع نفسه ويتمتم. كيف اكون رجلا وانا ارفض رجاء سيدة؟!؟ وخاطبني قائلا.. كيف استطيع مساعدتك بطريقة اخرى! هل اساعدك في اختيار محام غيري للدفاع عن - محمود -!؟ مارأيك في المحامي سلمان الشيخ داود!؟

وهنا انتفضت ورفضت وصرخت.. لا..لا.. لااسلم حياة زوجي بيد جلادي! ! اغاب عن بال معاليك - يانصرة - كيف انه هاجم الحركة الوطنية والقواد الاربعة في الصحف المحلية!؟ قال ... اذن لاتثقينَ به انت... قلت، بل اكثر من هذا، اني لأخشى ان يتساهل في حق الدفاع المقدس! قال، اذن بمن نتصل وبمن تثقين!؟ وهنا حدثت - الفارسي - عن اتصالاتي بالسيد مصطفى العمري والسيد كمال السنوي واعتذارهما عن التوكل لاسباب تتعلق بشخصيهما. وشكرته على شعوره الطيب، وعلى سؤاله عن زوجي . وعلى ما اظهره من خلق سام. الامر الذي جعلني اخرج من حضرته، وانا شاكرة « لاناقمة - واتمثل فيه صورة (الجنتلمان) بكل معاني الكلمة...

الى غرفة المحامين.

هكذا كانت الطرق التي تؤدي الى حق الدفاع المقدس مسدودة امامي، فلم يبق الا طريق واحد. هو طريق نقابة المحامين، لكي انتخي المحامين، رجولتهم وعقيدتهم واخلاقية الدفاع المقدس فيهم، ليدافعوا عن الحق والقانون، وسيادة دولة عراقية، طغى عليها حكم قرة ه قوش!

قصدت بسيارتي – غرفة المحامين – واذا بالصدفة تريني السيد «روفائيل بطي» وهو من كبار الصحفيين والمحامين، فاعترضني وسألني الى اين انت ذاهبة!؟ قلت الى غرفة المحامين، وشرحت له ما اريده وانويه! فتأثر بكلامي هذا وقال لادعك تذهبين وحدك الى الغرفة (وذلك نظرا للتعصب الموجود في العراق!!) فلابد من ان اذهب معك، واعرض بدوري ماتريدين. واذا شئت فانتظريني في بيت والدتي، وهو قريب من غرفة المحامين.

فاستقل معي السيارة واوصلني لدار والدته وذهب بمفرده الى الغرفة وبقيت انتظر!!

الواقع، كانت الدقائق القصار تمر علي وكأنها الاعوام الثقال لان هذا اليوم كان اخر يوم لتقديم الوكالات» عن المتهمين! وبعد ساعة عاد – روفائيل بطي – وهو متأثر ومتجهم. فقال. لااحد يتقبل التوكل والدفاع سوى هذا الشاب» الذي كان يرافقه. ففوضت امري الى الله واتفقت مع هذا «المحامي» الصغير على ان يذهب معي لمقابلة زوجي وتوقيعه على الوكالة. وبعد عودتي الى البيت اتصل بي تلفونيا السيد (روفائيل بطي) فأخبرني، قائلا... حتى هذا (الشاب) المحامي الذي احضرته ضحى للتوكل اعتذر وانسحب!!

مع آمر المعتقل الجلاد!!

حوار وتشفٍّ وسماجة!!

....وبعد عودتي الى البيت وأنا منهكة متعبة مصدومة دق جرس التلفون واذا بآمر المعتقل (...) يسألني عن المحامي الذي اخترته للدفاع عن زوجي ولماذا لم يحضر لأخذ الوكالة وهذا آخر يوم! فأجبته فوراً بأننا لسنا بحاجة الى محامي دفاع وقد رجاني زوجي بعدم توكيل أحد وأنا أحترم رجاءه وارادته فرد علي بتشمّت وتساءل هل هو لم يطلب أحداً من المحامين أم المحامون هم الذين رفضوا الدفاع عنه؟ فلم أسكت والالم يمزقني شر ممزق! بل سألته بقولي... أأنت مسلم؟ قال نعم.. قلت إن الله لهو خير الحاكمين وخير المحامين للدفاع عنه وقفلت السكة -أي خط التلفون- وأنا في حالة يرثى لها! إنني لأعلم جيداً أن (آمر المعتقل) هذا غير مسؤول عن المحامين الذين يتولون الدفاع وانما عمد الى هذا الاتصال التلفوني من باب الفضول والتشفي والسماجة لا أقل ولا أكثر. وقد بلغني بعد هذا ان هذا الآمر الجلاد كان قد ذهب -بعد المخابرة التلفونية- الى زوجي وأنبأه بأنه أتصل بي واني أبلغته بعدم قبول المحامين للدفاع عنه وبهذا التصرف المشين اللا أخلاقي استطاع أن يزعجنا -نحن الاثنين- من باب الأذى والتشفي! وقد رد عليه زوجي بأنه لم يطلب أحداً للدفاع عنه وقد أوصى زوجته بذلك وهو حر في ارادته!

في المحكمة العسكرية

انعقدت المحكمة العسكرية برئاسة العقيد مصطفى راغب وهو من أشد الناقمين الموتورين من زوجي ورفاقه وعضوية كل من المقدم عبدالله النعساني والحاكم عبد العزيز الخياط والمدعى العام حمدي صدر الدين بالاضافة الى عضوين آخرين لا يحضرني إسماهما الآن..

وقد كانت جلسات المحاكمة سرية وفي معسكر الوشاش وكانت الصحف اليومية تنشر تباعاً خلاصة عما يدور في المرافعات. مقتصرة على الاتهامات والأسئلة الموجهة لكل واحدٍ منهم أما الأجوبة عن الاسئلة فلم تنشر في الصحافة! ولم يكتفوا بمنع الدفاع عنهم بل منعوا من الحضور حتى شهودهم دون شهود الاتهام!!

وفي أثناء ماكانت المرافعات مستمرة حصلت بشق النفس على تصريح لمقابلة زوجي بموجب الاجراءات القاسية المعروفة وتحت ضغط الكابوس الملازم (......). فسر محمود بهذه الزيارة وسألته بدوري عن المحاكمة فضحك طويلاً وقال ... لقد كدت أن أكون مجرما قبل صدور الأحكام لأن رئيس المحكمة قد هاجمني هجوماً لا يليق بمقام (القاضي)! وثق أن

يدي لو لم تكن مصفدة بالسلاسل والاغلال لضربته وقتلته. فلقد أهانني وأنا في محراب القضاء المقدس ووجه الى من بذيئ الكلام والاتهام مالا يليق حتى برجل الشارع ! ! حتى لقد فار الدم في رأسي وفقدت السيطرة على أعصابي. ولكن حمدي صدر الدين أنبرى للقول..هدئ أعصابك (محمود بك) وأجبني على هذا السؤال.... وعندما حاولت أن أعرف ماهو نوع الكلام الردئ البذئ الذي وجهه رئيس محكمة -آخر زمان- الى متهم بالوطنية والقومية والثورة على الانكليز قال إنه كلام لا يليق بي اعادته وتذكره ولا يليق بسيدة مثلك أن تسمعه ! وعدت فسألته... ولماذا لم تعترض على طريقة محاكمتك هذه أمام المحكمة ذاتها والقانون يسمح لك بذلك ويجيز تغيير رئيس المحكمة لأن رتبته العسكرية هي في مستوى رتبتك والمفروض -كما أدري- أن يكون رئيس المحكمة هو أعلى رتبة من المتهم ؟ وهنا عاود الضحكة وقال... ألم أقل لك قبل الآن ان المحكمة بل (المهزلة) هي صورية والقصد منها التخلص منّا بأية وسيلة كانت! اذن فماذا يفيدنا تبديل الحاكم اذا ما كان الحكم معروفاً سلفاً!؟ ثق ! يامديحة بأنني لن أخدعك -كما تعرفين- وأننا سنموت شهداء على أيدي هؤلاء الجلادين الجلاوزة أو غيرهم فلا تفاجأي بالصدمة ولا تقلقي ولا تحزني بل تقبلي قضاء الله وقدره وتمسكي بحبل الصبر والايمان... وان سيدة أما لأربعة أولاد (يقصد ولديه من زوجته الأولى وولديه مني -يجب أن لا تكترث الى هذا الحد بنهايتنا المعروفة المقررة.. فغداً سيصبح هؤلاء الأولاد رجال المستقبل وتفرحين بهم وتقصين عليهم ملحمة البطولة والفداء! ! أجبته ليس الأربعة وإنما كلنا فداك. أنت تعزيني وتسليني بالاولاد ومن يضمن اني سأعيش بعدك الى ذلك اليوم الذي أرى فيه «معداً» قد اكتمل رجلاً سويا؟ بالله عليك لا تكرر علي مثل هذا الكلام الذي لا استطيع تصوره وتجسده في يوم من الأيام! قال -والله اني لأتعمد تكرار هذا التصور على أذنيك من أجل أن أخفف عنك الصدمة وقبل أن نرحل الى يوم الحساب!

الى بيت السبعاوي! !

انتهت الزيارة وقفلت راجعة الى البيت وقصدت بعد هذا الى بيت (يونس السبعاوي) لأتنسم منهم بعض الأخبار فلما دخلت عليهم وجدتهم على أهبة الخروج لمقابلة السيد (محمد الصدر) وليت لو أكون معهم. فأخبرتهم بأن -محموداً- لا يشجعني على الوساطات والرجاءات من هذه الناحية قالوا ولكنك معنا وليس في هذا مايشين وهكذا اتفقنا واختلفنا الى بيت الصدر فاستقبلنا السيد المحترم استقبالاً حسناً وصار يسرد علينا قصة اتصالاته بالوصي على العرش (عبدالاله) ونصحه بعدم الاستعجال باصدار الأحكام وان من الأفضل أن لا تكون الأحكام

قاسية شديدة! وأكد أنه تكلم مع (الوصي) كثيراً وفي كل مناسبة ولكنه لم يرد عليه بكلمة خير أوشرا! وعندما رآني- أي عبدالاله قد انزعجت لأنني لم أحظ منه بجواب شاف التفت الي وقال (ياسيد.. ان السفير البريطاني سيزورني غداً وسأعمل بنصائحك فاستأذنته بالخروج على أن أقابله غداً فأرجو ان تأتوني غداً عسى أن تسمعوا مني... جديداً

ثم التفت السيد محمد الصدر الي بوجه خاص وقال.. لقد استدعيت للشهادة بحق (محمودبك) فشهدت بما وقع أمامي وأعيده عليك الآن.... لقد استدعيت -كشاهد- إدانة...اتهام) ولكن شهادتي تبرئه مما نسب اليه... وانني اقولها للحق وللتاريخ وأمام الله والناس ان هذا الرجل (يعني زوجي) عندما أتصل بالوصي كنت موجوداً عند الوصي في حينه.. فلقد دخل عليه بكل احترام وبلغة صادقة وتفاهمنا -نحن الثلاثة. على مايجب عمله وخرجنا كلانا من لدن الوصي على العرش الى حيث مجلس الوزراء الذي كان منعقداً في تلك الساعة من اجل أن نبلغة برد «الوصي» و في اثناء تحركنا بسيارته الخاصة قال لي.. ياسيد محمد. كنت أتمنى أن افقد نصف عمري ولا هذا الموقف لان هذا البيت الهاشمي يهمني أمره!

هذا ماسمعته من السيد محمد الصدر ونحن نزوره في داره وقد تأكدنا من أن هذه الشهادة مثبتة في محضر المحكمة...وعندما قابلت -محموداً- في السجن أخبرني الضابط هنالك بأن شهادة (محمد الصدر) بحق زوجي كانت رائعة واذا ما أخذ بها فلن يدان زوجك أبداً وحتى بعقوبة السجن!! وكذلك أخبرني -محمود- بأن السيد الصدر عندما أدلى بشهادته هذه التفت الي وسألني هل نسيت شيئاً لم أذكره يامحمود بك أرجو تذكيري به لعله يفيدك في الدفاع فشكرته وسألته. هل رآني أحمل مسدساً أو اي سلاح آخر عند مقابلتي الوصي؟ فأجاب كلا لم أر معك مسدساً أو أي سلاح فألتفت الي رئيس المحكمة فسألني وأين كان مسدسك اذن؟ أنسيت أنك عسكري وان العسكري عليه أن يحمل مسدسه دائماً؟ فأجبته.. لقد أودعت مسدسي لدى سائق سيارتي قبل أن أدخل على الوصي.. فأحضروا السائق وسألوه عن المسدس. فأكد للمحكمة بأن -محموداً- سلمه مسدسه قبل أن تعبر سيارته الجسر أي بمسافة لا تقل عن ثلاثة كيلومترات من بيت الوصي وقال لي خذ هذا المسدس عندك فأنا لا أحب الدخول مسلحاً على سمو الوصي!! لقد سررت بكل ماسمعته من شهادة (السيد الصدر) وسائق السيارة بحق محمود زوجي.. ولكن -محموداً- قال لي. اتعتقدين أن مثل هذه (الشهادة) قد تفيد يامديحة!؟ وسألته ولم لا؟ أليست التهمة الموجهة اليك هي محاولة قتل الوصي وها أنت بريئ منها بشهادة الشهود!! فضحك كعادته وقال.. كل هذا لن يغير من الواقع شيئاً وماهي الا أيام معدودات وتنتهي المحكمة المهزلة وبعدها سينفذ فينا حكم الاعدام فكوني صلبة ولا تتفاءلي وكوني صبورة على البلوى كعهدي بك.. وما عليك الا أن تتحملي كل الاحن في سبيل الوطن. فاذا لم تكوني أنت المضحية التي

تحملت التضحيات منذ الطفولة فمن تكونها غيرك!؟ لا تستسلمي لليأس ولا تقنطي من روح الله وأحمدي الرب على هذه النهاية المحتومة وكوني قادرة على تحمل المسؤولية تجاه الأولاد. كان يقول ذلك والابتسامة لا تفارق شفتيه وكأن قوله هذا من الأمور المسرة فيالهذا الرجل القوي الوديع! ويالمصيبتي بهذا الملاك الإنسان اذا ما حمّ القدر!!

خرجت من عند زوجي والتفت حولي بعض السيدات وهن مستغربات جداً من تقطيبي ووجومي بسبب الأخبار التي سمعتها من زوجي ومن الاخرين! فلم أجبهن بشيء لأنهن لا يفهمن مابي وبعد الظهر ذهبت الى بيت (يونس السبعاوي) في ضوء اتفاقنا على أن نزور دار السيد الصدر لتلقي الأخبار الجديدة عنه! ولم أكد استقر على الكرسي حتى دخلت علينا إبنة أخت (نوري باشا) وهي «نظيمة» زوجة صبحي الطائي فبادرتني بالتساؤل.. أأنت هنا وبيتك الآن يعجّ ويضج بالبوليس! قلت ولكني غادرت البيت منذ نصف ساعة وكل شيء اعتيادي فما عدا مما بدا وماذا يعمل البوليس في داري؟ أجابت بأنها جاءت لتزورني كالعادة فرأت مارأته فخرجت مسرعة الى البيت فهالني مارأيت فلقد عبثوا بكل شيء وقلبوا الأثاث رأساً على عقب ودخلوا غرفة نومي فأخرجوا بعض الصور والرسائل الخاصة وتفحصوها وبرهنوا بحق على أنهم فاقوا -الجستابو- في الترويع والتصديع!

ماذا يريد هؤلاء بعدما روعونا قبل الآن عدة مرات!؟تقدم مني قائد حملة التفتيش وأسمه على ماأتذكر (صبري...) وقال... ياهانم...هل تتكلمين التركية!؟ ان لدي شيئاً هاماً أود أن أقوله بالتركية لا العربية قلت تفضل...قال ..إنك غير مسموح لك بمغادرة الدار الا في حالتين..حالة المرض ومراجعة الطبيب وعليك أن تشعري - البوليس - بذلك قبل (٢٤) ساعة. وفي حالة زيارتك لزوجك...ومن ثم سألني عن عدد أبواب الدار وأعطاء المفاتيح له.. قال.. هذه هي الأوامر التي لدي علماً بأننا لم نجد بعد تفتيش الدار أي شيء غير اعتيادي وأعطاني ورقة شهادة بذلك بعد ان طلبتها منه وبعد هذا أخذ مني المفاتيح وأخرج الخدم الى غرفهم في الحديقة وأقفل جميع الأبواب علي وعلى أولادي ودلف! بدت الدار وأنا والأولاد سجناؤها كأنها زنزانة رهيبة وضاقت الدنيا في عيني بعدما رأيت من خلال الشباك أربعة حراس غلاظ شداد يطوقون الدار من الخارج وآخرين يرتدون الملابس المدنية يبدو أنهم من رجال الأمن والتحقيقات. وقد جاؤا كذلك بأفرشتهم واقتحموا غرف الخدم ليشاركوهم في المبيت فيها!

وقد لعبت الخواطر في رأسي تلك الليلة ولم أنم حتى الصباح حيث فتحوا الأبواب وسألوا الخدام عما احتاجه من السوق وعما اذا كان الأطفال يذهبون الى الروضة.. ولم يتأخروا عن تفتيش طفلي الأكبر المغيرة وهو بطريقه الى الروضة وكذلك عن تفتيش الخادم الذي إبتاع لنا اللحم والخضروات من السوق! كما أن أسلاك التلفون قد قطعوها منذ الأمس!

وفي الظهيرة جاءني الضابط الذي كان يقود حملة الظلم والأرهاب فسلم علي وقال بأنه مسرور جداً لأن نبلغ بأمر جديد وهو سحب الحرس من الدار ورد حريتك العائلية ولكن كيف؟؟

موقف السيد الصدر

استرسل الضابط في الحديث بقوله.. أقيمت أمس حفلة كبرى وكنت مسؤولاً عن حراسة موكب رئيس الوزراء وشخص رئيس الوزراء الذي كنت بالقرب منه ولقد سمعت السيد الصدر يلوم رئيس الوزراء على الاجراءات الصارمة التي أتخذت ضدك ولا أدري من أين علم الصدر بهذا؟ فقد قال الصدر للباشا إنه لعيب كبير أن تتخذ مثل هذه الاجراءات ضد الأبرياء؟وكيف تسجن سيدة في بيتها على هذه الصورة المؤلمة؟ وماهي جريرتها هي بالذات؟ أهكذا العرب تعامل النساء؟ قسماً بالله –ياباشا– سيكون هذا الحفل آخر لقاء بك اذا ماسمعت بأن تلك الاجراءات سارية حتى الغد... وعلى اثر هذا الموقف الذي اتخذه الصدر مع الباشا استدعاني رئيس الوزراء نوري باشا وأمرني بالغاء كل الأجراءات وسحب الحرس... وطلب مني الباشا أن أخبرك بشيء واحد.... هو أن لا تتكلمي ضده بعد الآن فكل قول يصدر منك عنه يصله في كل يوم وكل ساعة فرجاني عدم التكلم ضده! وهنا بهت وقلت وماذا أتكلم عنه وضده؟ وماذا عساني أن أقوله وأنا وزوجي تحت رحمته وسلطانه؟ فقال يبدو لي –ياسيدتي– أن هنالك أعداء لكم يتصيدون في الماء العكر وينقلون الغث والسمين ويحرفون الكلام فاحذري من كل هذا ومن ثم خرج وسحب جلاوزته وأعيدت الي حريتي نسبياً... فبدلاً من إيصاد الأبواب والمراقبة الداخلية اكتفي بالبوليس السري خارج أسوار الحديقة! كما اني منعت من زيارة زوجي في المعتقل ثلاثة أسابيع فقط كان –طارق– بترخيص من رئيس الوزراء يذهب وحده لزيارة والده! وكان ينتحل شتى الأسباب لعدم مجيء!!

كنت لا أنام الليل الا قليلا ولا أزور احداً ولا يزورني أحد خوفاً عليهم من بطش الظالمين المسرفين في الظلم! وهكذا أصبحت في شبه عزلة من الناس ولا أرى سوى أترابي وشريكاتي في المصيبة والمحنة...

ماذا عن المحاكمة الصورية!؟

لقد انتهت مرافعات المحكمة العسكرية. ولكن الاحكام لم تصدر حيث صادفت - يومها - الاحتفالات بعيد الجلوس الملكي. فأرجئت الاحكام الى مابعد المهرجانات.

وفي ليلة طال فيها سهادي وتفكيري في الاحكام المنتظرة. غططت في نوم عميق. وتقاذفتني اضغاث الاحلام. فرأيت في المنام نفسي وكأني في صحراء بعيدة الافاق. واشاهد اربع مشانق منصوبة، يقف امامها عدنان ابن زوجي ومعه ثلاثة اخرون من رفاقه. وكأنهم سيعلقون على اعواد تلك المشانق!!

فسألت - عدنان - كيف يشنقونك وانت مريض. والقانون لايسمح بذلك الم تقل لهم هذا؟ ولكن عدنان ساكت لايحير جوابا. بل ينظر صوب المشانق. فنظرت صوبها كذلك وياهول مارأيت!! رأيت محمود الحبيب. والاخ المخلص فهمي سعيد. والسبعاوي وكلهم في ملابس النوم يقفون وجها لوجه امام المشانق في انتظار الموت الرهيب!! صرخت بقمة صوتي باللفجيعة والمصيبة! ياللظلم والجبروت! من لهؤلاء الاطفال بعد والدهم الشهيد.. هببت من نومي وفركت عيني بيدي وانا اندب زوجي الحبيب وصحوت من هذا الحلم الكابوس. وحمدت الله على ان يكون هذا حلما لاحقيقة! وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم. وتلوت السورة الكريمة (قل اعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شرّ الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس..)

يوم ليس كالايام!!

انتهت احتفالات عيد الجلوس الملكي في يوم (٢) مايس ١٩٤٢. وفي يوم (٤) مايس ذهبنا لزيارة «محمود» ومعي الاولاد. وعائلة فهمي سعيد. وعائلة السبعاوي. وعائلة صديق شنشل وعندما ادركنا - المعتقل - لم نجد احدا منهم!! ولان المحكمة كانت قد انتهت. فقد تصورنا ان الكل هنالك، لابلاغهم بالاحكام الصادرة بحقهم.. ومادقت الساعة الواحدة بعد الظهر حتى حضر الموكب، فقد وقف (لوري) امام الاسلاك الشائكة يحمل الجنود المسلّحين. وسرعان ماهبطوا واخذوا مواقعهم. ونصبوا المدافع الرشاشة. وتقدمت بعدها سيارة السجن المقفلة التي كانت تقل السجناء الاحرار. وجاء (لوري) اخر يحمل جنودا مسلحين. فنزلوا وشكوا السلاح أخذوا مواقعهم!! وهنا تقدم امر الحامية ففتح باب عربة السجن. ونزل منها. الفريق امين زكي رئيس اركان الجيش، فالسيد علي محمود الشيخ علي، فيونس السبعاوي. فالسيد محمود سلمان.

فالسيد فهمي سعيد. واذا بهؤلاء الثلاثة العسكريين مكبلون باغلال الحديد! ! وحدث ان تقدم صديق شنشل، وكان يركب في سيارة امر الحامية، وانتحى بزوجته وبشرها بالافراج عنه. ولكنها لم تفرح بل سألته عن مصير اخيها يونس السبعاوي! وقد سألت شنشل» عن زوجي فرد علي بهذه الكلمات (تجلدن فان الله معكن! !) وقد فهمت من هذه الكلمات مافهمت فكانت عيناي وروحي تلاحق مصير زوجي ورفاقه الابطال، فلم يلتفتوا الينا بل ساروا الى غرف السجن... وبينما نحن كذلك واذا «بطارق» يغمزني، بأن انظر الى امر المعتقل. فالتفت ورايته يحمل ظرفا كبيرا كتب عليه بالخطّ الكبير وباللون الاحمر (الارادة الملكية).

وقد شاهدت والدة (السبعاوي) وهي السيدة العجوز تولول وتبكي. وتلتمس امر المعتقل بأن ترى ولدها! ولو من الباب! فاجابها بكلمة اسف، والابتسامة على شفتيه. وكأنه مسرور وشامت! لقد كان منظر تلك الام الحنون يفتت الاكباد، وكان قلب امر المعتقل. لكأنه قد من الصخر! !

اقنعناها بالعودة معنا وركبنا سياراتنا، وسرنا جياعا عطاشا، قد لفحنا وهج الشمس وحر الجو حتى وصلنا بيت الوصي عبد الاله الذي يقع على ذات الطريق الذي نسلكه.. ترجلت والدة السبعاوي وسألت البوليس عن عودة الوصي» الى البيت، فأجابها بأنه في طريقه الى البيت، فاسرعت نحو القصر تبغي مقابلة والدته وتسألها الرحمة والعطف، والوساطة لدى الوصي لانقاذ ولدها الوحيد من حبل المشنقة! غير ان الحرس الذي كان على ابواب القصر طردها بكل وحشية وقسوة! ! وفي تلك اللحظة شاهدنا والدة الوصي وشقيقاته يخرجن الى الشرفة ويتفرجن علينا! رجوت السيدة (ام السبعاوي) ان تركب وتعود الى البيت. اذ كفانا ما لاقيناه في هذا اليوم العصيب من العنت والاذلال، فابت وقالت. اذهبوا انتم فلست بعائدة معكم حتى يمر الوصي من هنا! فاما ان يعفو عن ولدي واما ان اموت تحت عجلات سيارته قبل ان يقتل ولدي! ! وماتكاد تتم حديثها معنا حتى وصل موكب الوصي تتقدمه (الموتور سايكلات). فأرتمت الام مع اطفالها على سيارة الوصي، وباشارة منه غير السائق خط سيرها وتركها طريحة الارض، مكلومة الفؤاد، شاكية الى الله ظلم الانسان لاخيه الانسان! ! واخيرا وبعد جهد جهيد ادخلناها الى السيارة، وعدنا كلا الى داره في حالة لاتكاد توصف من الالم والمعاناة. بل تعجز الاقلام عن وصفها مهما بلغت من البلاغة، وفصاحة التعبير! !

وبعد ان ارتحت لحظات معدودات، اعتزمت على ان اركب سيارتي الى غير هدي. واذ «بطارق» يخبرني بأن سيارة ترابط امام الدار، وان فيها خمسة من المسلحين. ضباطا وجنودا فلم احفل بذلك. فقد تعودنا على امثال هذه السيارات والمسلحين. ليل نهار يطوقون دورنا. بل يقتحمونها اذا ما اقتضى الامر ذلك! في اللحظة ذاتها دخلت علي والدة زوجة (فهمي سعيد)

فرأتني متأهبة للخروج. فقلت لها امشِ معي فقصدنا دار «السبعاوي» حيث كلنا نسكن في منطقة واحدة... وعندما تحركت بنا السيارة، لاحقتنا سيارة (البوليس) الواقفة لدى الباب. وعندما ادركنا دار السبعاوي، ترجل احد الضابط وتقدم منا، واعترض على مجيئنا الى هنا. ورجاني بالعودة الى الدار. لان لديه امرا يمنعني من الاتصال بأي احد واية جهة كانت. فعدت الى السيارة على مضض وقلت لصاحبتي، لنذهب الى دار صبحي الطائي لعله سمع شيئا او خبرا جديدا.. والملازم صبحي الطائي هذا هو زوج إبنة اخت (نوري السعيد) وشقيق زوجة – فهمي سعيد – المتوفاة. فتوجهنا الى الدار التي نقصدها، واذا «بالضابط» المذكور الذي يلاحقنا يمنعني من الدخول، ولم اجد بدا من دفعه بيدي بكل عصبية، فدخلت بيت الملازم صبحي الطائي. واذا بزوجته تستقبلنا مبهوتة، وتقول يالك من مسكينة بعد الذي جرى! استبقون على هذه الارض بعد هذه المصائب؟ لقد سمعت بأن اموالكم ستصادر ايضا!! قلت.. اهذه هي البشرى التي ننتظرها من عندكم؟؟ انسي خالك – اي نوري السعيد – تأريخ الماضي كله!؟ وفي اللحظة يدخل علينا زوجها الطائي، وتنتصب على صدره زهرة حمراء، ويتظاهر بالتأثر والمواساة. ويقول.. والله. والله، وبشرفي لم اكن اتصور ان الامور تتطور الى هذا الحد، وبهذه السرعة... عودا الى البيت الان، واظنهم سيطلبونكم في هذا اليوم! فاذا ما ارسلوا بطلبكم مروا بي لاكون معكم وبرفقتكم، ولكي ارى – فهمي – فصعقت لهذا الكلام يخرج من هذا الرجل. ولايقصد به غير تخدير الاعصاب والمجاملة الخادعة الكاذبة! التي استمرت اكثر من ثلاثة اشهر! عدنا الى الدار فألفيت بها (محمد امين الرحماني) ابن خالة – محمود سلمان – فرويت له كل الاخبار التي تعرفها. وانصرفت – حماة فهمي – الى حيث دارها..

الى اين!؟ الى اين!؟

في الساعة العاشرة مساء وقفت سيارة عسكرية لدى الباب وترجل منها (عسكري بوليس). وقد طلبنا بالاسماء... السيدة مديحة.. طارق... المغيرة.. معد.. سألته.. ماذا يريد منا والى اين؟ قال. بأن لديه امرا باخذكم الى محل ما. ولكني لااعلم الى اين!؟ فتدخل (الرحماني) قريبنا. وسأله عما اذا كان في الإمكان ان يرافقنا بهذه الرحلةالمجهولة! فرد عليه بالنفي لأن الاوامر التي لديه لاتسمح له بمثل هذا!! وعندما طلبت من السائق احضار سيارتي، اعترض «العسكري» وقال، انكم ستأتون معنا وقد احضرنا لكم سيارة خاصة بكم، ولكني رفضت الذهاب بسيارة (البوليس)، فقال مصرا على رأيه بأنه لايمكن ذلك. وفي الامكان ان تجري سيارتك وراءنا وهي فارغة!! وتجاه هذا الاصرار خرجت و –طارق – معهم. وابقيت الاطفال

في البيت ولم اوقظهم ! قبيل المغادرة. شاهدت ثلاث سيارات. وقد وضعوا كل عائلة في سيارة واحدة منها. اي عائلة فهمي. وعائلة السبعاوي. وعائلتنا في السيارة الثالثة.. تحرك رتل السيارات هذا عبر طريق غير معبد. وليس عبر الشوارع الرئيسة. وهكذا تركنا بغداد وراءنا وقصدنا ناحية الكاظمية. والسيارة تنطلق باقصى سرعة ممكنة. بحيث ان رؤوسنا ترتطم بالسقوف. واجسامنا تهتز بسبب الطرق الملتوية. وامرنا الى الله! وكلما سألنا الى اين؟ اجبنا.. لاندري.. او بالصمت اللا بليغ ! وحوالي الساعة الحادية عشرة. والظلام الحالك مخيم علينا وعلى المنطقة. وصلنا السجن الرهيب الذي يضم في غياهبه ازواجنا الابطال. رموز التأريخ. وعشاق التحرر والحرية!

كانت الساحة تعج بالحرس العراقي الاعزل من السلاح!! وما هي الا دقائق حتى حضر الحرس المدجج بالسلاح من الجيش الانكليزي المحتل! ذلك لان السلطة المحتلة لا تطمئن الى الحرس العراقي في مثل هذه الحالة وفي مثل هذه الظروف! وماهي كذلك حتى نؤمر بالنزول من السيارات فيقتاد كل ضابط منهم. عائلة منا الى حيث ازواجنا. الى حيث عرين الاسود..

دخلت على -محمود- فألفيته جالساً على سريره المكسر والحديد يغل يديه ورجليه.. وما أن وقع نظره علي حتى قال. الحمد لله الذي شاء أن أراك قبل رحيلي من هذه الدنيا وأنا رابط الجأش وأمين على الرسالة... لقد ظننت أني لا أراك أبداً؟؟ وجلس -طارق- على سرير والده وهو يجهش بالبكاء أما أنا فلم أستطع وصف نفسي في تلك اللحظات الرهيبة فلا أنا قادرة على البكاء ولا أنا مستطيعة الكلام! وهنا سألني -محمود- عن المغيرة ومعد فأجبته بأنهما تعبا طوال النهار. واستسلما للنوم ولم أحضرهما فأرجو المعذرة...قال.. حسناً فعلت فلا أتوق أن يعلق منظري هذا-وأنا مكبل بالقيود -بذهنها! إنتبهي جيداً -يامديحة- ولتكوني واعية لكل كلمة أقولها الآن.. إنك قبل غيرك تقدرين تضحيتي لهذا الوطن الحبيب وان موتي واستشهادي سيكون فخراً لك ولأولادي.. فأرجو أن لا يقعدك مصيري هذا عن تربية الأولاد تربية وطنية صالحة وستكونين مسؤولة أمام الله اذا لم تربي الأولاد على حب الوطن وخدمته والتضحية في سبيله حتى ولو كان مصيرهم كمصيري هذا!! أرجو أن تشدي أزرهم وتدفعيهم الى مايحقق للوطن الحرية والاستقلال كما كنت أنت تقفين الى جنبي وتشدين أزري.. وتستطرد مديحة وتقول . وفي تلك اللحظات الفاصلة الرهيبة كنا نسمع أصوات المسامير تدق في أعواد المشانق فأرتعشت أعصابي وارتعبت... ولكن -محموداً- إبتسم وقال... إنني لم أعهد فيك الخوف والرعب من قبل!! إن هي الا أراجيح الشرف سنرتقيها بعد قليل! فأعلمي --يامديحة- بأن جماجمنا ستكون حجر الأساس لصرح هذا الوطن المحتل المنكوب! .وإنك. تعلمين جيداً نوايانا الصادقة فلم تكن لنا اغراض شخصية والله وأننا سنلاقي ربنا بضمائر طاهرة نقية ومرتاحة لأننا لم نقم الابتأدية واجبنا

المقدس تجاه الوطن والأمة العربية.. وإننا قد أديناه.. يامديحة! يكفيني زهواً وفخراً وخلوداً وشرفاً ان أضحي بك وبالاولاد واتركم دون نصير ومعين تحت رحمة الله والله خير الراحمين لتبق روحي ترفرف حولك من أجل أن أطمئن عليك.. ان أخي -محمد- الذي أحببته كما أحبك بعيد عنك الآن وهو وحده الذي اعتمد عليه في تربية الأولاد وحتى يجمعه الله بكم ستبقى روحي حائرة ومعذبة وحتى أخي (داود) مايزال بعيداً عنكم في السجن! مسكين ياداود بلغيه -يامديحة- حبي وأوصبه بالصبر الجميل على فقدي! آه يامحمد! لقد قدر لي أن لا أراك بعد غيبتك الطويلة.. ومن ثم قال.. نسيت -يامديحة- ان أخبرك بأنهم أحضروا لنا بعد عودتنا من المحكمة (كاتب عدل) ليكتب وصايانا فكتبت -وصيتي- ويمكنك من خلالها إنقاذ أملاكي من المصادرة! فطالبي -بالوصية- فقد نصبتك وصية على الأولاد كيلا تتعذبي من هذه الناحية كل هذا الكلام المركان يجري على لسانه والابتسامة تكاد لاتفارق شفتيه! والحديد لا يقلل من عزمه وايمانه! لقد ساعد هذا الموقف الخالد الصامد على تحملي الصدمة بارادة المؤمنة وبجلدها وصبرها..

ومن ثم سألته عن الاراده الملكية بتنفيذ قرار الحكم بالاعدام هل صدرت بحقكم أم لا ؟أم أنكم تبلغتم بقرارات المحكمة فقط! فضحك -وهو في هذه الحالة والموقف الحاسم- وأجاب... ألم أقل لك من قبل بأن المحكمة مهزلة! فلقد قرأوا علينا الاراده الملكية بالتنفيذ في المحكمة في نفس اللحظة التي صدرت فيها القرارات! انهم على مايبدو مستعجلون! فلا تعبأي بذلك ولا تبالي وكوني صابرة على البلوى وفخورة بالشهادة خاصة وان حياتك لم تكن بعد الآن لك وحدك بعد استشهادي بل لأطفالك وللوطن... والتفت الى -طارق- وقال.. لا تبك -ياولدي- طارق فأنت شجاع وأنت راشد فكن رجلاً حقاً فأنت أكبر إخوانك وتعاون مع الوالدة على تربية اخوانك... كما عليك أن لا تيأس وتكتئب بل أن تفخر وتفرح بمصير أبيك هذا! !لأني لم أقم بعمل يخجلكم بل يشرفكم ويرفع رؤوسكم عالياً فكن فخوراً بنفسك ومضحياً من أجل وطنك ليحفظكم الله جميعاً ويساعدكم على ماينتظركم من صعاب... تعالوا لأقبلكم قبلة الوداع فانهم على مايظهر مستعجلون! وانهم لا يريدون أن أشبع من رؤياكم! وهنا قبل -طارق- وقال هذه قبلة أخرى لعدنان الذي لم أره من زمان لمرضه فليشفه الله! والتفت الي وقال (أما أنت ياأعز من أملك فقد تحملت الكثير الكثير بسببي وكنت أشعر بهذا الحمل الثقيل على الرغم من كبتك وكتمانك. اعلمي -يامديحة- بأني لست نادماً على كل ماعملته في حياتي سوى أني ظلمتك كان يجب على أن لا أتزوج بل أتفرغ للنضال والوطن فقط. ولكن هذه مشيئة الله! والآن أسألك -يامديحة- وقبل أن ارتقي المشنقة بعد لحظات! هل تغفرين لي هذا العمل!؟ وهنا ومن دون وعي أو شعور أرتميت على صدره وصرخت عالياً.. فداك -يامحمود- فليقتلونا معاً

لنصعد المشانق معاً! لا لا أطيق الفراق.. فرد علي يقول... ماهذا الذي أسمع؟ أنت لست ملك نفسك بل ملك أبنائك فلا تجزعي ولا تستسلمي للحزن والهلع كيلا تمرضي وتسوء صحتك. فأولادك في حاجة لك في هذه المرحلة وأنا راحل عنكم ومفارقكم لملاقاة ربي مطمئناً قرير العين نظيف الفؤاد. ولقد تركت الأولاد أمانة في عنقك بوصفك الأم الرحوم التي ستكون لهم أماً وأباً في وقت واحد... والآن يامديحة كفكفي دموعك وتماسكي واعتصمي بالعروة الوثقى وتفاءلي وأضحكي لكي أرتاح وأطمئن قبل أن أفارق الحياة بعد لحظات! فلا تدعي لأحد أو لعدو مجالاً لأن يشمت بنا وتذكري أبداً وصيتي هذه (رب أولادك على حب الوطن وعلى الموت المقدس في سبيل الوطن المقدس)...

وفي هذه اللحظة لحظة الوداع الأخير يتقدم الضابط الذي أضاع الذرة الأخيرة من الشرف الوطني فسحبني بكل قسوة من احضان زوجي الحبيب واخرجونا بالقوة وأركبونا سياراتهم وأعادونا الى البيوت من الطريق الذي سلكناه عند المجيء كيلا يرانا أحد ولا يسمع بنا أحد! لا أدري كيف دخلت غرفتي في البيت وكأنني في حلم وخيال؟ لا أدري كيف التقيت بشقيقتي التي كانت تنظر عودتي وكأنني لم أرها وكأنها لم تك في البيت فأي لسان لا ينعقد في مثل هذه الحال وأي لسان يستطيع النطق والكلام؟ ماهذا الغراب الذي ينعق في سماء البيت الذي تلفه الظلمة الداجية والرهبة الباكية!

وفي الفجر استفقت قليلاً وناجيت الرب كثيراً.. أحقاً يارب قد افتقدت الزوج والحبيب والروح وكل ما أملك والى الأبد؟؟ أهكذا يكون جزاء الأحرار الأخيار الذين يخدمون أوطانهم بأمانة وشرف؟! ولكن (البوليس) الذي بدأ يطوق الدار بأمر أسياده لا يتفهم لغة المناجاة لأن أسياده لم يعلموه الا لغة الظلم والزور والمداجاة وما أن أصبح الصباح حتى جاءتنا الحشود الحاشدة من الرجال والنساء وأصواتها الصارخة تشق عنان السماء، وعبثا حاولت الدخول الينا لأن زبانية السلطة حالت دون الدخول ومنعتها منه بالقسوة والقوة والتهديد! هكذا هم الشهداء الخالدون انهم يخيفون الظالمين وهم في الأجداث! هكذا هي دماء الشهداء تسق شجرة الحرية والاستقلال..

وماهي الا أن أرى موكباً من شاقات الجيوب يدخلن على الدار عنوة رغم وجود البوليس وهن صارخات باكيات! فما هي الا أن أصرخ في وجوههن! لا تبكوا ..لا تشقوا الجيوب!! من قال لكن ان –محموداً– قد مات!؟ انه لم يمت! انه خالد الى الأبد. ولكن صوت المذيع العراقي قد رد علي بسرعة وأعلن النبأ المشؤوم بأن محموداً ورفاقه قد نفذ فيهم حكم الاعدام! ومع هذا كله فسيظل محمود ورفاقه الابطال هم الخالدون. لقد كان مأتم –محمود– مأتم شعب كامل. وكان مأتم محمود ورفاقه مأتم أمة بأسرها!

...بعد سماعي النبأ الصاعق من (المذيع) العراقي أصبحت كالبلهاء المصعوقة وأغمي علي ولم تنزل من عيني دمعة واحدة! وما أن صحوت قليلاً حتى طلبت صورة -محمود- لأقبلها وأضعها على صدري ولكن الحضور من حولي رفضوا احضارها خوفاً علي من مزيد من التأثر واللوعة لأن حالتي كانت تنذر بالجنون!! وأكثر من هذا فقد بقينا ثلاثة أيام بلياليها سجناء أسراء في بيوتنا لا يسمح البوليس لأحد من الدخول علينا وكان البيت يغص بالمعزين الذين راحوا يتقاطرون الينا زرافاتٍ ووحدانا وكانت زوجات الضباط والجنود حتى من اللواتي لا اعرفهن نصف عاريات يلطمن الخدود والصدور وكلهن يتحدثن عن بطولات -محمود- ومواقفه الوطنية وأنه لم يلن ويستكن أمام السلطة الغاشمة وعملاء الأنكليز وكلهن يتمنين لو أنهن فدوا -محموداً- بأنفسهن وأولادهن وبكل غالٍ ونفيس! وكان قسم من البوليس الوطني يلبس الحداد تحت ملابسه الظاهرة خوفاً من التنكيل به بل كان بعضهم يدخل حديقة الدار وهم يبكون ويولولون ويلعن أولئك المجرمين الذين سلطوا سيوفهم على رقاب الوطنين الأحرار.

كيف نفذ حكم الاعدام!؟

لقد كانت الحكومة خائفة من ثورة الشعب عليها منذ اللحظة التي نفذ فيها حكم الاعدام بعد اتخاذ الاجراءات والأحتياطات المشددة.. فلقد احتل البوليس المسلح كل الشوارع العامة في بغداد وحجزت السلطة الجيش في المعسكرات وشدد على مراقبة القوة الجوية والخيالة بوجه خاص لأنها كانت تقدر في -محمود- الاخلاص والتضحية في سبيل الوطن وكانت تحبه الى درجة (العبادة) وتفديه بالارواح.

بعد خروجنا من السجن -نحن عوائل الشهداء- نفذت أحكام الاعدام في أبطال الثورة ضد الانكليز مباشرة أي في منتصف الليل الحالك البهيم! ووري -الشهداء التراب قبل طلوع فجر ذلك اليوم الذي كانت تظلله غمامة في السماء! فلقد وضع ثلاثة أبطال في قبر واحد ونصب الحراس على القبر الذي كان يضيء بنور الأحرار الذين زفوا الى جنات الخلد واصوات الملائكة تنادي ادخلوها بسلام آمنين! هكذا كان موكب الشهداء وهم بطريقهم الى الجنات أما خفافيش الظلام وعبيد الانكليز فقد وصموا أنفسهم بأن وضعوا على قبور النور لافته كتبوا عليها (هذا جزاء الخائنين)! وما أن شاهد لفيف من أبناء الشعب هذه اللافته التي وضعها المجرمون على قبور النور حتى تقدم نفر منهم فأخذ باللافته تمزيقاً وتقطيعاً ووضع لافتة جديدة بديلاً عنها وقد كتب عليها (هنا يرقد أبطال الوطن الشهداء)..

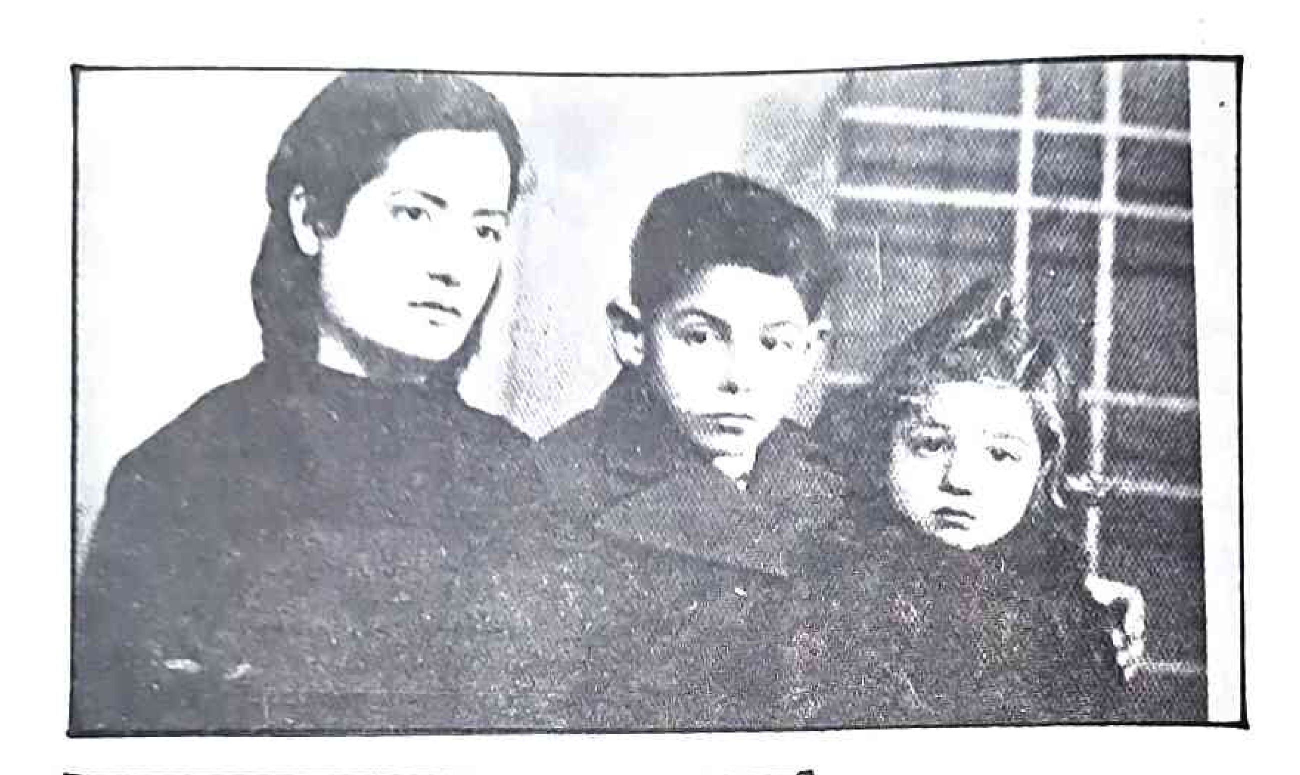


الشهيد محمود سلمان

برتبة نقيب (معاون آمر المدرسة العسكرية) ٢٥ /١٢ /١٩٣٣



الشهيد العقيد الركن محمد فهمي سعيد في اللباس المدني



بعد الاعدام

مديحة – المغيره – معد



الاطفال بعد الاعدام

المغيره – معد

مراسل - محمود - ماذا فعل!؟

ما ان سمع مراسل - محمود - الخاص بهذا النبأ الاسود. حتى هرب من الثكنة -. و «تسلح» بالمسحاة. وهرع الى قبور الثوار. وراح يحفر الارض ليخرج جثمان - محمود - الى مكان اخر! ولكن - الحراس - هاجموه بمدافع الرشاشات. ولم ينقذه من الموت الا الشعب الذي كان متجمهراً متحفزا يومذاك، حيث انقذوه وهربوه عن اعين البوليس. الى جهة مجهولة! ولعل هذا الحادث اول حادث من نوعه في عراق الثورة. حتى ان الكثيرين من الناس لم يصدقوا هذا الخبر عندما انتشر بين الاوساط الخاصة والعامة او لعل هذا الحادث كذلك تجسيدٌ صارخ لاخلاص الجنود الابطال لقادتهم الاحرار..

خوف نوري السعيد

بعد ان تم تنفيذ الاحكام العسكرية بالشهداء الخالدين. وتوجس الحكومة من انفجار بركان الثورة على نوري السعيد وجلاوزته. اعتكف - الباشا - في داره ولم يغادرها الى مكتبه الا بعد اربعين يوما!!.. وكانت داره يحيط بها الحراس من كل جانب في الليل والنهار خشية من الهجوم عليها في كل لحظة!! اما «الوصي» عبد الاله. فكان يروح ويغدو من البيت الى البلاط الملكي وبالعكس وسط حراسة شديدة من المصفحات والرشاشات!

ايام الحداد وبعد الاربعين!!

اصبح بيتنا في ايام الحداد يعج بالناس من مختلف الطبقات الشعبية. وكانت دموعي ماتزال حبيسة في المحاجر، وتدهورت صحتي كثيرا وكان الاطباء يعتذرون من عودتي في داري خشية الاعتقال! حتى ان الدكتور نجيب اليعقوبي وهو صهر «جميل المدفعي» رئيس الوزراء قبل نوري السعيد. كان يتردد في المجيء الى داري، وقد عادني مرة وهو - خائف مترقب - واجري الكشف الطبي اللازم. ونصحني بالتزام الهدوء والراحة والسكينة.. وكما علمت ان جميل المدفعي» عندما سمع بهذا التردد من قبل - اليعقوبي - قال له بأن واجبه كطبيب انساني. ان لايتأخر عن «زيارتي» وعيادتي كلما طلب منه ذلك. وقد شكرت - المدفعي - في حينه على موقفه المشرف هذا.. اما بعد. فقد انتقل المأتم من داري الى دار (داود سلمان) شقيق الشهيد (محمود سلمان)..

اما طفلاي - في تلك الفترة - وهما - المغيرة - الذي كان قد اتم الرابعة من عمره. و

- معد - الذي لما يتجاوز عمره السنة الواحدة والشهرين، فقد كانا يعيشان مناظر الحداد والمأتم. ويريان النسوة من حولنا نائحات صارخات. حتى ان عيون - المغيرة - كانت قد التهبت واحمرت. وتشقق بياض عينيه، وصار ينزف دما! ولكن جهود الاطباء انقذت عينيه من العمى. في ظروف الحرب العالمية الثانية التي كان يعز فيها الدواء.... لقد انفض الناس من حولي بعد (الاربعين) يوما، فأصبح جرص الباب لايقرع الا عند مضايقه الحراس لنا. وقيامهم بتبليغ اوامر الحكومة وكل ماتريده منا.. فمرة يطلبون «نياشين» زوجي. واخرى يطلبون السيف والمسدس والمنظار، ولااعتراض لنا على ذلك، فحكومة - ظالمه - مقيدة بقيود الانكليز هي هكذا تقابل الاحرار والشهداء وانما اعتراضنا على الطريقة التي يعاملون بها عوائل الشهداء الابطال، وكلها قسوة وفجاجة وسوء ذوق! وكنت اتحمل كل هذا بشد اعصابي والاعتصام بحبل الصبر المتين، وانا عصية الدموع تغالبني فاغلبها، واتصور صورة - محمود - فاستمدّ منها العون والقوة واستعذب التضحية كما اوصاني!

مضايقات نوري السعيد لنا!!

بعد ذكرى - الاربعين - على استشهاد زوجي، بدأ نوري السعيد يرسل بافراد البوليس الواحد بعد الاخر لكي يقنعني بالسفر للبصرة ومغادرة بغداد، حيث ان زوج اختي منفي هنالك. لا لذنب اقترفه، بل لمجرد كونه «عديل» زوجي، فليتصوّر قراء الجيل القابل مدى ماتحملناه من حكم «قره قوش»، وكيف اصبح «الحاكم» بامره يخشى حتى من خياله! وكنت اجيب «البوليس» في كل مرة بأني لن اغادر داري مطلقا، وان ليس هنالك مايضطرني على السفر للبصرة، اللهم الا رغبة الحاكم!! وكان القصد من جراء هذا، هو المزيد من عذابات «عائلة الشهيد»، والاطفال في جو البصرة الموبؤ بالملاريا والامراض المستوطنة الاخرى! وهكذا يسكت عني رجال البوليس لبعض الوقت، فيعودون الى اقناعي بالسفر الى السليمانية. احدى محافظات العراق في الشمال، ومن امهات المصائف العراقية. فلا يحضى البوليس مني بجواب قاطع عدا الرفض القاطع، وان على الحكم الذي يؤكد على نفي العائلة الى الجنوب او الشمال. فليحقق هذا النفي عن طريق القوة، فماذا بقي لنا من خرائب بغداد والبصرة وكل العراق. بعد ان علق الاحرار على اعواد المشانق؟ وماذا تعلمنا من دروس - محمود - غير قوة الارادة والصمود!!

زيارة اخت (نوري السعيد) لي

وذات يوم دخلت على اخت نوري السعيد – وكانت بيننا معرفة ومجاملة – قبل هذه الظروف الشاذة، وبعد ان جلست واستراحت، قالت لي... ان الباشا – وتقصد اخاها نوري السعيد – يسلم عليك كثيرا، ويقترح سفرك الى تركيا لدى خالك – ويقصد الدكتور توفيق رشدي اراس – وزير الخارجية السابق في تركيا، حيث ان هنالك الجو الملائم لك وللعائلة! وهنا استشطت غضبا وقلت لماذا يطرح – الباشا – علي هذه المقترحات بين تارة واخري. وهي مقترحات لاتخرج عن كونها نفيا وابعادا لي عن بغداد!؟ الا يكفي – الباشا – هذه المأساة والطامة الكبرى التي تحملناها في ظل حكومته!؟ الا يفكر بمحنة هؤلاء الصغار اليتامى اولادي؟!

فاجابتني – اخت السعيد – بكل صراحة بأن – الباشا – غير مرتاح من وجودك في بغداد. وان اخبارا واشاعات عديدة قد تسربت فحواها إنك قد اقسمت على قتله. اذا مانفذ حكم الاعدام في زوجك!

واستطردت تقول لي... صدقيني – يامديحة – ان «الباشا» لن ينام الليل ولن يهدأ مادمت انت في بغداد، فأجبتها... بلغي – الباشا – بالطمأنينة وراحة البال والضمير مادام «صغاري» هؤلاء الاطفال امانة في عنقي، وليس من يتعهدهم بعدي اذا ما اقدمت او شاركت في قتل الباشا؟ فليدع لاولادي بطول العمر، اذا ماآثر السلامة والبقاء... فخرجت. من داري. الى دارها، وابلغت ه الباشا – بما دار بيننا من نقاش وجدل. فلم يقنع – الباشا – بهذا الكلام ولم يطمئن اليه، بل على العكس، فقد ازداد قلقا واضطرابا وحيرة بهذه الامرأة – المظلومة – الكئيبة والضعيفة، ولكنها رغم ذلك تقلق – الباشا – وتحرمه من منام الليل!!

ولهذا فقد ارسل الى داري السيد احمد باشا الراوي مدير الامن العام – وتقصد مدير الشرطة العام – وعرض علي عرضا مغريا بأنه مستعد لان يدفع لي (١٥٠) دينارا شهريا اذا ما سافرت من بغداد، فقلت له.. بلغ الباشا بأني – هنا – في داري واني لست بخارجة منه. ولو اغراني بألف دينار شهريا!!

انذار باخلاء الدار!!

.... وقد ظننت ان الامر قد انتهى بعد رفضي تلك المقترحات والحلول. ولكن الامر لم ينتهِ، فقد عمدوا الى وسيلة شيطانية اخرى. هي انهم قد ارسلوا الي – بانذار – رسمي باخلاء الدار التي اسكنها خلال (٢٠) يوما لكي يسكنها (القائد البريطاني في العراق). لان القائد هذا قد اعجب بموقع الدار وانه يحق له بموجب المادة كذا... من قانون كذا... ان يسكنه. لان

قوانين الحرب تسوغ للقوات البريطانية المحتلة بالاستيلاء على اي دار كان في العراق اذا ما ارادوا ذلك! وكان هذا (الانذار) الرسمي باخلاء الدار صادرا وموقعا من لدن متصرف بغداد!

فما كان مني بعد هذا التحرش اللامسؤول، واللااخلاقي، الا ان رددت على ذلك الانذار الرسمي، بأني لست املك دارا اخرى للسكن. واني لن اترك الدار للقائد البريطاني المذكور ولأهواء الحكومة التي تأتمر بأمر «القيادة البريطانية» المحتلة مهما كانت النتائج!! وقد قوبل موقفي هذا بالسكوت والانتظار ولكن ...!!



مديحة طارق عدنان

المطالبة بدفع غرامة باهضة!!

... ولكن لم يسكتوا طويلا. بل ارسلوا الي في شهر رمضان المبارك. وعندما ضرب مدفع الافطار (وما اشرف هذا التوقيت – من يطالبونني بتسديد مبلغ (١٦٠٠٠٠٠) مليون وستمائة الف دينار. وهي الغرامة «المقررة على زوجي ورفاقه في القرار الصادر باعدامهم... وذلك باعتبارنا نحن (الورثة الشرعيون). وعلينا ان ندفع هذا المبلغ الجسيم. او تصادر اموالنا المنقولة وغير المنقولة في الحال!

ولو ان جرحا واحدا لاتقيته
ولكنه جرح وثان وثالث!!

وماهي الا ان يشددوا القبضة الحديد على اولادي وعلى الدار. ويستأنفوا اصرارهم على اخلاء الدار، وضرورة وضعها تحت تصرف القائد البريطاني، والا فانها ستخلى بالقوة. وتطرح الاثاث في الشارع. وانه من الافضل لي ترك بغداد والسفر الى تركيا. بعد تقديم طلب بذلك مشفوع بتقرير طبي يؤيد رغبتي هذه بسبب تدهور صحتي! لان (المفتش الانكليزي) المسؤول في حينه، كان لا يسمح بالسفر الى تركيا خشية من سفر العراقيين عبرها الى المانيا.. كل هذه الانذارات والتهديدات كنت اعيشها في الوقت الذي كان فيه (الاطباء) المخلصون ينصحوني بمغادرة العراق والسفر الى الخارج، من اجل الراحة وهدؤ الاعصاب. لان اعصابي قد تحملت اكثر مما تحتمله اعصاب اي انسان اخر! حتى ان طبيبا مخلصا لنا بالذات قد صارحني بأن اعصابي غير قادرة على تحمل مثل هذا العذاب والاضطهاد اكثر من ثلاثة اشهر اخرى. وانه لابد من السفر! وهكذا اقتنعت نفسي بين ضغط الحكومة. ونصيحة الاطباء المخلصين بضرورة السفر! وبدأت افكر جديا في الموضوع. من حيث التأهب وتدبير الاولاد وتصفية بعض المشاكل المنزلية الى غير هذا من الامور الكثيرة.

حلم غريب ورهيب!!

... وذات ليله انهكني التفكير الحاد، وسؤ الاضطهاد، ورقدت على سريري تتقاذفني الاوهام والاحلام، واذا بي ارى في منامي محمودا وفهمي سعيد، وكانهما قادمان سريعا الى، وقبيل ان يصلا الي انحرف – محمود – وسار في طريقه دون ان يكلمني ويسلم علي. وقد كان مرتديا ملابس ضباط (البوليس)، فاستغربت منه هذا الانحراف والصدود عني، وسألت فهمي – عما اذا كان محمود – زعلانا مني، وعن السبب في ارتدائه ملابس (البوليس) فأجابني – فهمي – بقوله.. لاتقلقي وليس هنالك مايقلقك ويزعجك. لان محمودا منهمك ومشغول الان في قضية سفرك الى تركيا، وانه ذاهب الى مكتب (الجوازات) ليهيئ لك الجواز وكذلك للاولاد، ولهذا تشاهدينه بملابس (البوليس) وليس بالملابس العسكرية! فاستيقظت من النوم وما اكاد اصدق انني في حلم! وقد فسرت هذا الحلم الغريب بأنه تشجيع لي على السفر، فبدأت في حزم الامتعة والحقائب، وقصدت دائرة الجوازات توا، وفي خلال مدة وجيزة انتهى كل شئ روتيني وحصلت على الجواز، والفيزة التركية حيث سهلوا اعطاءها لنا بالسرعة الزائدة وقد

بلغني ان السفير التركي في بغداد كان متأثرا جدا بالوضع المؤلم الذي كنا نعاني منه الامرين! وقد عرض علينا كل مساعدة نحتاجها، وانه طلب من سكرتيره الخاص ان ينوب عنه لتوديعنا في المحطة..



مديحة وطارق خلال مرضه



مديحه وعدنان

الفصل الخامس

وداعاً يابغداد الآباء والاجداد.

غادرت بغداد الحبيبة يتحكم فيها عملاء الانكليز في (شباط، سنة ١٩٤٣) بقطار الشرق السريع ولم يخرج أي كان من الأصدقاء والمعارف لتوديعنا خوفاً من رقابة السلطة يومذاك لأن المحطة كانت تعجُّ بالبوليس السري لمراقبة الغادين والرائحين ومراقبتنا بوجه خاص في ذلك المساء! ولم يكن معي سوى شقيقتين وأحد أقارب المرحوم الشهيد زوجي وطارق (ابن زوجي) وسكرتير السفارة التركية، واعتقد أن حضور السكرتير هذا كان من من باب المجاملة والدبلوماسية لخالي الدكتور توفيق رشدي آراس...

انطلق القطار وعند وصولنا الى الحدود العراقية-التركية وفي نقطة (تل كوجك) وهي آخر نقطة عراقية جاء موظف الكمارك ليسأل الركاب عما يحملون معهم وعندما جاء دوري نظر الي وقال..هي أنت!؟ فقلت من أنت؟ وماذا تقصد بقولك هذا؟ وهنا عرفني بنفسه بأنه فلان ابن فلان...فعرفته بعد ذكر اسمه الكامل فقد كان ابن رجل طيب كان جدي-رحمه الله- قد رباه وتبناه! فسألته عما يريد فأجاب لاشيء! وكل ماأريد هو أن أعرف عدد القطع التي معك وان أبوح لك بسر قد لا تعرفينه هو أنك مراقبة في داخل القطار من قبل (سرجنت) انكليزي يقتعد كرسياً في آخر هذا الصف! فكوني على حذر لأنه مكلف ومسؤول عن مراقبة السياسيين العراقيين الذين يسافرون الى تركيا، وقد عرفت هذا السر منه بالذات! وعرفت أنك المراقبة بالذات! فشكرته كثيراً على هذا التنبيه والتحذير وقلت ماتزال الدنيا في خير مادام فيها أمثال هذا من الطيبين الشرفاء.. كان الخادم الذي يرافقني في الدرجة الثالثة وفي صباح اليوم التالي لسفرنا جاء الى يسألني عن حاجاتي واخبرني بأن معه في الدرجة الثالثة شاباً عراقياً اسمه على ما اذكر (صالح...) موسوم بالطيبة وهو الذي قادني اليك وهو الآن واقف في الممر، فانظري اليه انه هو الرجل الطيب الذي صادفته وصادقته!! فتطلعت الى الممر حيث يقف قريباً من مقصورتي وان هندامه وهيأته يدلان على أنه ليس فقيراً حتى يركب في الدرجة الثالثة!! عدا ان أسمه ولقبه من عائلة معروفة في العراق، وان أخاه (مدير التحقيقات الجنائية) في بغداد، فكيف يركب في الدرجة الثالثة! حقاً إنه لأمر يلفت النظر ويثير التساؤل اللهم الا اذا كان ذلك لغرض مقصود بالذات! ورغم تذكري الاية الكريمة (ان بعض الظن إثم) تصورت تماما أن هذا الشاب قد يكون-جاسوساً- وأنه تقصد الركوب في الدرجة الثالثة والتعرف على خادمي الساذج واستدراجه لأخذ بعض المعلومات عني وقد حصل فعلاً بعد أن تصادق، مع خادمي وقاده الى مقصورتي في القطار!!

وصيتي لخادمي «حمودي»!

....ومن ثم قلت لخادمي... اسمع -ياحمودي- وكن على حذر وحيطة من هذا الذي صادقته ومن أمثاله فلقد كفانا مالاقيناه في بغداد من امثال هذا الرجل، ومن البوليس..اسمع ياحمودي! أريدك أن تكون في مثل هذه الحالات «أخرس أطرش» فأنت رجل ولاتحتاج الى من يؤدي لك خدمة من هذا النوع! أنظر الى هذا «الانكليزي»! انه جاء معنا في القطار لكي يراقبنا ويكتب التقارير عنا! هل سمعت؟ فأجابني - الخادم حمودي- والله (ياست) أنا كذلك قد شككت بهذا الرجل منذ البداية، لأنه يركب في الدرجة الثالثة ومظهره يوحي بأنه قادر على الركوب في الدرجة الأولى ولأنه اهتم بأمري وخدمتي أكثر من اللازم عدا الاسئلة التي كان يطرحها علي!!

في الطريق الى تركيا!!

كان الطريق-بقطار الشرق السريع- يستغرق ثلاثة أيام وفي آخر يوم وقبل وصولنا الى (الحدود- التركية العراقية-) جاءني (السرجنت الانكليزي) فحياني على الطريقة العسكرية وقال أرجو معذرتي - يامدام - وأن تقدّري موقفي كموظف يجب ان يقوم بواجباته على الوجه الأكمل وانه ليصعب على أن اقوم بمثل هذا الواجب تجاه سيدة محترمة مثلك ذلك لأني مكلف بتفتيشك تفتيشاً دقيقاً قبل أن يغادر القطار واني سأترك القطار في المحطة القادمة إنني -يامدام- محرج بين الواجب والرجولة فالواجب يأمرني بالتفتيش والرجولة تنهاني عن ذلك فكيف امد يدي ونظري لتفتيش حاجيات سيدة مثلك واني أسف...وقد قرأت على صفحة وجهه وفي عينيه صدق اللهجة وقدرت موقفه في تلك اللحظة فشكرته على هذا الموقف يصدر من أجنبي بالذات وفتحت له جميع الحقائب والأمتعة الخاصة للتفتيش فلم يجد ضالته المنشودة وتحدث فسألته عما يبتغي فقال أفتش عن رسائل واوراق ووثائق فقلت لقد عرفت في شخصك الرجل الذي يوصف (بالجنتلمان) ومن أجل أن ترتاح الى انك أديت واجبك بكل أمانة أقول لك أنني أعرف هذا واقدر الظروف الشاذة التي غادرت فيها العراق وأعلم بأني ساخضع للتفتيش والمراقبة فكيف اقوم بنقل رسائل ووثائق خطيرة!؟ كن واثقاً بأني لا أملك شيئاً من هذا..فشكرني بحرارة وادى لي التحية العسكرية ثانية وخرج بعد أن تمنى لي وللاولاد حظاً سعيداً ورحلة ناجحة وبعد خروجه بدأت اقارن بين معاملة هذا الجندي الأجنبي وهو يفتش حقائبي بكل لطف وأدب واعتذار وبين معاملة بني قومي وجلدتي عندما كنت في بغداد وكلها قسوة وشدة! فلقد قضيت في العراق بعد استشهاد زوجي احد عشر شهراً تحملت فيها من صنوف الاضطهاد والقسوة التي هي فوق طاقة

البشر.. وها أنا بطريقي الى تركيا الى بلد لا اعرفه حتى ولا اعرف من اقاربي احداً هنا لك سوى خالي الدكتور توفيق رشدي أراس عندما زار العراق لأول مرة في عام ١٩٣٦ بصفته وزيراً لوزارة الخارجية التركية وقد كانت تلك الزيارة مع (جلال بايار) وشخص آخر لا أتذكر اسمه إذ حضروا بغداد للتوقيع على اتفاقية (سعد آباد) بين العراق وتركيا...هكذا كنت أفكر وأنا في طريقي الى تركيا فضلاً عن تفكيري في شؤون الأولاد وتدبير معيشتهم وفي حالة نفاذ المبلغ والمصاغ الذي كنت أحمله معي!

وصول القطار الى تركيا.

وفي المساء وعند الساعة الثامنة وقف القطار في محطة كبيرة وانا مازال غارقة في التفكير بعد أن نام الطفلان الحبيبان واذا بصوت «الكوندكتر» يقول.. تفضل -ياسيدي- إنها ها هنا وسمعت طرقاً خفيفاً على الباب ففتحته واذا بي وجهاً لوجه أمام خالي (الدكتور توفيق رشدي أراس) وبرفقته سيد آخر وعندما رأيت -خالي- أخذني في حضنه وصار يقبلني ويبكي ويقول لزميله...أنظر - ياجمال- ماذا فعلوا بابنتي وطفليها!! وقد عرفني خالي بهذا الرجل الجليل، وقال بأنه عضو في المجلس الوطني التركي إنه (جمال بك تونجا) وهو زوج شقيقة الدكتور آراس فتأثر هذا الرجل بالغ التأثر وقبل الطفلين وهما نائمان....وقد سألت - خالي- كيف عرف موعد وصولي الى (انقرة) فأجاب بانه سمع ذلك عن طريق ابن زوجي .(عدنان). وفي اللحظة ذاتها وصل -عدنان- المقصورة في القطار فاستغربت مجيئه كذلك لأن المفروض والمتفق عليه أن يستقبلني في (استانبول)!! فنورني بالأمر وان خاله هو الذي أشار اليه باستقبالي في أنقرة! وللقصة تفصيلات ومفردات لا أرغب في ذكرها لأن الموضوع لا يخرج عن نطاق عائلي وليس له أهمية تأريخية أبداً..والذي حدث بعد هذا أن ذهب كل من «خالي» و «عدنان» الى مكتب «التلغراف» فأبرقا للدكتور (أدهم) بأن يستقبلني في المحطة.

بالاضافة الى هذا فقد اتصل «خالي» آراس تلفونياً باستانبول بأوتيل (توقاتليان) لكي يحجزوا لي غرفتين من احسن الغرف ويرتبوا معاملة اقامتي لدى وزارة الداخلية التركية وينفذوا كل ما احتاجه من خدمات!

استأنفت السفر ووصل القطار محطة (حيدر باشا) التي تقع على «البسفور» فأخذنا الباخرة الخاصة عبر البسفور الى الجهة الثانية منه، ومن هنالك الى الفندق المذكور (توقاتليان)...كما وصل بعد يومين ابن زوجي عدنان» حيث توافد علينا رجالات العرب الذين كانوا متواجدين هنالك وفي طليعتهم الأمير-عادل أرسلان- فرحبوا جميعاً بنا وعرضوا خدماتهم علينا ولن أنسي لطفهم وعطفهم على أولادي ماحييت!!



مديحة في اسطنبول بعد نفيها من العراق

التفتيش عن دار للسكن.

بدأت أفتش عن دار للسكن والاقامة وقد وفقت بعد (١٥) يوماً للعثور على دار مفروشة في شارع (دباس باشا) وهو حي السفارات. وتقع العمارة التي كنت أسكنها مقابل (بارك أوتيل) وهي ذات موقع جيد وجميل وبالقرب من أكبر ميدان معروف في (استانبول) انه (ميدان التقسيم) الذي يتفرع منه شارع (البيك أوغلو)، و(دباس باشا) و(التعليم خانه) وبعد الميدان تقع (حديقة التقسيم) (تقسيم بقجة سي) وهي أضخم حديقة لاقامة الحفلات والمهرجانات والاعياد الوطنية) وكان حظنا كبيراً من هذه الحديقة لأن (حمودي) الخادم كان يأخذ الأطفال يلاعبهم فيها.

حمودي يعود الى بغداد!

وذات يوم عاد -حمودي- والأولاد من الحديقة وأخبرني بأنه رأى فيها نفس الشاب الذي رآه في القطار مابين بغداد وتركيا وهو (صالح ....) الذي جاء ذكره قبل الآن. وكذلك معه شاب آخر هو زميله، وقد دعياه الى القهوة فنصحته بأن يبتعد عنهما لأني أخشى من استدراج حمودي الساذج لحد البلاهة وتلفيق بعض الاخباريات الكاذبة كما كان يلفقها ضدنا الحاسدون في بغداد من اولئك الذين لا يرتاحون لأن يعيش الآخرون في جو من السعادة والطمأنينة والخير!

ولكن - حمودي- الساذج الخادم هذا قد بدا عليه الامتعاض في الأونة الأخيرة كلما نصحته بالابتعاد عن أمثال هؤلاء (المراقبين السريّين)وراح يخرج لوحده دون الأطفال! وذات مرة عاد الى الدار ومعه احد موظفي القنصلية العراقية في -استانبول- وقد فاجأني هذا الموظف بالسؤال عن سبب معارضتي لعودة -حمودي- الى بغداد حيث هناك عائلته وأطفاله فأجبته متى طلب -حمودي-مني العودة ولم أوافق!؟ انه حرّ في العودة أوعدمها ويبدو أن -حمودي- قد اشتاق لأهله فراجع -القنصلية العراقية- ظناً منه بأنها ستقوم بتسفيره على نفقتها مجاناً. وعندما سمع موظف القنصلية كلامي هذا وبخه وهكذا سافر -حمودي- وبقيت والأولاد برعاية (الرب العظيم) الذي لن يتخلى عن عباده وحاشاه..

بقيت وحدي- وحسبي الله ونعم الوكيل والكفيل- فتدهورت صحتي وغالبني الأرق بحيث لم أنم اطلاقاً وظهرت علي اعراض (الغدة الدرقية) وأجريت علي الفحوص الطبية (كونسلتو) من خمسة أطباء قرر أحدهم- وهو أحمد راسم- من اشهر الأطباء الباطنية في (استانبول) أن يعطيني دواء لافتقد الذاكرة طوال (٦) أشهر وهذا هو العلاج المناسب للحالة الصحية التي كنت

أعيشها! ولكن الأطباء الآخرين سألوه عما اذا كان يضمن عودة الذاكرة بعد (٦) اشهر أم لا؟ فأجاب بأن الضمان ٥٠٪ فقط فلم يوافقوا على أن يعطيني ذلك الدواء بل وصفوا لي أدوية أخرى...ومع ذلك فلم تفدني تلك الأدوية ولم أنم !! وقد كان من ضمن علاجات (الغدة الدرقية) هو العلاج بالاشعة فجربت ذلك لخمسة عشر يوماً (الكورس الأول) وحان موعد العلاج الثاني بعد شهر ونصف (وهو الكورس الثاني)...

ومرة أخرجت الأطفال للنزهة خارج البيت وأنا أتكلف وأتحامل على نفسي. وما ان أدركت الشارع حتى أحسست بظاهرة غريبة وهي هطول الدموع من عيني غزاراً ومدراراً وبشكل لا ينقطع حتى أن الأطفال شعروا بذلك وأخذت أستعمل النظارات السود لكيلا يشعر الناس كذلك بذلك ! ولدى مراجعة الطبيب المختص بهت من هذه الظاهرة وراح يداعبني بالقول...لو أن (نوري السعيد) رأك على هذه الصورة لأطمأن ولما عاد يخاف منك لأنه يعهدك قوية عصية الدمع فلماذا تبكين!؟ فأجبته بأني لا أعرف السبب لهذه الظاهرة التي تعيشها عيناي منذ أمس ولا علاقة لتذكري بنوري السعيد وتلك الظروف القاسية الشظفة التي لم تزدني الا صلابة وايمانا...وبعد فقد عولجت وعدت الى البيت ودموعي في حالة هطول ونزول في الليل والنهار وأستمرار طوال عشرين يوماً!! بعدها غلبني النعاس ونمت باعجوبة ساعتين كاملتين! فسرّ الطبيب كثيراً بذلك وصرت انام بضع ساعات لا تتعدى الثلاث يومياً وكانت بداية النهاية لتلك الظاهرة غير الطبيعية والاعتيادية!.

خادمة جديدة

توفقت في البحث – عن – خادمة – جديدة طيبة تقوم بجميع اعمال وشؤون البيت ، والخروج مع الاولاد للتفسح والنزهة فازداد تعلق الاولاد وحبّهم اياها ، ومع الايام تعلموا التكلم باللغة التركية منها حتى انهم اتقنوا هذه اللغة تماما ، فسرت – الخادمة – بذلك ، وصارت تتفاهم معهم بالتركية .. وكان منهاجي اليومي الذهاب للطبيب والصيدلية .. واحيانا اذهب مع احدى قريباتي بعد الحاحها علي الى دارها مع الاولاد لاقضي ساعات من اليوم معها ومع والدتها السيدة الكريمة .. وكانت تمتلك قصرا جميلاًعلى البوغاز – ورثته عن ابيها ، وهو احد الباشوات العسكريين المرموقين القدامى ، بالاضافة الى كونها فتاة مثقفة عالية ، وحائزة على شهادة – الدكتوراه – في علم الاقتصاد من سويسرا ومديرة بنك الاشغال في – استانبول – ... فكانت بعد الدوام تأتينا الى البيت وتأخذنا الى بيتها هذا ذى الموقع الرائع الجميل ! .كانت تحد السعادة

والسرور في احد الايام الى النزهة وتركبهم في قارب تملكه هي فتجدف بنفسها وتجلس الاطفال امامها ، واحيانا تحملهم بيديها ، وتسحبهم إلى البحر ، فكانوا ينبسطون حقا بهذه النزهة الحلوة على البحر وفي الهواء الطلق ... اما الام السيدة الجليلة فكنت اجالسها ساعات ، وكانت تحدثني عن امي وجدتي وجدي منذ عشرات السنوات . وذلك عندما كان جدي ووالدتي في تركيا مع جدتي ووالدتي ، وكانت تبلغ الثامنة حينذاك ، اي ان اميهما كانتا اختين ...

لقد مضى علينا ثمانية اشهر ونحن في (استانبول) ، وحل فصل الربيع ، ففصل الصيف ، ففصل الخريف الان ، حيث داهمنا البرد الباكر ، الذي يتحول في كل يوم الى برد قارس كما هو المعروف عن شتاء تركيا .... وفي تلك الايام قد انتهى عقد الايجار ، وكان لابد ان اخليها لان - صاحبتها - ترغب السكن فيها ، فاهتديت الى دار جديدة بالقرب منها ، واستأجرتها لمدة ستة اشهر بدلا من ثلاثة اشهر في تلك الظروف الشحيحة ، التي تتطلب المصروفات الكثيرة بسبب الغلاء ، فكان الله في عوني ! وكان ايماني العميق بأن الله لن يتخلى ابدا عن عباده ، وانه سيرعاني وينتقم من اعدائي !

مع مدير الامن العام

انتقلت الى الدار الجديدة ولما يمض على استقرارنا فيها خمسة عشر يوما ، واذا بجرس الباب يدق ، واذا برجل البوليس يحييني ، ويدعوني لمقابلة مدير الامن العام ، في اية ساعة كانت في هذا اليوم ، وإن في امكاني الذهاب وحدي الى المقر العام ...

وهكذا كان فقد طلبت من الخادمة ان تستأجر - تاكسي - اوصلني الى مدير الأمن العام الذي نهض وحياني ورحب بي كثيرا وقدم لي كرسيا للجلوس بيده . ومن ثم ابتدرني بالسؤال عن قرابتي مع «الدكتور توفيق رشدي آراس» الذي هو خالي وأضاف يقول بأن الدكتور اراس قد سافر الى بيروت في هذه الايام ليرى ابنته هنالك ، حيث كان زوجها يعمل مستشارا في السفارة التركية ببيروت .. وعندما سألته عن السبب في استدعائي الى هنا ، اجاب بأنه يؤسفه ان يخبرني بضرورة مغادرة البلاد التركية خلال عشرة ايام ، وانه مرغم على هذا ، لان تركيا تقف في موقف الحياد بين الفريقين المتحاربين ، الحلفاء من جهة ودول المحور من الجهة الاخرى ، وان وجودي في تركيا سيخل بمبدأ الحياد الذي التزمنا به في اثناء هذه الحرب الطاحنة .. وقال ، اننا نطلب منك هذا بكل اسف ، ونعلم بأنك تمتين ، الينا بنسب من ناحية الام ! ! ولكن ماالعمل وهذا هو الواقع الذي تعرفين . الا لعنة الله على الظروف الشاذة هذه ! ! واعلمي كذلك ان هنالك ضغطا علي بسرعة اخراجك من البلاد ، ولااستطيع ان اصرح لك بأكثر من هذا ! !

قلت له لاتثريب عليك وقد تعودت خلال هذه الاعوام العجاف العجاب على النكبات تلو النكبات . ولكنكم بهذا الانذار المباغت المفاجيء ، ستجنون على اطفالي الصغار ، حيث اني سأضطر للسفر الى المانيا ، فليس لي من خيار غير هذا الطريق ، وعندما اقول هذا ، اعتقد انك تتفهم هذا مثلي ، اي انني سابارح تركيا الى جهنم ! ! وقد يكون هنالك - في المانيا - نهاية البداية لي ولاطفالي ، فيستريح نوري السعيد بعد موتي واطفالي ! ! ان هاجسا يحدثني بأن (السعيد الباشا) هو الذي طلب منكم هذا عندما عرف ، اني لم اسافر الى المانيا ، وقد وجه لي انذارا في الصحف المحلية لكي اعود الى العراق ، وتجري محاكمتي دون ان توجه الى اية تهمة كانت ولهذا فقد طلب (السعيد) اخراجي من بلادكم ظانا انني سأعود للعراق ، ويبدأ تعذيبي من جديد ، حتى لكأنه لم يكتف بما لحقني في الماضي من تعذيب وتنكيل ! وهنا بدأت على سحنة الرجل ، مدير ، الامن العام ، امارات التأثر البالغ . وقال . بأن هنالك عظيم هو (الله) اقوى من الجميع . فقلت .. نعم .. هو الله وسترى الظالمين اي منقلب ينقلبون ! ! والححت عليه بمعرفة السبب الذي دعاه الى استدعائي ، ان كان هنالك سبب غير ما اقول .. فقال .. ليس لدي اكثر من هذا ، ولتعلمي كذلك بأن خط سيرك وسيرتك ، طوال مكوثك في - تركيا - كان مستقيما من الطبيب الى الصيدلية فالعودة الى البيت ، وليس هنالك شيئ ضدك ابدا من ناحيتنا . فكوني على ثقة ، وكوني مرتاحة ولاتقلقي ....

استعدادي لمغادرة تركيا..

خرجت من لدن المدير العام للأمن وبدأت بمعاملة (الباسبورث) في اليوم الآتي والحصول على «فيزة» الدخول الى المانيا وتأشيرة الخروج... وعندما قابلت القنصل العام في القنصلية الألمانية لغرض الحصول على «الفيزة» نهض من كرسيه وحياني ورحب بي وقال لماذا لم تزوري القنصلية قبل الآن؟ فلقد بلغني نبأ قدومك الى (استانبول) وكنا على استعداد لأن نضع أنفسنا في خدمتك...فشكرته على هذا التلطيف والمجاملة وشرحت له موقفي مع مدير الأمن العام الذي أنذرني بالمغادرة خلال مدة اقصاها عشرة أيام وأنا الآن أحتاج الى فيزة الدخول الى بلادكم.. فقال ...مرحباً بك في بلادنا وأسمحي لي أن أعرفك بصديقي الدكتور ليفركن وتركني وخرج فعاد بعد لحظة وبصحبته رجل آخر قدمه لي بصفته المستشار العسكري الألماني في تركيا.. وكان الرجلان يتحدثان بالانكليزية وقد رحّبابي كثيراً.

لوحة تأريخية تستحق التعليق والتحقيق!!
ماذا قال الدكتور ليفركون المستشار العسكري
الألماني في تركيا لصاحبة المذكرات!؟

قال الدكتور (ليفركون)... إنني في غاية الأسف لما حصل لكم في العراق على يد نوري السعيد. فقد كنا نود أن نعمل شيئاً لكم قبل ذلك وقبل أن نصل الى هذه الحالة! وعندما كان زوجك ورفاقه في ايران وقبل بدء الاحتلال الانكليزي- الروسي لها كنا سنبعث بطائرة وبجوازات سفر لهم ونخلصهم من ايران... ولكننا عندما أخبرنا السيد رشيد عالي الكيلاني بهذا التدبير أثناء وجوده في تركيا قال لنا... لا تفعلوا ذلك لأن وجود القادة العراقيين (يقصد زوجي ورفاقه) في ايران وفي مثل هذه الظروف مفيد جداً لأن الايرانيين سيستعينون بهم في قيادة جيوشهم ضد الانكليز والروس وستدور المعارك هنالك وتكسبون الوقت لعمل شيءٍ ما في ايران... وهكذا صدقنا كلامه وأخذنا برأيه هذا وتصورنا أنه متفق معهم ومع الأيرانيين على مثل هذا!! ولكني مع الأسف أعترف الآن باننا -نحن الالمان- كنا مغفلين من هذه الناحية!! واستطرد في الحديث يقول.. والآن أود أن أسألك عما اذا كان قد وصلتك دراهم الى بغداد وكذلك الى بقية عوائل الشهداء؟ فأجبته ممن تصلنا هذه الدراهم و بوساطة من !؟ فقال بوساطة رشيد عالي الكيلاني... فأكدت له أن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث وأن دراهم لم تصل الى أيّ فرد كان وأية عائلة كانت... لقد كنا ننتظر كلمة عزاء فلم نسمعها!! لقد مضى علي ثمانية أشهر وأنا هنا ولم تصلني منه ولو كلمة عزاء ومؤاساة لي ولأطفالي!! لقد بخل حتى بكلمة عزاء فكيف يبعث لنا بالنقود منه أو من غيره!؟ أجاب الدكتور (ليفركون). ان النقود ليست منه وانما أعطيناه كمية كبيرة وطلبنا منه إيصالها إليكم... وهذا هو ماأسأل عنه فقلت له.. أقسم بروح زوجي الطاهرة على أنني بالذات.. كما أقسم عن زوجات الشهداء لأنني أدرى من غيري بأحوالهن بأننا لم نستلم مطلقاً من أية يد كانت أي مبلغ من المال... وقد عشت بدوري طوال مدة اقامتي في (استانبول) على ماأحضرته معي من مالي الخاص.

وهنا شعرت بأن الرجل قد بلغ به التأثر حداً وقال أنت يامدام تعلمين جيداً بأن القطارات كلها -عبر أوربا- تعمل من أجل الحرب والمجهود العسكري ومع ذلك فاننا سندبر لك وللاولاد محلات في السرعة المستطاعة حيث أنك لا تستطيعين السفر الا عن هذا الطريق ذلك لأن الطريق الجوي محفوف بالخطر! والقطارات في الوقت الحاضر أقل خطراً ونحن مستعدون لكل خدمات أخرى تطلبينها... وقد شكرته على هذا الاهتمام البالغ لي وأكدت له على أني لست بحاجة ملحة الى أي شيء آخر وودعته وانصرفت وفي الدار وطوال الطريق جعلت أفكر في تفاصيل

هذا اللقاء مع الألماني وبخاصة بما أفصح عنه من المساعدات المالية التي أرسلت الينا عن طريق الكيلاني –ولم تصل. وقد حصلت عندي القناعة التامة بأن الرجل الألماني صادق في ماقاله وصرت أربط حلقات الأحداث بعضها بالأخرى... فقد كان زوجي وفهمي اسعيد قد أخبراني بأن الكيلاني – فضل أن يحصل على «الفيزة» التركية ويسافر وحده وقبلها وذلك تحسباً من أن القنصلية التركية قد تمتنع عن منحهم «الفيزة» فيما لو طلبوا كلهم منها ذلك مرة واحدة! ! كما أنه سيحصل لهم على «الفيزة» المطلوبة من وزارة الخارجية التركية حال وصوله الى تركيا بيد أنه تقاعس في هذا واكتفى بعد احتلال ايران من قبل الأنكليز والروس بارسال برقية يستطيع أن يحصل لهم الموافقة على «فيزة» الدخول الى تركيا! وبعد وصول البرقية الينا بيوم واحد سمعنا من خلال الاذاعات بأن –الكيلاني– قد وصل الى برلين أي أن برقيته الينا كانت متأخرة جداً عن أوانها وبعد أن قطعت سبل السفر عن ايران منها واليها بسبب احتلال –الحلفاء– لها. وقد تساءلت بدوري ترى لماذا تلكأ –الكيلاني– في هذا ؟؟ وربطت هذا التلكؤ بالحديث الذي دار بيني وبين الملحق العسكري الألماني في استانبول وخرجت من كل هذا بنتيجةٍ واحدة هامة.. هي أن –الكيلاني– كان يريد التخلص منهم ليخلو له الجو وحده في المانيا! ! وتراجعت –وبعض الظنّ اثم –فقلت ربما أكون مخطئة في مثل هذا التصور وان الأيام وحدها ستكشف الأمور والمواقف على حقيقتها وان التأريخ الحقيقي هو الذي سيقول كلمة الفصل والحق والصراع بين القادة والزعماء..

محمد سلمان شقيق زوجي في المانيا..

لقد كان شقيق زوجي «السيد محمد سلمان» في المانيا يومذاك وكما ذكرت في فصل سابق... ولدى وصولي الى تركيا بعثت له برسالة أخبره فيها عن وجودي في –استانبول مع الأولاد ولكني لم أتلق منه الجواب وبعثت له برسالة أخرى فكان نصيبها كنصيب سابقاتها وهو عدم الرد عليها! ! الأمر الذي أقلقني كثيراً... وبعد ثلاثة أشهر وصلتني رسالة من الطيار ابراهيم جواد– وهو زوج شقيقة محمد– يخبرني فيها عن وصول رسالتين مني الى –محمد وأنه بعث لي بالرد والجواب! ويقول في تلك الرسالة أن «محمداً» ليست صحته على مايرام لأنه ابتلى بمرض «اليرقان» وهو مانعبر عنه (ابو صفار) باللغة الدارجة العامية وقد أصيب بهذا المرض واثر سماعه بنبأ اعدام شقيقه الشهيد محمود سلمان في بغداد... وقد استغربت كثيراً من وصول رسائل الطيار ابراهيم جواد وعدم وصول رسائل محمد سلمان! !

انشقاق العراقيين المتواجدين
في المانيا الى فريقين!!

سمعت وأنا في -تركيا- وبكل أسف ان العراقيين المتواجدين في ألمانيا قد انشقوا الى معسكرين أو فريقين «فريق رشيد عالي الكيلاني» مقابل فريق المفتي الحاج أمين الحسيني! وان «مفتي» فلسطين هذا اكثر حظوةً من -الكيلاني- لدى الحكومة الألمانية وأنه حتى رسائل العراقيين التي لا ترسل عن - طريق المفتي- قد يكون وصولها غير مضمون! وقد يكون هذا هو السبب في عدم وصول رسائل «محمد سلمان» الي من تركيا!!

سفري الى المانيا.

...وفي اليوم التالي وحسب الوعد الذي قطعه القنصل الألماني في تركيا على نفسه وصلتني تذاكر السفر والجوازات وحزمت أمتعتي وأصبحت على أهبة السفر.. ومن غرائب الصدف ان عائلة الشريف شرف كانت قد وصلت -استانبول- في تلك الأيام وكانوا يسكنون في (الأوتيل) وعدد العائلة كبير وظروفهم المعاشية قاسية جداً... والشريف شرف -كما هو معروف- الوصي الجديد على عرش العراق بعدما هرب «الوصي الأول عبدالاله واحتمى لدى الأنكليز... وحيث أن الشقة التي كنت أسكنها ماتزال تحت تصرفي لمدة خمسة أشهر قادمة فقد عرضت عليهم السكنى في شقتي خلال هذه المدة المتبقية بموجب عقد الايجار فشكروني على هذا العرض شكراً جزيلاً وأجبتهم بأن لا شكر على واجب.. وهذه من الصور التاريخية التي لا تنسى... وصي على عرش العراق... في ظروف ثورية... وخلال حركة وطنية يغادر الى خارج العراق مع عائلته الضخمة وهو لا يملك شروى نقير ولا يستطيع أن يدبر مصروفاته العائلية وايجار شقة أو أوتيل! فأين هذه الصورة من صور أولئكم النفر الضال السائر بركاب العمالة وخدمة الأجانب وقد انتفخت جيوبهم بالسحت الحرام الذي سرقوه من ثروات الشعب!!

وفي المساء غادر القطار استانبول الى بلغاريا فجاءني موظف مسؤول في القطار ورجاني أن أسدل ستائر المقصورة حيث كنا نسير عبر مناطق عسكرية لا يجوز التطلع اليها بأية حال!! وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعت طرقاً خفيفاً على باب المقصورة فصحوت لأرى من الطارق واذا بمسؤول القطار نفسه ينذرني بأن استعد للنزول من القطار فوراً لأن السكة الحديد قد نسفت قبل وصولنا من قبل الثوار وعلى الجميع أن يتجشموا مشقة المشي على الأقدام مسافة

خمسة كيلومترات للحاق بقطار آخر في إنتظارنا!! فاستعجلت الأمر وحملت «معد» على كتفي وأخذت بيد «المغيرة» الذي مايزال النوم في جفنيه ووفقت الى حمال للحقائب، وسرنا في ظلام دامس وعلى طريق وعر تارةً نصطدم بالأحجار والركام وأخرى نتدحرج الى بعض الحفر والهاويات! وما أن صرخت من التعب والهول والأنجراف الى الهاوية أطلب النجدة فاذا بالله العظيم يهيئ لي من يساعدني وينقذني من سوء الحال فينيرُ أمامنا الطريق ويحمل الصغير فنواصل السير الى حيث القطار الثاني بعد شق الأنفس! وفي القطار كذلك لم أجد المحل المناسب لأن الذين وصلوا قبلنا كانوا احتلوا جميع المقاعد الشاغرة. كما اني قد أضعت واحدة من الحقائب وهي الحقيبة التي تحتوي على ملابس الأطفال فيالها من مشكلة لأن من الصعوبة بمكان أن تبتاعَ من ألمانيا هذه الملابس لأن جميع المصانع تعمل من أجل الحرب... وبعد جهدٍ واجهاد ومساعدة بعض الألمان الذي يتكلمون الانكليزية عثرنا على الحقيبة فأتخذنا منها أريكة للجلوس عليها... وبعد هذا ساعدنا هذا الألماني كذلك بايجاد محل آخر في إحدى المقصورات التي كانت غاصة بغيرنا من الركاب وكان هذا حالنا لحين وصولنا الى صوفيا عاصمة بلغاريا..

وفي المحطة ذاتها سألت عن موعد السفر الى برلين وعن القطار الخاص الذي ينقلنا الى هناك فأجابني أحد الضباط الألمان بأن محلات شاغرة في كل القطارات الذاهبة الى برلين غير متوفرة في هذه الأيام وان من الأفضل ان تذهبي الى أحد (الأوتيلات) وتنتظري الى أن نجد لك المحل المطلوب! وعندما شرحت الوضع العائلي مع الأولاد وصعوبة الانتظار أثرت في نفسه الشعور بالمساعدة فرجاني أن أستريح والأولاد في الغرفة وبدأ اتصالاته التلفونية بالألمانية التي لا أعرف منها حرفاً واحداً! وعندما أدرك المساء ولم يجد لنا المحل المطلوب للسفر أحضر لنا «حمالاً» لحمل الحقائب وأوصاه بأن يوصلنا بالتاكسي الى أحد (الأوتيلات) في المدينة بعد أن أعطاه العنوان وأفهمني -عن طريق الاشارات- بأنه سيتصل بي غداً أحد الموظفين بعد تأمين المحل واتخاذ إجراءات السفر اللازمة. وهكذا أوصلني الى أوتيل كبير إسمه (سلا فينسكا بسيدا) حيث قضينا فيه ليلتنا وأنا أضرب أخماساً بأسداس وأتساءل مع نفسي.. من أين سأدفع أجور هذا الاوتيل؟ وهل حقاً أن ذاك الموظف الألماني الذي حاول مساعدتي آنياً ولم يستطع سيتصل بي غداً أم لا؟! وإذا ماتأخرت هنا بضعة أيام فما عساني أن أفعل؟

مسافران إثنان كانا في نفس القطار

وفي نفس القطار الذي أقلّني الى -صوفيا- كان معي مسافران عربيان هما إسحق درويش الذي يمت بصلة القربى الى (مفتي فلسطين) الحاج أمين الحسيني والسيد ظافر الرفاعي وهو من

رجالات سوريا المعروفين.. وقد تفضلا فزاراني وأخبراني بأن الألمان سيدفعون بدورهم مصروفات الاقامة والخدمة في الأوتيل الذي نحل فيه وكذلك مصروفاتهما هما وهما ينزلان في أوتيل مجاور لأوتيلنا.. كما أخبراني بأن هنالك بعض الاخوان العرب الذين يرغبون في زيارتي -هنا- في الأوتيل للسلام علي والتعرف وتوجيه الدعوة على مائدة العشاء لأن سفرنا سيتأخر اليوم وغداً ولحين تهيئة محلات لنا في القطار وقد نسافر دفعة بعد أخرى...

سيدان عربيان يزوراني في الاوتيل

....زارني في (الأوتيل) سيدان عربيان هما محي الدين الطويل و«كامل مروة» اللذان يقيمان في (صوفيا) وقد زاراني لتوجيه الدعوة مع بعض الاخوان العرب لحضور حفلة العشاء والدعوة التي تقام في دار محي الدين الطويل وفي ذلك اليوم -بالذات- جاءني شخص عربي عرفني بنفسه وأسمه (صلاح...) فأنبأني بأن «محمداً» شقيق زوجي الشهيد قد كلمه بالتلفون أمس وأخبره بحضوري ووجودي -هنا- في الأوتيل وأن القنصلية الألمانية في -تركيا- هي التي أخبرته. بمكاني في الأوتيل وأن محمد سيحضر الى «صوفيا» لمرافقتي في السفر الى ألمانيا.. ولكن «صلاح..» هذا قال «لمحمد» إذا أحببت فلا أرى حاجة بتكليف نفسك بالمجئ الى -صوفيا- وإني مستعد لأكون في خدمتها من صوفيا الى -برلين- وتغطية حاجاتها المادية.. وها أنا -ياسيدتي- تحت أمرك فما هي حاجتك وحاجة الأولاد الآن فشكرته جداً وأكدت له عدم حاجتي الى أي شئ!! ويشهد الله كم كنت بحاجة ملحة لشراء ملابس ثقيلة للأطفال في ذلك الجو القارس الذي لا يطاق وفي تلك الحالة النفسية التي يعيشها الغريب أي غريب في غير بلاده! كنت في أشد الحاجة ولكني لم أتعود أن أسأل أحداً من الناس على مد يد المعونة الي مهما كانت الظروف والصعاب وقد أكدت ثانية عدم حاجتي للسيد صلاح وشكرته ثانية وثالثة وأنصرف ولقد مر اسبوع كامل ولم نتلق أي خبر عن موعد السفر بسبب الحالة الحربية القاهرة...

غارة جوية على صوفيا!!

وفي مساء اليوم التاسع- ونحن- في الأوتيل- والأولاد معي فوجئنا بإنطفاء الأنوار وسمعنا صفارات الأنذار لأول مرة بغارة جوية فارتعب الأطفال ولاذوا بي وأمسكوا بتلابيبي فوضعت معد والمغيرة في حجرتي ورحت أقص عليهما القصص الحلوة علي أخفف من شعورهما بالخوف والرعب فنام الصغير وبقي الكبير وهو في حالة فزع واضطراب.. وبعد ساعة واحدة اطلقت

الصفارات بانتهاء الغارة وأعيدت الأضواء ولم نسمع أزيز قنابل او صواريخ بالمرة!! ويبدو -كما قالوا لنا بعد هذا- إنها كانت غارة استكشاف واستطلاع ومع ذلك فقد أخذت نصيبها الوافر من هدوء الأولاد وأمهم وأضافت لونا جديدا الى ألوان العذاب والخوف الأخرى!

وفي الصباح الباكر أخبرونا بأننا سنسافر هذا المساء وأن الحضور سيكون في محطة القطار في الساعة الثامنة فحمدت الله على ذلك وهيأنا الحقائب ووصل الأخ -صلاح- مشكوراً في الساعة السابعة والنصف من مساء ذلك اليوم. وهكذا أستأنفنا السفر وكانت مقصورتي محجوزة وكذلك ثلاث مقصورات أخر واحدة للسيد اسحق درويش وثانية للسيد ظافر الرفاعي وثالثة للسيد صلاح.. وكانت المقصورات الأربع بعضها بجانب البعض الآخر...

في الساعة الثامنة والنصف تحرك القطار وقد صدرت الأوامر كذلك باسدال الستائر على المقصورات لكيلا نتعرف على المناطق والحشود العسكرية التي نمر بها!! وماهي الا أن نصل (بلغراد) ونقضي فيها عدة ساعات ونتناول الغذاء في احد مطاعمها وماهي كذلك الا أن نستأنف السفر في عصر ذلك اليوم... لقد استغرقت رحلتنا هذه ثلاثة أيام مررنا خلالها ببراغ وفينا فبرلين التي وصلناها صباح اليوم الثالث...وفي المحطة كان الكثيرون من الاخوان المتواجدين في برلين قد جاؤا اليها لا ليحيوني بالذات بل ليحيوا بطولات زوجي ورفاقه الشهداء في شخصي لقد جاؤا ليعبروا عن شعورهم العربي الفياض الصادق تجاه اخوان لهم في الجهاد هم قافلة الشهداء الأحرار الأولى على طريق النضال الطويل أولئكم الذين ثاروا ضد المحتل الغاصب للدفاع المقدس عن العراق الأبي والوطن العربي الكبير. وقد كان على رأس هؤلاء المستقبلين أخي محمد وأشدد على كلمة «أخي» لأنه أشعرني خلال أعوام طوال مريرة بمعاني الأخوة والوفاء والاخلاص....إنه أخي ...تماماً كما هو أخ «محمود» الحبيب الشهيد...

في طريقي الى برلين!!

.... اود ان اقف بالقراء هنا بضع دقائق لاسرد لهم مافاتني ذكره وانا في طريقي الى - برلين - فلقد سألني ابني الاكبر «المغيرة» ولما يتجاوز عمره الخامسة والنصف انذاك... سألني.. الى اين نحن ذاهبون!؟ ان هذا السؤال الذي يطرحه علي طفلي الصغير، اثار في نفسي شجوني من جديد، وانبهني الى شئ او جواب غريب... فلم لا يكون الجواب بأننا ذاهبون لرؤية ابيك او «بابا»؟ ولماذا يحرم اولادي من لفظة «بابا» التي حرمت منها بدوري منذ طفولتي!؟ هل في ذلك بأس اذا مانادوا عمهم بكلمة «بابا» وانهما مايزالان طفلين يافعين، والطفولة واليفاعة قد تبرران هذا الجواب.. اذن، فأقول لهما بأن «محمد» هو ابوهما.. هو «بابا»، لثقتي الوطيدة بأن

حب محمد لاخيه محمود سينتقل بحكم المحبة والتجاوب الى أولاده وأولادي معا، وسيكون لهما نعم الاب الروحي بعد ابيهما الحقيقي! ولكن كيف سأتحمّل انا (بابا) عندما يناديان بها - محمدًا - وانا الذي اعلم بأن اباهما في عالم الخلود والشهادة...؟؟

هكذا كان الالم والذكرى يعتصران قلبي وروحي، في تلك اللحظات. ولكأني لم اعد اعرف الحياة من دون ماالم ومرارة ومعاناة... فلقد استعرضت الواح حياتي. وتساءلت.. متى عشت من دون ما الم ومرض.. فتلك والدتي قد اصيبت بالشلل الذي اقعدها عن الحركة سبع سنوات عجافا!! وتلك ايام اليتم والحرمان من والدي الشهيد، ومن لفظة «بابا» وها انا اعيش الالام الجديدة التي تنقض الظهور، وتكسر الخواطر!! وها انا اخاف الان من هذا الالم الجديد. عندما سيقول اطفالي «بابا» فاتذكر - محمودي - وسيف هيبتي وسطوتي. وفارس الميدان الذي صارع الاحداث فصرعها، ولكن الجبناء الرعاديد اسلموه الى اعواد المشانق! وهكذا قررت ان اقول للصبي السائل «الى اين ذاهبون» بأننا ذاهبون الى «بابا»!! رغم أني لم اعلم اولادي على الكذب بأية حال. وان ما قررته الان هو كذبة بيضاء لغرض نبيل..

قلت لولدي «المغيرة» السائل.. اننا ذاهبون الى المانيا لرؤية - بابا - الا تشتاق لرؤيته..؟ فأجاب بحرارة ولهفة اريد ذلك. ولكن كيف نراه وقد تركناه «محبوس» في بغداد! هل خرج من السجن وكيف والاسلاك الشائكة والرشاشات الكبيرة والعساكر التي رأيناها تحيط بالسجن من كل جانب!؟ وهنا اسقط في يدي ولم يخطر ببالي هذا السؤال الكبير من صبي صغير... انقذني - يالهي - من الم الورطة مع حشاشة كبدي هذا... ولم ار بدا من ان اعمد الى كذبة ثانية، فقلت له.. ان «بابا» المسجون استطاع الهروب وقد تنكر بزي اخر وشكل اخر غير الشكل الذي تعرفه انت... قلت هذا لاعتقادي بأنه عندما سيرى عمه «محمد» سيدرك حالا، انه ليس اباه. لانه يتذكره جيدا! سألني ثانية. ولكن «بابا» اذا كان قد غير شكله فكيف سأعرفه عندما اراه. فأجبته بأني سوف ادلك عليه انا، وهنا سكت دون تعليق ولكني قرأت في عينيه الشك في كلامي والحيرة من الموقف!! اما «معد» الذي كان لم يتجاوز العشرين شهرا من عمره، فقد كان اصغر من ان يتفهم هذا الحوار الذي دار بين امه و «اخيه» الكبير ذلكم، هو الحديث او الحوار الذي كان يجري. مادام القطار يجري.. ولدى وصولنا - برلين - صعد «محمد» الينا واخذ الصغير بذراعيه وقبل المغيرة. وهو يحبس دموعه وعبراته. وقلت بدوري «هذا ابوك» «هذا بابا» يامغيرة! ولم اتمالك نفسي. بل تفجرت دموعي وانا اقول هذا! ولكن «المغيرة» قال.. لا... هذا «ليس بابا»... هذا عمو (محمد)!! الذي اعرفه من صورته التي كانت الى جانب سرير (بابا) وكان «بابا» يقول لي.. هذه صورة عمو محمد!! فيالمصيبتي. فلقد انكشفت كذبتي ولن تنطلي على المغيرة حياتي فقلت له... الم اقل لك بأن «بابا» قد غير شكله وزيّه وهرب من السجن!؟ فقال (ياماما) اذا كان هذا «بابا» فأين هو عمو محمد...!؟ اجبته بأن عمه محمد مايزال يدرس

في الجامعة في لندن. فنظر الي نظرة استفهام واستغراب وقال، كما تقولين - ياماما - انه بابا!!
وقد سألني محمد - عما يدور بيني وبين المغيرة من اسئلة واجوبة، فأجبته بأني سأخبره عن هذا الامر بعدئذ..

سلمنا - كما ذكرت - على المستقبلين لنا من اخواننا العرب وكلهم يقدم لي المواساة والعزاء بمصيبتي ومصيبة البلد المنكوب، وتحركنا الى اوتيل (ايدن) حيث حجزوا لي هنالك، وفي غفلة خاطفة من انتباه الاولاد افهمت «محمد» بقضيتي مع «المغيرة» ورجوته بأنه يؤيد كلامي...

وفود العرب تزورني

بدأت وفود الاخوان العرب تتقاطر الى الاوتيل لزيارتي وتقديم التعازي ولمدة ثلاثة ايام، لم اغادر فيها الاوتيل ولم اخرج الاولاد للنزهة في الهواء الطلق... وبعد ثلاثة ايام من وصولي زارني (رشيد عالي الكيلاني) واخوه -كامل الكيلاني - وصهره - جزمي سليمان - ليسلموا علي ويتقدموا بمراسم العزاء التقليدية... وبعد انصرافهم خرجنا مع الاولاد الى حيث كان يسكن - محمد - في شقة يشاركه فيها السيد حكمت سامي سليمان... وقد تناولنا الطعام فيها... وما حانت الساعة السابعة والنصف مساء حتى صرخت في اذاننا صفارات الانذار تعلن عن غارة جوية، فانقطعنا عن الطعام ونزلنا الى مخبأ الدار في الطابق الارضي، فكانت هذه اول غارة نشاهد في برلين - وكأنها - غارة استقبال - لنا اذ ان وفود الزائرين ماتزال تزورنا وتتقاطر الينا من كل الاخوان العرب... كانت القنابل الصارخة تدوي وتنهمر كالمطر، وكان الاولاد، اشبه مايكونون بالمصعوقين، فوضعت الاثنين في حضني، وجعلت من جسمي غطاء وواقيا لهما، في ذلك المخبأ الذي نكن فيه، ونتصور اهوال الحرب على المحاربين والمدنيين على السواء..

اعلنت صفارات الانذار بانتهاء الغارة الجوية واعلان الامان، فانطلقنا من المخبأ الرهيب حوالي الساعة العاشرة!! اي ان الغارة استمرت ساعتين ونصف الساعة. وبسبب انقطاع المواصلات بعد الساعة العاشرة، فقد اضطررنا على المبيت في «شقة» محمد، بعد ان تفضل «حكمت» فاخلى غرفته لنا، ونام هو في الصالون.. وفي الصباح رن جرس التلفون، واذا بمتكلم من وزارة الخارجية الالمانية يسأل «محمد» عن الوقت الذي اعينه للانتقال الى البيت الذي اعدّوه وهيؤه لسكناي في برلين - حيث انه كان جاهزاً وفي انتظاري.. فاتفقنا على الموعد من خلال المخابرة التلفونية، وتوا جاءت سيارة من وزارة الخارجية يرافقها احد موظفي الوزارة، وهو المكلف بادارة شؤون اللاجئين السياسيين العرب وتأمين راحتهم، وقد ذهبنا معه الى (الاوتيل)

لنقل امتعتنا الى البيت الجديد المخصص لسكناي، فوجدت فيه مربية خاصة للأطفال مع خادمة وطباخة.. كما ان الدار تقع في حي جميل ساحر اسمه (جرونة فالد) ومعناها (الغابة الخضراء)، لان جميع الدور التي تقع في ذلك الحي الرائع كانت تتألف من (فيللات) تسوّرها الحدائق، وغاية في الروعة والاناقة بل فتنة للناظرين!! وان البيت المخصص لي كان يتألف من ثلاثة طوابق ومن حوله سور «حدائقي» اخضر ومؤثث بأروع مايمكن من الاثاث والرياش الفاخرة الثمينة في قياس ذلك الزمن وفي المانيا بالذات حمدت الله كثيرا وسبحته بكرة واصيلا، وهو ارحم الراحمين، وادعوه ابدا ودائما ان يحفظ اولادي، ويجنبهم خطر الغارات الجوية التي كانت تتلاحق وتتسابق على – برلين – في مساء كل يوم تقريبا، فتضطرنا على النزول الى المخبأ في الطابق الارضي، ذي المنفذ الضيق الى الحديقة الغناء!

كان طفلي «معد» لايفقه شيئا لانه كان في السنة الثانية من عمره... اما الاكبر «وهو المغيرة – فقد ادرك السنة السادسة والنصف، وكان واعيا وصاغيا، تهزه صفارات الانذار عندما تجأر، وتخرب اعصابه القنابل عندما تنفجر، ويشده الخوف والانتفاض الى جسمي، لايستطيع عني حراكا او فكاكا مادامت الغارات مستمرة، عدا تلك الصفرة التي ترنو على وجهه، والارتعاش البدني الذي لايفارقه الا بعد انتهاء الغارات... وحتى في النهار، فكان يتخوف من التنقل من غرفة لأخرى، اذا لم اكن معه، فكم كان شديدا وبليغا ذلك الانطباع الذي خلفته الغارات الجوية في ذاكرة المغيرة!! وكم كان محسودا ومرموقاً ذلك «الطفل» الصغير اخوه «معد»، ومن يدري فلعل الغارات كانت تطربه احيانا فيغط في سبات عميق!

الليلة الثالثة والعشرون!!

وما ادراك ما الليلة الثالثة والعشرون!!

كنا على مائدة العشاء في الليلة الثالثة والعشرين من نوفمبر، وكان الاولاد يرقدون في فراشهم، وكان الجو هادئا نسبيا!! ولكن انى للحرب الضروس ان تدع الاجواء هادئة، والموائد زاهية، والاطفال يتحكم فيهم سلطان النوم! فلقد تبدل كل شئ في لحظة واحدة، وجاءت الطامة الكبرى، وعزفت صفارات الانذار «موسيقاها» بلا انقطاع، وذهلت كل مرضعة عما ارضعت، وشدهت مربية اطفالي عن الاطفال والملابس، وهرعنا الى الطابق الارضي، بعد ان اصبح الحي الذي نسكنه قطعة، من الجحيم! بسبب القنابل الهابطة الصارخة المركزة عليه... الانفجار يصم الاذان الى حد الطرش، ويفتح الابواب المحكمة ويسدها الى حد لايكاد يصدق

ولايحتمله انسان ! ! والموت هنا لا يطرق الابواب ، ولايتسلل من خلال الصدور والثياب ، بل ينزل صواعق ماحقة» من السماء ، فيزلزل الارض زلزالها ، وتحدث الدنيا اخبارها ! ! انها لقنابل جديدة من نوع (المهداد) و «ضغط الهواء ، تنذر بلون جديد من الوان الموت والفناء ! وماظن القراء بهذه الصورة في مسلسل الغارات الجوية إذا علموا بأن اصغر قذيفة ساقطة هابطة لايقل وزنها عن اربعة اطنان ، وان وزن القذائف الكبيرة يتراوح بين الستة والعشرة اطنان ! ! عدا قنابل الفوسفور وقنابل الحريق....

اية الكرسي ! !
والامر يومئذ لله

.... لم يبق لنا من امل في الحياة ، ولم يدر على السنتنا غير ترداد «الشهادة ، والامر يومئذ لله ! ! وجعلت طوال تلك المدة القاصفة الصارخة ، ارتل اية الكرسي وادعو الله الرحيم ، اما ان يميتنا جميعا واما ان ينقذنا جميعا من هذا الهلاك والموت الاحمر ! وهنا انتبه - محمد - الى تمتمتي وتعويذتي وتلاوتي اية الكرسي المرة بعد الاخرى ، وقال ، ماذا تفعلين ، وماذا تقولين ! ؟ اجبته بأني اقرأ اية الكرسي ، تنزيل رب العالمين ، وادعوه تعالى ان تنجلي الغمة ، ويدفع هذا البلاء ، فما ذنبنا ونحن الابرياء ! فلقد رصد الموت شهداءنا في بلادنا ، وهم الذين دفعوا ضريبة الدم غالية عالية من اجل اوطانهم ! وها هو الموت بجبروته يلاحق ذوي الشهداء الى هنا ، وهم الغرباء ! فيارب باسمك العظيم ، وبحق اية الكرسي من تنزيلك الحكيم ادفع عنا هذا البلاء ! !

ثلاث ساعات حبالى ونصف ساعة ، مرت ، وكأنها ثلاث سنوات حبالى ونصف ، بل لكأنها الدهر كله ، «والليالي من الزمان حبالى يلدن كل عجيب» ! ! مرت تلك الساعات الطوال الثقال ، بعد ان «هتفت» صفارات الانذار بالامان وانطلقنا من المخابئ والاوكار وكأننا نبعث الى الحياة ، من جديد ولكأن الله اراد ان يمتحن عباده ويبتليهم اقسى مايكون الامتحان والابتلاء ! والف مرة الحمد لله !

خرجنا من الاوكار فماذا رأينا ! رأينا قنابل الحريق حول سياج الحديقة ، رأينا التخريب والتدمير على قيد امتار من دارنا ! اما الدار - الحمد لله - فكانت سلامتها تثير الدهشة والعجب ، وحتى اشجار (السرو) سريعة الاشتعال لم تصب بنار او سوء ! وهنا تذكرت الاية الكريمة..(.. يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم).

وهنا التفت الي (محمد) وقال... سبحانك اللهم ! لقد زاد ايماني بالقران الكريم ، وبالاية الكبرى ، اية الكرسي ، بسم الله الرحمن الرحيم...

الله لا اله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم .... انه حقا لامر عجيب. فتطويق الدار من الخارج بقنابل الحريق، وتفجرها بهذه الصورة، وهذه الحفر الكبيرة في عمق الارض، والمنازل المدمرة من حولنا، ومع كل هذه الطامة الكبري، ونحن باقون على وجه الحياة! حقا انه لسر من اسرار الله العظيم فالحمد له اولا واخرا والعودة اليه اخر المطاف. وانا لله وانااليه راجعون..

محمد يذهب لوزارة الخارجية الالمانية

وفي الصباح الباكر، غادر محمد البيت الى وزارة الخارجية يرجو منها اخراجنا من - برلين - بالسرعة المستطاعة وقص عليهم قصة الهول العجيب الذي عشناه اثر الغارة الجوية امس، بالاضافة الى تدمير شبكات التلفون والماء والكهرباء، وانقطاع هذا الحي الجميل عن المانيا! وفعلا فقد مشى - محمد - على قدميه الى وزارة الخارجية مسافة بعيدة، فلم يعد الى البيت حتى المساء وفي الساعة السابعة! وقد اخبرني بأنه قطع جيئة وذهابا حوالي اثني عشر ساعة!

خبرني محمد - بأن وزارة الخارجية قد فكرت في امرنا ووجودنا والعمل على نقلنا الى جهة اخرى، وغدا في الساعة... ستأتي سيارة الخارجية الى الدار لنقلنا الى المحطة، حيث تقرر نقلنا الى المناطق الجبلية في اواسط المانيا... وهكذا كان، وتم نقلنا الى قرية صغيرة قرب مدينة (دريسدن). وتقع هذه القرية على جبل صغير، وتحيطها الغابات من كل جانب، وكان بيتنا صغيرا تتوفر فيه كل وسائل الراحة والخدمة، من حيث التدفئة والتكييف والتموين، واعتذر «الموظف الالماني» الذي قادنا الى البيت من صغره، ووعدنا بأنه سيوفر لنا بيتا اكبر خلال بضعة ايام. وقد بر بوعده هذا بعد اسبوعين، وانتقلنا الى البيت الجديد بعد ان زرناه واعجبنا به، فقد كان جميلا تحيط به الحدائق والغابات من كل ناحية. وهو واسع ومفروش ومؤثث بأثاث جيدة جدا... كما احضر لنا طباخة وخادمة ومربية للاولاد، لان المربية الاولى كانت طاعنة في السن لم ينسجم معها الاولاد!

وقعت فريسة للمرض؟

بعد وصول المربية الجديدة شعرت بالم شديد في أضراسي وتطور هذا الالم الى «خراج» بدأ يكبر مع الدقائق والساعات، بالاضافة الى مضاعفات الغدة الدرقية التي بليت بها بعد الاحداث المحزنة التي عشتها في العراق... فاضطررت الى دخول المستشفى في مدينة (دريسدن)، واجريت لي بعض العمليات الجراحية اللازمة، ولم يسمح لي الاطباء بالخروج من المستشفى الا بعد خمسة

عشر يوما.. ولكن خروجي لم يكن الى القرية التي يكون فيها داري، بل الى «لوكانده» تقع بالقرب من المستشفى، من اجل ان تسهل علي مراجعة المستشفى القريب كلما اقتضى الامر ذلك لان وسائل النقل لاتتوفر دائما، ولان «الاوتوبيس» بين قريتي والمستشفى يذهب في الصباح، ويعود في المساء مرة واحدة، عدا الشحة في «البنزين» والوقود بسبب الظروف العسكرية.

ومن ثم انتقلت الى اوتيل - بلفو -

وبعد ان تحسنت صحتي العامة رويدا رويدا انتقلت الى اوتيل بلفو - الذي يعتبر من احسن الاوتيلات في (دريسدن) وقد قامت وزارة الخارجية الالمانية بحجز جناح خاص لي في ذلك الاوتيل الجميل، ووضعت تحت تصرفي سيارة خاصة تنقلني للعلاج في المستشفى او لاي مكان آخر.

وكانت المربية تأتي بالاولاد لكي اراهم مرتين في كل اسبوع....

من هذا الرجل القصير النحيف الاعرج ! !

... وذات يوم كنا نتناول طعام الغذاء في مطعم (الاوتيل) واذا (بالجارسون) يلفت نظري الى رجل يسير في داخل المطعم بطريقه الى قاعة خاصة، ويقول.. مدام... انظري الى هذا الرجل العظيم، واعرفي من هو؟ فنظرت حيث اشار الخادم، فاذا برجل قصير القامة، نحيف البدن، وبه عرج! ولم اعرفه بطبيعة الحال، فقال الخادم: انه « غوبلز - وزير دعاية (الرايخ) ! ! فازداد عجبي واستغرابي، وقلت في سري... اهذا هو الرجل الذي ينتظر الالمان اليوم الذي يخطب فيه من خلال الراديو، ليستمعوا الى صوته المدوي المجلجل، ينطلق في افاق الدنيا كلها ! !؟ اينطلق هذا الصوت من هذا الرجل القصير النحيف!؟ اهذا هو الرجل القوي الذي يطلق الكلمات، وكأنها القنابل والقذائف!؟ ولم اكد اصدق الخادم في البداية الا بعد ان شاهدت الناس في المطعم يقفون له اجلالا واعظاما، ويحيونه بالتجلة والاحترام... هذا هو - غوبلز - الذي يتناول طعامه في هذا الاوتيل بكل تواضع، وهو الذي يملأ الدنيا دويا بجبروته وعظمته وايمانه بفلسفة النازية، وبقائده الاعظم هتلر! !

امضيت خمسة عشر يوما في (الاوتيل) في دريسدن اتردد على المستشفى في كل يوم تقريبا لاستكمال العلاج، حتى تحسنت صحتي تماما، وسمح لي الدكتور المختص بالعودة الى البيت... وكان بيتنا - كما ذكرت - جميلا ومريحا ومؤثثا واسمه (زونيني هوجل) اي (تل الشمس). ويجاورنا كذلك بيت (رشيد عالي الكيلاني)، فبيت اخيه (كامل الكيلاني)... وقد زاراني في الدار ودعواني لتناول الطعام في داريهما، وبدأنا نتزاور فيما بيننا لقضاء الفراغ، ومواكبة الوضع السياسي والعسكري على مستوى الحرب العامة، وفي بلادنا. العراق بوجه خاص.

رشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي.

موقف يحتاج الى تحقيق!!

... وذات مرة دعانا (رشيد عالي الكيلاني) (محمد وأنا) الى داره. ولدى دخولنا. إستقبلنا في الصالون واقفا ومنهمكا في التحدث عن الشهيد (يونس السبعاوي) ويتجنّى عليه بعد ان فارق الحياة مع رفاقه الاحرار الشهداء. ولقد صعقت وأنا اسمع هذا الهجوم المر والتجني الكبير على المرحوم (السبعاوي)! وقبل ان اسلم على الحاضرين في الصالون، سألت «الكيلاني» الغاضب الشاتم... لم كل هذا الشتم والسباب توجهه، لشهيد خالد، وضع روحه الطاهرة على كفه في سبيل امته ووطنه وقد كان حتى الامس القريب من اقوى وابقى وزرائك في حكومة الدفاع الوطني!؟ فأجابني - الكيلاني - بقوله ... «لقد بلغني» ان يونس السبعاوي عندما كان يحاكم، كان يلقي بالمسؤولية والجرم علي لينقذ نفسه!! فقلتُ له... ان كل شيء سمعته من هذا القبيل، ان هو الا كذب صريح وبهتان زائف، وان السبعاوي كان قد استنفذ ثلاث ساعات من وقت الدفاع عن نفسه بالدفاع عنك افهكذا يكون جزاؤه منك؟ ومن ذلك الرجل الاشر، وغير المنصف الذي لفق ونمّق لك هذه الرواية عن الشهيد السبعاوي!؟ وما ان سمع الكيلاني من جانبي هذا الرد المفحم، حتى تراجع عن طعنه في ذمة السبعاوي الوطنية والثورية، وقال... انا اسف على مابدر عني، واتقدم بشكري لك على ردك هذا!! ولقد كشفت لي الايام بعد هذا أن - الكيلاني - كان لايتأخر عن شتمنا في كل مرة وكل مناسبة... ولقد تأكدت من هذا من خلال الزيارات المتبادلة بيننا نحن العوائل العراقية الاربع، فقد كانت تفلت بعض الكلمات والتصرفات من لسان الكيلاني - في اثناء الجلسات والاحاديث، تنم عن سروره وابتهاجه بعد ان تخلص من القواد العسكريين، اي زوجي ورفاقه الاحرار، وخلاله الجو لكي يسرح ويمرح في حالة انتصار: المانيا، وعودته الى العراق مكللا باكاليل الغار»!!

ماذا عن صلاح الدين الصباغ!؟

في تلك الأثناء كان-صلاح الدين الصباغ- لأجئاً سياسياً في تركيا وقد أرسلت الحكومة العراقية المدعي العام حمدي صدر الدين -وهو الذي حاكم القادة العسكريين-الى تركيا لمفاوضة حكومتها بتسليم (الصباغ) بأعتباره مجرماً عادياً لا لاجئاً سياسياً وهو -أي صدر الدين- كان يحمل في حقيبته جميع الاوراق التي يبرهن فيها على وجهة نظره التي هي وجهة نظر المحكمة العراقية والحكومة وعندما علمت الحكومة الألمانية بهذا الأمر اتصلت بالسيد الكيلاني وتذاكرت معه في مجيْ (الصباغ) الى برلين لأنقاذه من المصير المحتوم الأسود اذا ماسلمته تركيا للعراق بعد ضغط شديد! فكان رد الفعل قوياً لدي الكيلاني وأبدى رفضه لهذا الرأي الألماني بل وأكثر من هذا فقد كان جدياً في هذه الفكرة وهدّد بالخروج من المانيا في حالة لجوء -الصباغ- اليها فاما وإما...وبسبب هذا الموقف الجدي فقد سكت الألمان على مضض ولكن الأنباء وافتهم من سفارتهم في تركيا بأن تركيا قد رفضت تسليم الصباغ إياه الى حكومة العراق...

موقف آخر من مواقف الكيلاني!!

هنالك موقف آخر للسيد الكيلاني لا يقل سلبية عن الموقف الأول... فعندما وصل الجيش الألماني الى القفقاس كاد -الكيلاني-يطير من الأفراح وأسرع بتفصيل بدلة عسكرية ليدخل العراق في الوقت المناسب دخول الفاتحين المحررين! وفي احدى اللقاءات مع بعض الضيوف العرب وكان «محمد سلمان» شقيق زوجي الشهيد حاضراً معهم كان الكيلاني يتطلع الى المستقبل القريب ويشرح الموقف العسكري والسياسي للحضور ويبشر «الجماعة» الحاضرين بالعودة الى الوطن لأن الجيش الألماني على قمة القفقاس وأن صعود الجبال أصعب من الهبوط وانه سيهبط بعد أيام قلائل ويرابط على حدود بلادنا ويُصار الى كل شيْ في صالحنا!! وقد طارت به «عصافير» الخيال الى أبعد من هذا وبدأ بتشكيل حكومة عراقية مؤقتة مؤلفة على الوجه الآتي...
رشيد عالي الكيلاني رئيساً للدولة ، كامل الكيلاني (أخوه) رئيساً للوزراء
جزمي سلمان (صهره) وزيرا للداخلية.. وقد وزع (الحقائب الوزارية) الأخرى على الاعوان والأصهار والمحسوبين والمنسوبين الذين يضع ثقته فيهم!!

وهنا علق «محمد سلمان» قائلاً اذا كان الحال كما يبدو لك وكما تشرحه لنا! اذا كان الألمان حقا سيهبطون عن جبال القفقاس ويصبحون على حدود بلادنا في القريب العاجل!! الا ترى ياسيد رشيد أن نفاتحهم منذ الآن بضرورة تزويدنا بالسلاح بما يكفي لتسليح فرقتين أو ثلاث

فتعاون معهم ونحن ندخل بلادنا؟ ألا ترى ذلك أم أننا سنبدل مستعمراً بآخر ونعود الى نقطة الصفر! ! فأجابه الكيلاني قائلا.. كلا .. يا (أبا جاسم) لا أرانا في حاجة ماسة الى الأسلحة الآن وان هذا الأمر سيكون بعد عودتنا الى البلاد حيث نبعث بالخبراء المختصين الى هنا لتأمين هذه الناحية! فرد عليه –محمد سلمان– بأن الخبراء العسكريين موجودون معنا الآن في المانيا فالسيد اللواء ابراهيم الراوي –قائد فرقة– موجود هنا وبعض الطيارين العراقيين موجودون هنا كذلك وأنا من صنف الآليات موجود أمامكم! وفي كل الأحوال فلا حاجة الى الخبراء لأن الخبراء العسكريين الألمان يدركون ويعلمون حق العلم بما تحتاجه الفرقة الكاملة من السلاح.. وهذا هو الوقت المناسب لطلب السلاح من الألمان لتسليح جيشنا.. فرد عليه –الكيلاني– بكل انزعاج وانفعال.. لا..لا..لا..بعدين..بعدين..يامحمد...وقد أنقذ الموقف بأن طلب «محمد» على التلفون من قبل أحد الأخوان...وفي غيابه علق (كامل الكيلاني) بقوله لأخيه... نتخلص من محمود سلمان، وفهمي سعيد، ونبتلي بمحمد سلمان! انه يريد الحلول محل أخيه.. أنت (ياعبيط)– هكذا كان ينادي أخاه رشيدا في ذلك الموقف–تريد تخلق لك بلية جديدة وكفخات جديدة من عسكريين جدد! ؟ يقصد بهذا «محمد سلمان» ومن يؤيده في رأيه في تسليح الجيش العراقي.... وهنا رد (رشيد الكيلاني) على أخيه... على مهلك –ياكامل– لا تصدق.. سأقوم بتسليح الجيش بعد الآن وفي العراق! كفاية الألمان يحموننا...

انقسام العراقيين والعرب في المانيا الى فريقين! !
زيارة – مفتي فلسطين – لمديحة السلمان..

كان العرب المتواجدون في ألمانيا–مع الأسف–منقسمين الى فريقين فريق «المفتي» الحاج أمين الحسيني من جهة وفريق –رشيد عالي الكيلاني– من جهة أخرى وقد كان الخلاف بين الفريقين غاية في الشدة والتوتر وان كلا منهما يريد أن يستأثر بثقة الألمان وحده! فالكيلاني كان لسان حاله يقول... أنا الذي حاربت الانكليز وقُدت ثورة ضدهم أنا عدو الانكليز الأول وليس غيري! ! أنا الزعيم (الأوحد) الذي تؤمن العرب بزعامته وقيادته! ! وكان يصارح الألمان بأن ليس لمفتي فلسطين أية زعامة فهو رجل روحاني وزعيم ديني فقط! وهكذا انقطعت كل صلة أدبية وسياسية بين «الزعيمين» وبين الفريقين! ولكن معسكر –الكيلاني– كان هو الأضعف.. ولقد بلغ الخلاف بين المعسكرين الى حد المهزلة المؤسفة حتى أن –الكيلاني– عندما يسمع بأن «أحدا» من العرب قد اتصل «بالمفتي» كان لا يتأخر عن طرده ووصفه بالجاسوس! !

وفي عيد الفطر المبارك اتصل بي «المفتي» تلفونياً وأبدى رغبته في زيارة دارنا لتقديم التهاني

ورؤية الأولاد.. فرحبت به صباح يوم العيد وكان يسكن في ضاحية ليست بعيدة عنا وكان الوقت شتاء زمهريراً والثلوج تتساقط والطرق مسدودة وتجشم كل هذا العناء والمشقة على طوال الطريق حتى وصل دارنا وتناول الغذاء معنا وتبادلنا بعض المعلومات والأخبار فيما بيننا! فكانت زيارة مجاملة مشكورة من جانب المفتي لنا...

وعندما سمع -الكيلاني- بهذا النبأ الذي لا يسره طبعا وبهذه الزيارة التي قد يعتبرها تحديا له لم يتمالك ذاته حتى أرسل بطلب «محمد» لمقابلته فانفجر وكأنه البركان الثائر في وجه «محمد» وهب واقفا متسائلا! كيف تقبل -المفتي- زائرا لدارك يامحمد! ! وكيف تستضيفه على مائدتك؟ فقال «محمد» وبكل هدوء اهدأ أيها الرجل بأي عرف أو تقليد لا أتقبل زعيما عربيا أبدى رغبته في معايدتنا في عيد الفطر المبارك؟ وقد تجشم عناء المجيء الينا في جو عاصف وتفقد -مشكورا- أولاد أخي الشهيد محمود سلمان! أمن شيمة العرب أن أرفض زيارته ومعايدته!؟أهنالك مبرر وسبب معقول لأن أتصرف على غير هذا الشكل وبغير هذا الأسلوب!؟ فأجابه الكيلاني كان عليك أن تترك البيت ولا تراه لأنه تحداني فزاركم ولم يزرني أبدا وكلانا نسكن في قرية واحدة.. لقد بهرني هذا التصرف وأعطى للألمان انطباعا سيئا عني؟ فكيف تقبل هذا وكيف تستقبله في دارك؟ فرد عليه -محمد- بهذه الكلمات... أنا لا أسمح مطلقاً لأي كان بالتدخل في شؤون داري وضيوفي ولست مستعدا لسماع أي شي آخر وخرج -محمد- غضبان أسفا ولكن الحكاية لم ه! فلقد عاتبتني زوجة الكيلاني بعد هذا فكان ردي عليها نفس الرد الذي قاله محمد للكيلاني ومنذ ذلك التأريخ دخلت علاقتنا مع الكيلاني في مرحلة جديدة سلبية وكأننا أصبحنا من أعدائه! فراح يصب جام غضبه علينا بدون وجه حق وراح يشغب علينا لدى الألمان ويقول بأننا نكرات في عراقنا وان معاملتنا-على قدم المساواة غير صحيحة كما اقترح على الألمان أن يزودونا ببطاقات طعام لنعيش على الكفاف كما يعيش الألمان ! !ولكن الألمان لم يؤثر فيهم هذا الكلام ولم يأخذوا به بل على العكس من ذلك فقد أرسلوا الى الدار موظفاً كبيرا، وأعربوا عن أسفهم لما سمعوه من «فريق» الكيلاني ضدنا وانتقدوا الكيلاني لأنه لم يوص الألمان خيراً بنا بعد أن ضحى «عميد» عائلتنا بالروح والدم في سبيل عقيدته الوطنية والقومية فكان قدوة الأجيال... وبالفعل فقد ازدادت بعد هذا الموقف للكيلاني ضدنا عناية الألمان ورعايتهم لنا ورفع مستوى التموين والخدمات كاللحوم والزبدة والخضروات والفواكه والسكر والشاي وحتى البن الذي كان الألمان محرومين منه في أثناء الحرب العامة وهم الذين أعتادوا على ارتشاف القهوة أكثر من اي شعب آخر في العالم! لقد كانوا- والحق يقال يشربون الشعير المحروق بدورهم ليقدموا لنا البن الجيد! ! لقد كانوا --جياعا- ينامون على الطوى وكنا نحتار في كيفية التصرف بالأطعمة التي تفيض عن حاجتنا كل أسبوع! !كنت أدعو أطفال الجيران والقرية ليأكلوا مع أولادي! وكنا نهيئ الفطائر

والحلوى ونوزعها على الأطفال المحرومين! ! الواقع وأقولها للتأريخ كان كل شيء مؤمنا ومتوافراً لنا اللهم الا مشكلة الملابس! وقد حلت كذلك هذه المشكلة بأن سمح لرسول منا بالسفر مرتين الى -باريس- أو -روما- أو -بودابست- لابتياع كل ما تحتاجه عوائلنا من ملابس الرجال والنساء والأطفال.. وكانوا أي الالمان-يدفعون العملات اللازمة لأغراض الشراء ولكن العدالة في توزيع هذه الحاجات كانت مفقودة وكانت عائلة الكيلاني والمحسوبون عليها يستأثرون بحصه الأسد! ويلبسون أفخر الثياب والأزياء والمعاطف من انواع الفراء الجيد حتى ان نساء القرية الألمانية كن يحسدنهن على تلك الأزياء وتدفع بهن الغيرة الى حد عدم الاحترام بل توجيه السباب اليهن.

وقد كانت مشكلة الملابس للعائلة من الأمور التي تثير فينا الألم والتأفف حتى أن «محمدا» بلغ فيه الغضب مبلغه وقصد (رشيد عالي الكيلاني) وعاتبه عتاباً شديدا لأن قوائم الملابس التي تخصنا لا يؤمن شراؤها من الخارج كبقية القوائم لدرجة اضطررنا على الباس الأطفال البطانيات القديمة كما أخبر محمد «رشيد» الكيلاني بأنه سيبيع شيئا مما أملكه أنا ويسافر الى الخارج ليشتري مايحتاجه الأولاد من ملابس وأنه سيحصل على موافقة وزارة الخارجية للسفر لهذا الغرض! ! ولكن -الكيلاني- كان لنا بالمرصاد وبعث ببعض (جماعته) الى وزارة الخارجية يرجوها عدم الموافقة على سفر «محمد» لأنه قد يسافر ولا يعود! ! وهكذا كان.. وذات يوم وأنا في مكتبة البيت أتصفح كتاب «محمد» للدكتور حسين هيكل واذا بخادمتي تستأذن (للهر هايشمان) بالدخول. وهوالحاكم الألماني لمجموعة القرى التي كنا نسكن أحدها وكان يتردد على بيوتنا بين الحين والحين للوقوف على حاجاتنا وحل مشاكلنا! وقد سألني عن مشكلة الملابس فلم أرغب في كشفها له ولكنه عاد فقال إنني أعلم كل شيء عن موضوع الملابس والقائمة التي لم تصل اليك وقد شاهدت الملابس التي كانت من نصيبك يرتديها بعض الأولاد الألمان من أصدقاء عائلة الكيلاني! وهنا أخرج قلما وورقة وسجل كل حاجاتنا من الملابس وذهب مع «محمد» والأولاد بسيارته الى (دريسدن) فاشترى لنا الكثير من الملابس ولعب الأطفال وعاد الأولاد مزهوين بالملابس واللعب الجديدة! كما استطعت الحصول على قطعتين من القماش الرجالي من أحد الاخوان العرب مقابل أن أدفع عن القطعتين كيلو واحد من القهوة والكيلو كان سعره ألفين من الماركات في حالة وجوده! !

وكذلك حصلت على قطعة قماش أخرى من احد الاخوان المصريين مقابل أربعة باكيتات من الزبدة! !

عيشتنا في القرية

كنا نعيش في هذه القرية في هدوء تام لأنها بعيدة عن الغارات الجوية وتعتبر من المشاتي المعروفة الجيدة تقصدها العديد من العوائل من مختلف الطبقات للتزحلق على الثلوج البيض التي تتلألأ صفاء ونقاء تحت أشعة الشمس! عدا ذلك ففي هذه القرية الجميلة الكثير من البيوت الوارفة التي يمتلكها بعض الأغنياء والموسرين لقضاء عطلة الأسبوع فيها علما بأن سكان القرية لا يتجاوزون المائتين والخمسين شخصاً... وليس فيها مقهى أو ناد أو فندق بالمرة وكل مافيها مجموعة من البيوت الجميلة المتناثرة هنا وهناك على التلال وبين الغابات الخضر. صيفا والتي تكسوها الثلوج شتاء.. ولكأنها عروس ازدهت بحلتها ناصعة البياض وراحت تتيه زهوا واختيالا على بقية القرى والأرياف! وكنا مدينين لتلك القرية الرائعة بالرحلات الطبيعية الخلابة...كما أن المربية كانت تأخذ الأولاد صباح كل يوم للتمشي بهم وللتزحلق على الجليد وكانت تعاملهم في منتهى اللطف والأدب أمامي.. الا أني اكتشفت بعد هذا أنها كانت تقسو عليهم وتعاملهم بالشدة في غيابي الى حد التعذيب!! وقد حدثتني الخادمة عن الكثير من تصرفاتها الشاذة مع الأطفال وتخويفهم فاتصلت بالسيدة الألمانية المسؤولة عن هذه المربية اللامربية!! وأخبرتها بأني قد فصلتها للأسباب كذا.. وكذا... فقالت حسنا فعلت لأن شكاوي قد جاءتني عن تصرفاتها قبل الآن وعينت لي مربية جديدة كانت مدعاة لأرتياحي وأرتياح الأولاد..

استئناف الغارات الجوية الجديدة

.... استؤنفت الغارات الجوية الصاعقة على المانيا من جديد وبلا انقطاع في الليل والنهار. وكانت المدن القريبة منا تقصف في كل يوم تقريبا، والطيارات القاصفة تمر من فوق رؤوسنا وقرانا، ويكاد الرعب يقطع انفاسنا، والهلع يمزق اعصابنا! ومع ذلك فقد تعودنا على سقوط القنابل! فهذه قنبلة تسقط في الغابة وتلك اخرى بالقرب منا وهكذا...

وكان الزحف الروسي ينطلق بسرعة، حيث احتلت - بروسيا - وهاجر اهلها الى منطقة «سكسونيا» وهي المنطقة التي كنا نسكنها، وامتلأت مدينة (دريسدن) بالعديد من النازحين والمهاجرين اليها، فلم يبق فيها دار او فندق غير مسكون!! وكذلك المحطات والشوارع قد غصت بالهاربين والوافدين اليها من (بروسيا)، وكانوا يروون لنا القصص الغريبة عن هروبهم ومآسيهم ! وقد حدثتني إحدى السيدات بأنها كانت تحمل طفلها الرضيع وتلفه ببطانية من شدة

البرد القارس! وبسبب الفزع والسرعة في الهرب سقط الطفل من اللفافة، ولم تشعر بسقوطه الا بعد وصولها الى (دريسْدِن)!! الى غير ذلك من القصص المبكية المرُعبة التي تؤلف - لوتجمعت - مسلسلا - طويلا من المظالم والمصائب التي يوقعها الانسان بأخيه الانسان!! واكثر من هذا، فقد نصبت المطابخ الشعبية في الشوارع لتأمين الغذاء والطعام للهاربين الينا في الوقت الذي كانت فيه درجات الحرارة تتراوح بين ٢٠ - ٢٢٪ تحت الصفر. وقد اتخذ هؤلاء من ارصفة الشواراع محلات للنوم فياللهول وياللعذاب!!

غارات جوية مابعدها غارات!!

.... في احدى الامسيات كان في ضيافتنا بعض الاخوان العراقيين في القرية، قضوا اليوم كله معنا، وفي الساعة الثامنة مساء ارادوا العودة الى حيث يسكنون في (دريسْدِن) رغم الحاحنا عليهم بالبقاء معنا، والمغادرة في الصباح.. ولكنهم اعتذروا، وكان من ضمنهم (سالم الالوسي) الذي كان يشغل منصب القنصل العام في روما و (عبد المطلب السيد يحيى) وكان من اثرياء العراق المعروفين... أما (سالم الالوسي) فقد كان، يخشى من الغارات الجوية ويفزع منها كالاطفال ولا يكتم جبنه هذا من الغارات امام كل الناس!! لانه تربى في احضان النعيم والدلال منذ الطفولة...

لقد غادرا القرية (اي سالم ويحيى) في الساعة الثامنة مساء، وما ان ازفت الساعة الحادية عشرة، حتى دق جرس الكنيسة معلنا الانذار بغارة جوية! وبعد نصف ساعة كان ازيز الطائرات يرن في اذاننا، واصوات الانفجارات تدوي من حولنا، والانوار الكشافة قد جعلت من ليل القرية نهارا ابيض وكأننا نعيش رابعة النهار، بالاضافة الى هزة ارضية من جراء الشقوق العميقة التي احدثتها الانفجارات!! وراح بعضنا يسائل البعض الاخر.. اين هي اهداف القصف الجوي!؟ فبدا لنا وتأكدنا ان (دريسْدِن) هي الهدف، وهي التي تقصف لاول مرة، ولم يشفع لها جمالها وقوامها وروعتها، علما بأن - الالمان - لم يتخذوا التدابير الوقائية لحمايتها، لاعتقادهم بأنها في حرز حريز، لاتطالها غارات العدو بأية حال.. وهنا.. هنا الفجيعة والمأساة!!

الوحوش في هياج!!

... ان اول قنبلة سقطت على حديقة الحيوانات، فتحطمت اقفاص الوحوش والضواري. فاهتاجت وانطلقت مذعورة تهاجم الناس، وتهاطلت كالمطر قنابل الفوسفور والمهداد. واندلعت السنة الحريق الى عنان السماء، واستمرت هذه الغارات اكثر من ساعتين!! ولكن غضب الانسان والوحوش والحرب الجنونية، يبدأ من جديد بغارة صاعقة جديدة بعد نصف ساعة. فأخليت البيوت من اهلها، حيث هربوا الى الغابات القريبة! وما ان اصبح الصباح ولاح حتى اعلن ان (دريسْدن) قد اصبحت مدينة الاموات والاشباح، حيث كانت الاحصائيات الاولية تشير الى ان عدد القتلى يربو على مئتي الف قتيل... وفي العصر جاءنا من (دريسْدن) «توماس» وهو سائق عراقي، وهو في حالة جنونية لاتصدق، وراح يقص علينا ماحدث هنالك! ويقول ان الغارة الاولى قد القيت فيها قنابل الحريق والفوسفور بكمّيات هائلة، حتى كان الناس في الشوارع يضيئون وكأنهم الشموع المحترقة!! وان نهر (الالبا) الذي يقطع هذه المدينة الجميلة. قد تحول الى لهيب من النار، لان الفوسفور كما هو المعروف يشتعل بالماء، ولكن الناس، وتراهم سكارى وماهم بسكارى، كانوا يرمون بأنفسهم الى النهر الملتهب، فيزدادون لهيبا على لهيب، ونارا على نار، وعذابا على سؤ عذاب! عفوك وغفرانك يارب!! ماهذا!!؟ وكان الشائع في تلك الايام ان «الحلفاء» عازمون على ضم (دريسْدن) الى (تشيكوسلوفاكيا)، فكانت الحالة في المدينة – قبل الغارة – اعتيادية، وكان السكان يغدون ويروحون، وكانت وسائط النقل والمواصلات في حركة مستمرة، ودور السينما والنوادي والفنادق والحدائق غاصة بالناس! وجاءت الغارة الماحقة التي ما كان الناس في انتظارها، فهشمت الرؤوس، وفجرت الرئات بقنابل ضغط الهواء، فكانت القاضية التي لم تشهدها البشرية من قبل، وترحم الباقون المحطمون والمعوقون على روح نيرون الذي احرق روما! ولكن اين ما اصاب روما مما اصاب (دريسْدن)!

ومن سوء الحظ والقدر، ان (سالم الالوسي) و (عبد المطلب يحي) ضيفينا العزيزين منذ يومين قد لقيا حتفهما في (دريسْدِن) «بفضل» تلك الغارات الوحشية! فليرحمهما الله الرحيم.. هذان هما الشهيدان العراقيان الوحيدان في المانيا بالاضافة الى شهيد ثالث مصري هو الدكتور مضصطفى الوكيل الذي كان قد توفي في برلين بفعل قنبلة من ضاغطات الهواء!!

المانيا فوق الجميع ! !

وبعد يومين من الغارات المرعبة على (دريسْدن) وقفت سيارة على باب الدار. وقد نزل منها (الهر هايشمان) حاكم القرى التي نسكنها تصحبه زوجته فرحبت بهما بالغ الترحيب. والفيتهما في حالة غير طبيعية، فأخبراني بأنهما الان عائدان من (دريسْدن) بعد ان دفنا جميع اهل واقارب الزوجة الذين لقوا حتفهم هناك بسبب الغارات. حيث كانوا كلهم في منزل واحد! بالاضافة الى شقيقي الزوجة اللذين قتلا في الجبهة منذ شهرين ! ! وقد حرت بالطريقة التي اقدم فيها العزاء لهذه الزوجة المسكينة، وللهر هاريشمان! ولكنها ردت علي بكل شجاعة بهذه الكلمات... يمت كل اهلي! ولامت انا.. ولتعش المانيا وتبقى فوق الجميع! وقد طلبت مني فستانا اسود لاعلان الحداد، فأجبتها الى ذلك وشكرتني وانصرفت مع زوجها الهر هاريشمان. وقد سمعت بعد الحرب ان زوجها قد انتحر! وقد اشتغلت خادمة في احدى البيوت لتربي ولديها! ! وقد حاولت الاتصال بها ـ عن طريق الاعلان – لاساعدها بقدر امكاني ولكني لم اهتد اليها مع الاسف...

فتح الجبهة الثانية

بدا الروس يتقدمون بسرعة مذهلة، وفتحت الجبهة الثانية من قبل الحلفاء وابتدأت رقعة (المانيا) تضيق، والانباء العسكرية تسوء يوما بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة! وقد طلبت عائلة – الكيلاني – من الكيلاني، ان يفاتح الالمان بضرورة نقلنا الى اي بلد اخر محايد! ولكن الكيلاني كان يرد على العائلة، بأن مثل هذا الطلب شيء مخجل، لانهم في اسوأ حال. فلابد من الانتظار بعض الوقت! وبعد خمسة عشر يوما مرت على ضرب (دريسْدن) جاءنا موظف من موظفي وزارة الخارجية فأخبرنا بأنه قد تقرر نقلنا جميعا من هذه القرية. وان علينا ان نكون على اهبة الاستعداد! ! ورجانا ان نكتم هذا الخبر عن (الالمان) الساكنين في القرية كيلا يفزعوا! ! غادرنا القرية (بالاوتوبيس) بعد منتصف الليل، متوجهين نحو (دريسْدن) حيث شاهدنا بعد طلوع الفجر من التخريب والتدمير ما يمزق نياط القلوب، ويهز اوتار النفوس... كان عددنا ستة وثلاثين شخصا من الرجال والنساء والاطفال. وقد واصلنا المسيرة في الليل والنهار. وتحملنا من المشاق مالا يوصف. حيث كانت الغارات لاتنقطع ونحن نغذ السير. وكان المصير مجهولا! ! وفي مساء اليوم التالي. توقف «الاتوبيس» لكي نرتاح والسائق بعض الوقت بعد ان قضينا ثمانية واربعين ساعة! بعدها استأنفنا تلك الرحلة الشاقة. فأخبرنا السائق بأن – البنزين – على وشك

النفاذ، ومايزال امامنا يوم وليلة من هذه المسيرة الطويلة التي لاتطاق! وفي الطريق سألنا احد العساكر المتواجدين هنالك عن المحلات التي يتوفر فيها - البنزين - فارشدنا الى احد المطارات، فلم يزودونا، وواصلنا السير الى مطار اخر او شبه مطار، فزودونا بالبنزين اكراما للنساء والاطفال، وقالوا بأنه من الممنوع جدا ان يدخل المدنيون المطارات، وما عليكم الا ان تتحركوا بسرعة! وفي هذه اللحظة الحرجة اطلقت صفارة الانذار بغارة جنونية، فارتبك قائد المطار وطالبنا بترك السيارة والترجل بسرعة، واصدر الاوامر الى الجنود المتواجدين في المطار، بأن نتفرق هنا وهناك، وان نعمل حرفيا باوامر الجنود... فامتددنا على الارض، وجعلنا من اجسامنا أغطيةً لاطفالنا! وكانت الطائرات من قاصفات القنابل، وليس من الطائرات المقاتلات! وقد اصابت احدى القنابل، المدفع المضاد للجو، فأخرسته، وتناثرت بعض الشظايا في المطار، وكتبت لنا السلامة لاننا كنا متفرقين... وقد كنت انا والاولاد والمربية ومحمد عم الاولاد، وابراهيم جواد الطيار زوج عمة اولادي، والطيار اسماعيل فتاح مع جندي، وكانت كل عائلة كذلك مع جندي، خاص بها... وقد لفت نظرنا اسماعيل - الى ان القنابل التي كانت ترمي تترك آثاراً من الدخان الابيض لتحديد الهدف بالضبط! وقد رفعت رأسي، واذا بي ارى ثلاثة خطوط من الدخان تنزل في اخرها قنبلة وكأنها تسقط على رؤوسنا، فلم اتمالك نفسي، بل صرخت اردد (اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله). ولم اكد استكمل الشهادة» حتى دوت القنابل المتفجرة وشظاياها تتناثر من حولنا! واكثر من هذا، فقد هبطت الطائرات على مستوىء منخفض وقريب من رؤوسنا واصلتنا بالرشاشات الواحدة بعد الاخرى.. وهكذا يئسنا من الحياة وادينا «الشهادتين» في انتظار مصيرنا، النهائي على هذه الارض المحروثة حديثا والمزروعة بالبطاطس، وتذكرت اي القران الكريم (اينما تكونوا يُدركم الموت..) و (ما تدري نفسٌ بأي ارض تموت). استمرت هذه الغارة المرعبة حوالي ثلاثة ارباع الساعة وكتبت لنا السلامة من جديد بفضله تعالى... ولان الله كان رحيما بعباده فقد نجونا باعجوبة، ولم تصب سياراتنا بأذى، وامر قائد المطار جنوده بأن يزودونا باحتياطيٍ كاف من البنزين، علما بأن المصابين من المتواجدين في المطار كانوا كثيرين. شكرنا قائد المطار، واستأنفنا السير وكان طريقنا - هذه المرة - سهلا ممتعا، من دون جبال وتلال، فاسرع السائق في المسير حتى وصلنا منطقة جبلية وعرة تصلح للاحتماء بها في حالة وجود غارة! وبعد لحظات شاهدنا شرطي مرور يقف في وسط الطريق يرفع يديه ويصرخ (هالت... هالت) اي قفْ! لان غارة جوية قد بدأت، وان السير ممنوع في اثناء الغارات.. لقد صدع - السائق - بالامر وتوقف عن السير، وتوسلنا به لكي يستأنف السير، فلم يسمع منا والتزم بالاوامر! واخيرا استيقظ ضميره، ونزل عند رغبتنا، وانطلق بالسيارة بسرعة جنونية حتى ادركنا احد الجبال، لنبدأ مأساة جديدة، فقد كانت طائرة

تلحق بنا، فرمينا بأنفسنا من خلال الابواب على الارض، وخبأنا انفسنا في مغارة الجبل، ونحن نضرع الى الله القدير بالسلامة والنجاة ودفع اخطار الغارات، عبر مسيرتنا الطويلة! اما - اللوري - الذي كان يحمل الامتعة فلم يتحرك معنا، لان شرطي المرور قد منعه في حينه، فوقع تحت رحمة الغارات، وأحترقت بعض الامتعة، وسلمت الاخرى!! ولو كنا - في حينه قد نفذنا امر الشرطي لحدث لنا ما لايحمد عقباه والحمد لله.. واني لاحتفظ برصاص الرشاش الذي اصاب الامتعة، واعطب الملابس والاحذية!!

بعد انتهاء الغارة واصلنا السفر الى النمسا، وفي صباح اليوم التالي، سمعت زوجة رشيد عالي الكيلاني تسأل ابنتها عن الطعام فأجابتها بان طعامهم قد نفذ ولم يبق عندهم ما يقتاتون به. وقلت لها لاتهتمي فما يزال عندي من الطعام ما يكفي عائلتينا لهذا اليوم! فما كادت تصدق هذا، وقالت لي كيف تقدمين لنا طعام الصغار؟ فأجبتها، لقد سلمنا الله من أخطار الغارات الجوية غير مرة، وهو وحده الذي يقينا غائلة الجوع، فلنتقاسمْ بكل الطعام المتوفر عندنا! فلما رأي رشيد عالي وزوجته ابنتهما توزع (الساندويش) وانواعا اخرى من الطعام تقدما اليها وسألاها من اين لك هذا اجابتهما... اشكرا «ام المغيرة» فلقد انقذتنا من الجوع، فنظرا الي نظرة الامتنان والخجل في وقت واحد....

وصلنا النمسا

بعد سفر طويل مضن، استمر يوما وليلة يعد يومين سابقين؟ وصلنا (أنسبروك) عاصمة «البترول في النمسا حيث غادرناها الى قرية تبعد عنها (٣٥) كيلومترا يطلق عليها (ايجلز)، وارشدنا الى اوتيل كبير حللنا فيه ونحن في غاية التعب فقد إستنفذنا جزء كبيرا من طاقاتنا البدنية والنفسية وتملكنا الخوف ونقص في الطعام والشراب والوقود وسددنا الرمق بما لايسمن ولايغني من الجوع.

كانت «إيجلز» من القرى الزاهرة الرائعة بل هي من اجمل وانضر قرى البترول من حيث الموقع الممتاز وسطا بين الجبال الخضراء والمناظر الطبيعية الساحرة التي هي فوق مايتصوره الخيال!!

استقر بنا المقام في هذه القرية، وليس من مشكلة الا في صعوبة الحصول على الطعام، اذ ليس لنا بطاقات تموين! وعبثا كان ارتيادنا الاسواق، للحصول على الخبز والزبد والشاي وماشاكل ذلك، لان اصحابها لايسمح لهم البيع من دون ما بطاقات، بموجب ضوابط الحرب

وتعليماتها السارية وعبثا حاولنا اغراءهم بالمزيد من النقود، لأنهم ليسوا بحاجة اليها، وتفاهمنا معهم على «المقايضة» بان نعطيهم بعض الملابس والاحذية لانها حاجة ملحة بالنسبة لهم مقابل بضعة ارغفة خبز من الخباز، وكميات صغيرة من الجبن والزبدة والشاي!!

أنباء الحرب العامة....

كانت انباء الحرب سيئة جدا، وقد قال (غوبلز) وزير دعاية (الرايخ) في اخر خطبة له بان الوضع العام كما يراه الشعب الألماني، لايبعث على التفاؤل! ومادمنا قد سلّمنا امورنا ووضعنا ثقتنا المطلقة في شخصية الفوهرر ادولف هتلر فلابد ان نتحمل كل شيء، لانه -كما نعرفه- هو الزعيم القادر على ايصالنا الى النصر النهائي الحاسم!. وهذه الخطبة «البتراء» التي وصفت بقصرها وسطحيتها انما هي اعتراف بسوء الحالة العامة وتمهيد لأسوأ حال قابل... اطلقت تلك الخطبة في الوقت الذي كانت فيه الطائرات الجوية لاتنقطع من فوق رؤوسنا ليل نهار، وخريطة الاراضي الالمانية غير المحتلة تصغر وتضيق وتنكمش يوما بعد يوم! يؤيد مااقول ماجاءت به الانباء الاخيرة المبكرة، وهو ان موظفي وزارة الخارجية قد تركوا -برلين- بامر من الدولة طبعا، وان «هتلر توجه صوب -برلين- ليحارب بذاته الى جانب جيشه! وهذه طبعا أنباء لها مغزاها ومدلولها، ولاتبشر بالخير!!

لقد امضينا حوالي (٢٠) يوما في هذا الهوتيل «ايجلز هوف» في قرية ايجلز.. ولدى سماعنا تلك الاخبار المرعبة، دعانا رشيد عالي الكيلاني» الى عقد «اجتماع مستعجل» في صالون الاوتيل للمذاكرة في شؤووننا في تلك اللحظات الحرجة الصعبة، وسألنا بدورنا «الكيلاني» عما ننتظره او عما ينتظرنا هنا!؟ فأجاب رشيد» بأنه لن نخرج من هنا الا بأمر من وزير الخارجية، وسألناه عما اذا كان يعلم بالمقر الذي يكون فيه وزير الخارجية في الوقت الحاضر، فأجاب بأنه لايعلم!! وسألناه ثانية عن معنى ارسالنا الى هذه القرية من اعمال النمسا، وعما اذ كان هذا يعني، ان نكون على حدود سويسرا، لنلتجئ اليها فورا في حالة الخطر الداهم، فأجاب - الكيلاني - ربّما يكون هذا التصور صحيحا، ولكنه لن يخرج من هنا من دون امر او اشارة من قبل وزارة الخارجية! وبينما - نحن - نعيش هذا الحوار والجدل العقيم، والكيلاني مايزال مصرا على رأيه هذا جاءنا موظف كبير من وزارة الخارجية، هو «الهر» الذي لا اتذكر اسمه فبادرنا بالسؤال عن السبب الذي جعلنا نتأخر في السفر الى سويسرا والحالة كما هي الان!! فأجابه - الكيلاني - بأننا في انتظار الاشارة والامر من وزارة الخارجية، فابتسم وقال .. واين هي وزارة الخارجية، الان!؟ ومن الافضل

ان تغادروا الى سويسرا فورا.. فرد عليه «رشيد» وهل تعطينا امرا تحريريا رسميا بالمغادرة!؟ اجابه - نعم - وكتب له الامر الرسمي الذي يريد وبالصيغة التي يريدها!! وهنا تساءلت عن موقف التردد الذي يقفه - رشيد - وهو موقف غريب، من رجل كان يدعي بأنه حارب اعظم امبراطورية على وجه الارض!!

بعد اجتماع ثان مع الكيلاني قررنا السفر الي سويسرا، عسى ان تقبلنا كلاجئين سياسيين! ولكن - الكيلاني - قال ارجو العلم بأن كل واحد مسؤول عن نفسه بعد الان، ولن استطيع ان اساعد احدا مطلقا من الناحية المادية! فرد عليه واحد منا، بأننا لم نأخذ منك شيئا قبل الان، ولاداعي لهذا الكلام الان!! واذا ماالله سهل علينا بالوصول الى سويسرا، فكل شيء يكون سهلا ان شاء الله لان - سويسرا - دولة محايدة، وفي الامكان الاتصال بأهلنا من هنالك لتأمين حاجاتنا من النقود والدراهم! انفض ذلك الاجتماع الاخير - وفي صالون الاوتيل - وراح كل منا يتأهب للسفر. وخرجت بدوري لاحضر مايقسم الله من طعام للاولاد وقد قايضت احدى الفلاحات بأن تزودني بشيء من البيض والزبد والخبز مقابل «بلوز» من الحرير وكذلك فستان!! وعند عودتي، وجدت «الصالون» خاليا الا من «محمد سلمان» الجالس وحده، لان الاخرين المتواجدين قد صعدوا الى غرفهم للتأهب!

ضجة ومشادة في غرفة
عائلة الكيلاني»!

عندما صعدت الى الطابق الذي فيه غرفتي، انصت الى ضجيج ومشادة بين افراد عائلة الكيلاني - الذين تجمعوا في غرفة واحدة - في حينه - رغم كثرة عددهم! وهي غرفة - الكيلاني - وعند اتجاهي الى ناحية الصوت، رايتهم كلهم مجتمعين سوية، وبعضهم كانوا في الممر المؤدي الى الغرفة، وكانوا يوجهون اللوم الى «الكيلاني» لانه لم يطلب الى - الجهة الالمانية - تحويل المبالغ الى (سويسرا) في حالة عبورهم الحدود اليها!! وكان - الكيلاني - يهدئهم ويقول لهم.. كيف تريدون مني ان اطلب من الالمان مثل هذا الطلب!؟ وهل اقول لهم بأنهم سيخسرون الحرب، وان لابد من تحويل مبالغ لحسابنا الى سويسرا!؟ ان هذا لامر غريب! ياجماعة.. خافوا الله واتقوه.. ياناس!!! انكم لستم فقراء ولديكم الان من النقود مايكفيكم، فكفوا عني السنتكم! وكان بعضهم يقاطعونه في اثناء الكلام، ويقولون له.. وماذا تريد منا اذا مااحتجنا الى النقود؟؟ هل تريدنا نصبح خدما او شحاذين في سويسرا لكي نعيش!؟ الواقع، .. لقد كان

– الكيلاني ◦ يومذاك مع عائلته في وضع لايحسد عليه، بل يستدعي العطف والاشفاق، واني لن انسى هذا «الوضع الكيلاني» ماحييت!!

ان الوضع الحربي كان على اسوأ مايكون، وان المانيا مهددة بالسقوط والخضوع في كل لحظة، وان عائلة – الكيلاني – لايهمها مصير «عميدها» رشيد بقدر مايهمها توفير المال في تلك الظروف الشحيحة!! ذلك الموقف قد انساني كل شيء فأصبحت «فضولية» وصرخت في وجه (الكيلاني) قائلة له.. لم تقف هذا «الموقف» الذي لايليق بك في وسط عائلتك!؟ واتركهم وحدهم يتخبطون في بحران هذا الصراخ والصياح، لانهم بلاشعور، ولايقدرون الظروف، ولايعرفون موضع اقدامهم، ولاالساحة التي تهتز الان من تحت اقدامنا واقدام العالم كله اتركهم وتفضل انزل! وما ان سمع هذا الكلام حتى تنفس الصعداء، وعادت اسارير وجهه الى الانبساط!! وكأني انقذته من هذا المأزق الحرج، وفعلا فقد نزل الى الصالون! ولم اكتف بذلك، بل تحدثت الى زوجته وافراد عائلته، وطلبت الى زوجته ان تقف الى جانبه، وتساعده على ايجاد حل لهذه الازمة التي تعيشها الجالية العراقية الان وبعد ان هبطت الى (الصالون) وجدت – الكيلاني – يحدث «محمد» عن الموقف الذي وقفته منه، وعن «عملية الانقاذ» التي حررته من لوم عائلته واهله!!

الى سويسرا

وفي الصباح «غادرنا الى (سويسرا) بالاوتوبيس، فواجهتنا من جديد مشكلة البنزين.. ومن حسن الحظ ان ثكنة عسكرية كانت تقع بالقرب من خط سيرنا. فانطلق اليها «محمد» وطلب من قائد الثكنة تزويدنا بشيء من البنزين، فوافق لان «محمد» كان

يحمل هوية (ضابط عراقي).. وفي تلك اللحظة بالذات اذيع خبر مقتل هتلر – في برلين، واذيع بعدها نبأ تسلّم (دونيز) خلفا له مع الاستمرار على مواصلة الحرب!! وهنا طأطأ القائد الالماني رأسه!! وقد سأله «محمد» والان، ماذا سيكون موقفك، فأجاب بأنه سيطيع القائد الجديد، واعطانا كمية كافية من البنزين وبعد ان قصّ «محمد» القصة على الكيلاني، وانبأه بالنبأ «العظيم» اكفهر وجهه وتحسس رقبته، وتكاد الدموع تطفر من عينيه!!

الفصل السادس

خاتمة المطاف.. والكيلاني يبكي!!

استأنفنا السير « بعد الحصول على البنزين – ووصلنا الحدود النمساوية – السويسرية.
فوقفنا لدى الحدود. واذا بالكيلاني واخوه وشقيق زوجتيهما جزمي سليمان وحكمت سامي سليمان
يتأهبون للتقدم الى ضباط الحدود السويسرية.. فسألهم «محمد» عما يريدون ان يفعلوا! فقالوا
نطلب منهم اللجؤ السياسي. والقائل – كامل الكيلاني – شقيق رشيد .. فقال له.. هل فقدت
عقلك يا كامل!؟ وهل ستطيعه ياأستاذ الكيلاني!؟ ان الامر لفي غاية الخطورة.. الم تسمعوا بأن
الحكومة السويسرية تمتنع من قبول اللاجئين السياسيين اليها!؟ وان قوائم قد اعطيت لها بجميع
اللاجئين.. . ولكن في الامكان ان نذهب اليهم. انا وجزمي وحكمت. ونقول لهم بأن بعضنا
كان طالبا. والاخر تاجرا. وقد نموه عليهم فربما يسمح لنا باجتياز الحدود! فرد عليه الكيلاني.
ان ضمان العيش للعائلة ضروري جدا. وان لابد من الاعلان عن تشخصيي لتأمين ذلك! نسيت
ان اذكر بأن لدى العائلة الكيلانية من العملات الاجنبية. والذهب مايكفيها لاعوام طويلة!!
وماهي الا ان تقدم رشيد عالي واخوه وصهره وحكمت سامي سليمان. وطلبوا من ضابط الحدود
قبول لجوئهم السياسي لدى سويسرا. فقال لهم.. اسف فان الاوامر التي معي لاتسمح باللجؤ
ابدا.. وقد رجوا (الضابط السويسري) بأن يتصل بوزارة الخارجية السويسرية من اجل ذلك.
فاعتذر ورفض لانه غير مخول بذلك!! وبعد الحاحهم عليه. اتصل تلفونيا.. بحكومته. فجاء
الرد، القاطع بأن حكومته تأسف لعدم قبولهم بالذات. وانها تحتفظ بقوائم اسمائهم! وهنا اسقط
في ايديهم، فعادوا ادراجهم، وارجلهم لاتكاد تحملهم!! وعندما وصلوا الينا. تقدم
– الكيلاني – من زوجته واهله مضطربا فاقدا لكل امل. وانفجر باكيا. وهو يقول لزوجته...
اني لاحس بالحبل يطوق عنقي – يالمعة –... ولمعة اسم الزوجة. والمقصود بالحبل حبل
المشنقة!!

الى ايطاليا

وبعد اخذ ورد، وتداول الاراء والمناقشات استقر رأي الجماعة – على السفر الى ايطاليا
باعتبارها اقرب المناطق الحدودية. حيث منها يكون طريق البحر مفتوحا الى الدول العربية..

وهنا، طلب السيد (رشيد عالي) ان ينفصل عن (المجموعة).. وقد تقدم لمساعدته وتحقيق رغبته بعض الشباب المتواجدين هناك، اذكر منهم السيد (حمدي الخياط) والسيد اسماعيل فتاح الطيار.. اما «محمد» فانه لم يقو على مفارقة الاولاد الصغار.. لذا فقد استأنفنا السفر الى ايطاليا، حيث القي القبض علينا في نقطة الحدود من قبل سلطات الاحتلال البريطانية، وكانت مباغتة غريبة، اذ كيف علموا بذلك، وكيف تعرفوا علينا؟ وقد قامت السلطة البريطانية بفصل الرجال عن النساء، وإشعرتنا بأنها ستسلمنا بدورها الى حكومة العراق، ومن ثم اكدت لنا السلطة بعد بضعة ايام، ان الرجال قد ارسلوا فعلا الى العراق...

وماذا عن مصيرنا!؟

سؤال كنا نطرحه على انفسنا، ولكنه ظل سؤالا حائرا الى ان شرعوا بنقلنا وتوزيعنا بين معتقلات اسرى الحرب في ايطاليا، حيث كانت خاتمة المطاف في معتقل يقع في جنوب ايطاليا بالقرب من مدينة (تيرني) ويرقد على صدر البحر، ويحاط بالاسلاك الشائكة من كل الجوانب.. وقد اعطيت الرقم (٩٣) الذي مايزال ماثلا في ذهني، حتى كتابة هذه الاسطر! ! ويشاء القدر الغاشم والمصير الرهيب ان نبقى في غيهب هذا السجن لمدة تسعة اشهر كاملة غير منقوصة، عشت في اثنائها واطفالي تلك المعاناة التي انصبت علينا أسواءً وامراضا وسؤ تغذية. كما كنت اخشى ان يثير منظر الاسلاك الشائكة والحراس الشداد الغلاظ في نفسية «المغيرة» ذكرى زيارتنا السابقة لوالده الشهيد محمود، حتى انى رجوت الحراس بأن يسمحوا لنا بالتمشي خارج المنطقة الشائكة، لاخفف من الحالة العصبية الحادة التي كان يعيشها ولدي المغيرة! ! اما «معد»، فكان اردأ حظا من شقيقه، بسبب سوء التغذية والحياة الرتيبة اليومية، ووجبات الغذاء التي لاتسمن ولاتغني من جوع! فالقهوة الرديئة ليست قهوة، والبسكويت، تفوح منه روائح العفونة، وهي من بقايا المخزون للجيش الانكليزي! وهكذا - عن (الشوربة) والخبز اليابس.. حتى انى رجوت (الضابط المسؤول) ان يسمح لي بشراء بعض المواد الغذائية من الخارج بالرغم من ندرة النقود عندي، لان الانكليز كانوا قد سلبونا كل ما لدينا من مال وعملات وحلي! ومع ذلك فقد رفض المسؤول حتى رجائي هذا ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل تعداه، فلم يسمحوا لنا بارسال الرسائل، كي لا تتسرب انباء احوالنا السيئة الى خارج السجن والواقع اقول بأني كلما طلبت مقابلة امر المعتقل لعرض هذه الحالة السيئة عليه، كنت اجاب الى طلبي وفي اثناء المقابلة كان يستقبلني بالتحية العسكرية باعتباري زوجة لضابط عسكري كبير شارك في قيادة ثورة ضد الانكليز.. الا انه كان يرفض جميع طلباتي ورغباتي التي تتعلق بطعام الاولاد، وارسال

الرسائل، والدواء والكساء وما شاكل ذلك! وكنت اتساءل مع نفسي، اهكذا يعامل اللاجئون السياسيون!؟ ولكن لاغرابة، فالانكليز هم هم في كل مكان وزمان!!
بعد هذه الحالة المزرية، والجو الرهيب الكئيب، إنهمرت دموعي غزارا ذات يوم، واذا باحد الاسرى الالمان الذين يعملون في المستشفى يربت، على كتفي بعد ان عرفني بنفسه، ويقول، ياسيدتي لاتبكي وتحزني، وكفكفي دموعك، فهذا مايريده الاعداء الانكليز لك، اليأس والبكاء! فكوني قوية امامهم، وارفعي رأسك دائما،.. وهنا تذكرت كلمات - محمود - عندما كان في السجن، فكفكفت الدموع، وعدت الى ايماني وارادتي، وشكرت الرجل الالماني الاسير على نصيحته التي اسداها لي... وقد تماثل الاولاد للشفاء وعدت الى المعتقل ثانية.

رسالة الى عفيف الطيبي
نقيب الصحفين

في المعتقل كنت تعرفت على احدى السجينات الايطاليات التي كانت تعطف على الاطفال، وتداعبهم وتلعب واياهم... وقد اخبرتني ذات يوم بأنها تفكر بالهروب من المعتقل بوسيلة او باخرى، وانها قد اغرت احد الحراس الانكليز، لكي يساعدها على تنفيذ خطة الهروب... وهنا شعرت بأن بارقة امل تلوح امام عيني، فقد استطيع بدوري تهريب رسالة قصيرة الى السيد عفيف الطيبي نقيب الصحفيين في لبنان حينذاك. وهو الذي كان يتردد على العراق من حين لاخر وفي بعض المناسبات.

لقد حررت الرسالة وأرفقت بها قائمة بأسمائنا نحن العراقيين، ووصفت فيها المعاناة التي كنا نعيشها بما فينا الاطفال والنساء!! ورجوته بأن يبذل جهوده الممكنة للتوسط والسعي من اجل اطلاق سراحنا... وقد تحقق ما اريد فقد هربت (لورا) الايطالية في الليلة المتفق عليها مع الحارس الانكليزي، ومعها «الرسالة» المذكورة، وكنت خائفة من وقوعها بيد احد، واتساءل عما اذا كانت الهاربة ستبرّ بوعدها، وتبعث بالرسالة الى «الطيبي» بعنوانه!؟ وماهي الا شهران فقط حتى يستدعيني امر المعتقل ويبلغني بأنه قد تم الافراج عنا، واننا سننتقل الى مصر،... وقد علمت بعد هذا بأن الفضل في عملية الانقاذ» هذه يعود الى جلالة الملك عبد العزيز ال سعود، عاهل المملكة العربية السعودية بعد ان اطلعه الاستاذ عفيف الطيبي باعتقالنا، وسؤ احوالنا.. فقد هزت عاهل السعودية النخوة العربية، واستدعي السفير البريطاني في الرياض يومذاك، للاتصال بحكومته البريطانية، واطلاق سراح العراقيين والعرب المتواجدين في ايطاليا خلال (٢٤) ساعة! فياله من موقف عربي اصيل يقوم به هذا العاهل العربي السعودي الكبير! ويا (للورا)

اطارية الايطالية الوفية التي امنت لي ارسال رسالتي الى الاستاذ الطبيي الذي اسجل له هذا الموقف التأريخي النبيل!! اما الموقف اللانبيل واللا اخلاقي الذي وقفه حكام العراق عملاء الانكليز. فقد تمثل في انهم انكروا من جانبهم وجود عراقيين بهذه الاسماء المسجلة في القائمة التي كنت بعثت بها مع الرسالة بوساطة عفيف الطيبي....!!

الى نابولي ومن ثم الى بور سعيد

وهكذا غادرنا المعتقل الايطالي بوساطة لوريات عسكرية الى مدينة (نابولي)... ومن هناك اقلنا طراد حربي. في رحلة بحرية استغرقت ثلاثة ايام. حيث وصلنا (بور سعيد) فكان في استقبالنا السيد السفير السعودي في القاهرة وقد رحب بنا ترحيبا بالغا. وبارك سلامة الوصول. وانزلنا ضيوفا على مائدة الملك السعودي. في دار الأمين العام للجامعة العربية الاستاذ عبد الوهاب عزام... وقد عرفنا بعد هذا بأن رشيد عالي الكيلاني مقيم في المملكة العربية السعودية. وان «محمد» ـ شقيق الشهيد محمود سلمان – هو رهن الاعتقال في بغداد! وقد اعطي لنا الخيار، بين ان نبقى في القاهرة، او نستأنف الرحلة الى السعوية فقررت بدوري البقاء في القاهرة مع الاولاد. الى ان تنجلي الامور. وينكشف وضع «محمد» في بغداد. واستكمل علاج «معد» لدى الاطباء المصريين. حيث اعطي ابر – الكالسيوم – زرقا بالوريد. وعولج كذلك بالاشعة فوق البنفسجية. حتى اكتسابه الشفاء التام بعد ستة اشهر.

والذي حدث بعد هذا بالنسبة لمحمد فقد خيروه بين ان يبقى معتقلا في بغداد او يلتحق بأبناء اخيه في القاهرة. وكان من الطبيعي ان يقبل الخيار الثاني. ويغادر بغداد التي يجثم عليها كابوس الانكليز وعملائهم الى حيث القاهرة. ليخفف من مأساة اسرة شقيقه الذي قضى شهيدا فداء للوطن وكم كان سرور الاسرة وسعادتها بهذا اللقاء. وجمع الشمل بعد اعوام.... وقد تقدمنا بالشكر الى (عبد الوهاب عزام باشا) امين عام الجامعة العربية على حسن ضيافته لنا. وقيامه بتأجير شقة لنا في (حي الدقي) بالقاهرة..

محمد سلمان يبحث عن عمل!!

شرع «محمد» يبحث له عن عمل في القاهرة علما بأنه خريج الكلية العسكرية في بغداد بالاضافة الى كونه خريج كلية الهندسة من (لافيرة) بانكلترا كما ذكرت ذلك قبل الآن! وما يكاد يتصل باحدى الشركات المصرية التي تحتاج الى اختصاصه وترحب به في اللحظة حتى تعود في الغد فتبدل رأيها في التعيين وتعتذر له! ذلك لأن السفير العراقي في القاهرة كان له بالمرصاد فيحذر الشركات المصرية من قضية تعيينه لأنه غير مرغوب فيه من قبل الحكومة العراقية وقد يسبب تعيينه مشاكل للشركة! ولأنه شقيق الشهيد «محمود سلمان» الذي قاد مع رفاقه الأحرار ثورة (٢مايس ١٩٤١) ضد الانكليز وهكذا تدهورت أحوالنا المادية وكان. (محمد) يستشيط غضبا وأسفا كلما اضطررنا على بيع قطعة من الحلى الذهبية لتغطية حاجاتنا ونفقاتنا اليومية!

السفير السعودي يزورنا

وذات يوم قام السفير السعودي في القاهرة بزيارتنا في الدار وقد أبدى استغرابه من «الشقة المتواضعة المستأجرة فأخذ «محمد» يشرح له الصعوبات التي يواجهها في ايجاد عمل له في القاهرة وموقف السفير العراقي المضاد له! فما كان من السفير السعودي الا أن قال... ولكن جلالة الملك عبد العزيز ال سعود قد خصص للسيدة مديحة راتبا شهريا يرسل اليها بوساطة زوجة رشيد عالي الكيلاني! وعندما أطلع على جلية الأمر أتخذ ترتيبا جديدا لارسال الراتب المخصص لي مباشرة دون وساطة!! فكان في هذا بعض التخفيف من وطأة الأزمة المالية التي كنا نعيشها!

خطة لقتل عبد الاله ونوري السعيد.

كان «محمد سلمان» قبل مغادرته العراق الى القاهرة قد اتفق مع بعض زملائه الأحرار الذين بلغوا قمة الحماسة والبطولة على وضع خطة لقتل عبد الاله ونوري السعيد... وقد وضعت الخطة هذه بكامل تفاصيلها من حيث تهيئة السلاح وتأمين التمويل وضمان مستقبل عوائل الذين يشاركون في التنفيذ في حالة اجهاض الخطة والتفكير في البلد الذي يقبلهم كلاجئين سياسيين! وبسبب هذا فقد عرج «محمد» على الشام بطريقه الى القاهرة وقابل السيد (شكري القوتلي) وكشف له عن نواياه وعن خطته ورفاقه الأبطال.. وهكذا استكملت الخطة الكثير من جوانبها ولم يبق الا تدبير المال الذي يعتبر عصب الحركة والخطة.. وبعد أن قام السفير السعودي بالقاهرة

بزيارتنا في الشقة -كما أسلفت- قرر محمد الذهاب الى زوجة الكيلاني رشيد لمفاتحتها بالأمر والطلب اليها أن تسأل زوجها عن مدى استعداده لتمويل الخطة! وهكذا زرناها وكشف لها محمد الأمر فكان جوابها أن يكتب -محمد- رسالة خطية بهذا الى (رشيد عالي الكيلاني) المقيم في السعودية وأنها مستعدة لحملها وتسليمها لزوجها لأنها ستسافر في -موسم الحج- الى السعودية حيث زوجها هنالك وقد سألتها عن السبب في تحرير رسالة بذلك وقلت لها بأن السرية في مثل هذه الأمور الخطرة قد لا تستوجب مثل هذه الرسالة! وقد أكدت على «محمد» بعدم القيام» بذلك فما كان من «محمد» الا أن أعد لها رسالة بذلك رغم نصيحتي له بالاعتذار وهكذا كان!! وعندما غادرنا دار السيدة -الكيلاني- وجهت اللوم الى «محمد» لأنه في نظري ارتكب غلطة في تحرير الرسالة المذكورة الى (رشيد الكيلاني) الذي فعل مافعل بشقيقه الشهيد محمود من قبل ولكن محمد الواثق من نفسه لم يعلّق على ملاحظاتي هذه الا بقوله بأن دماء الشهداء الطاهرة التي تروي شجرة الحرية والاستقلال تشجعني على تحرير الف رسالة لا رسالة واحدة!! وقد بقينا في دور الانتظار لعودة السيّدة الكيلاني من الحج حيث عادت وزرناها وسألناها ماوراءك يا جهينة من الأخبار.!؟ وهنا أخرجت لنا من حقيبة يدها رسالة قرأتها علينا بذاتها ولم تسلمنا اياها!! وفي الرسالة يبارك السيد الكيلاني جهود «محمد» وتفكيره في تخليص الأمة من العملاء والخونة ولكنه يعتذر عن تمويل الحركة باعتباره لاجئا سياسيا لدى السعودية وليس لديه مايكفي من المال الا النزر القليل! ثم انتهت من قراءة الرسالة ومزقتها واتلفتها بحضورنا فكان هذا الموقف ايذانا بسوء النية التي تحسستها من قبل!.

فماذا بعد هذا!؟

ولم يمض وقت طويل حتى اتصل بـ (محمد) السيد اسماعيل فتاح من مطار القاهرة وكان يعمل في الخطوط الجوية العراقية يومذاك فطلب من «محمد» الحضور توا الى المطار فأسره بأمر خطير!! وبعد أن عاد -محمد- من المطار قال لي... لقد كنت على حق -يامديحة- عندما نصحتني بعدم كتابة رسالة خطية الى رشيد عالي الكيلاني! فلقد أخبرني (اسماعيل فتاح) بأنه قام برحلة الى السعودية ومعه (صباح السعيد) ابن نوري السعيد وأن «صباح قد أخبره بأن الكيلاني قد أطلعه على رسالة (محمد سلمان) التي يطلب فيها تمويل عملية لقتل نوري السعيد وعبد الاله! وأن الكيلاني يرجو اطلاع أبيه (نوري السعيد) على هذا واصدار العفو عنه مقابل ذلك وقد حذر اسماعيل فتاح محمد من ذلك فقد تطلب حكومة العراق من الحكومة المصرية تسليمه في كل لحظة بعد انكشاف الخطة من قبل (رشيد عالي الكيلاني) نفسه!

محمد يقابل رئيس الوزراء المصري

وبعد أن تداولنا في الأسلوب الجديد الذي نسلكه بعد انكشاف الخطة اتفقنا على أن يقوم محمد بمقابلة السيد (علي ماهر باشا) رئيس الوزراء المصري ويشرح له الموقف بكل وضوح ويستجلي رأيه وموقفه فيما اذا قامت الحكومة العراقية بطلب مثل هذا من الحكومة المصرية...

فأجابه (ماهر باشا) قائلا... يا محمد بك! أرجو أن تعلم بأن الحكومة المصرية لن تسلم ضيوفها واللاجئين السياسيين اليها فاطمئن من هذه الناحية.. وفعلا فقد افتتحت المحكمة أبوابها في العراق وصدرت الاعلانات في الصحف المحلية عن المجرم الهارب (محمد سلمان)!! وطلب من حكومة مصر تسليمه ولكن الحكومة المصرية برت بوعدها الذي قطعته على لسان رئيس وزرائها «علي ماهر باشا»! وبهذا أعطت برهانا جديدا على حكومة تحترم نفسها بالرغم من وضع مصر الذي لا تحسد عليه حينذاك من الناحية السياسية لأن الاخطبوط الانكليزي كان يدس أنفه في كل كبيرة وصغيرة!! ان موقف حكومة مصر هذا قد كان سببا مضافا جديدا لعداء السفارة العراقية لنا وترصد حركاتنا وتنقلاتنا بوسيلة أو بأخرى! وقد زاد من «المعاناة» التي نعيشها تفشي مرض الكوليرا في مصر وانقطاع مصر عن العالم ولم يعد في مقدورنا تسلم أي مبلغ من المال من العراق عن طريق القادمين الى القاهرة حيث كان عندنا ايجار بيت في بغداد يحول الينا بطريقة ما!! وماهي الا أن تنفرج أزمتنا المادية ويكون بعد العسر يسر فقد جاءت الى الحكم في العراق وزارة (مزاحم الباجه‌جي) المعروف بميوله الوطنية وعندها رشح «محمد» عن العراق للعمل في الجامعة العربية حيث عين مستشارا عسكريا في جامعة الدول العربية بعد النكسة التي عاشها العرب في فلسطين! وهنا انطلقت موهبة -محمد- وكفاءته العسكرية حيث قدم تقريرا تاريخيا ضافيا عن كيفية محاربة اسرائيل اقتصاديا وسياسيا بعد أن فشل العرب عسكريا من هذه الناحية... وقد تضمن التقرير الهام المذكور الكثير من المبادئ والأسس لعل أهمها مبدأ (الضمان الجماعي) للدول العربية ومقاطعة اسرائيل اقتصاديا... وبسبب هذا التقرير فقد نقل (محمد) الى مكاتب مقاطعة اسرائيل وكان له الدور الفاعل بشهادة الكثيرين..

مشكلة عائلية مع الاطفال

ابني «المغيرة» الذي اصبح في دور اليفاعة، كان مايزال غير مقتنع بأن «محمدا» هو ابوه، وكان هذا الشك ينعكس على تصرفاته وسلوكه الفردي في داخل البيت وخارجه، وهذا ما كان

يثير القلق والخوف في نفسي. ويحملني على تدارس المشكلة وطريقة حلها! مشكلة اخرى. هي ان جرس المدرسة كان ابدا يذكره باجراس الكنائس في المانيا عندما كانت تقرع كلما حدثت غارة جوية على المدينة القريبة منا. بحيث اصبح جرس المدرسة عاملا في تعثر المغيرة في دراسته! وقد اتفقت مع محمد – ان نصارح االاولاد بالحقيقة. وبوالدهم الحقيقي. وبقصته كاملة. لعل في هذه المصارحة مايهدئ من روع الطفلين. المغيرة ومعد. ويؤدي الى استقرارهما من الناحية النفسية والتربوية.. وهكذا كان فقد روينا لهما القصة كما هي. بالاسلوب الذي يناسب عمريهما. وقد اجهشا في البكاء. وعرفا كل شيء. ولكنهما ازدادا حبا وتعلقا بعمهما (محمد) فكادت قلوبنا تتفطر من الحزن والاسى على هذا المشهد الذي يفت الاكباد! ! وقد قال المغيرة لعمّه بالحرف الواحد (.. بابا.. انا كنت اعرف طول الوقت انت عمو محمد)... وكما ازداد تعلق الاطفال بعمّهم بعد ان صارحناهم بالحقيقة. ازداد كذلك تعلق عمهم بهم. وراح يحنو عليهم حنو الوالد والعم والانسان في وقت واحد...

بدء حياة عائلية جديدة

احمد الله على ان حياتنا العائلية بدأت تجنح اكثر الى الطمأنينة والسكينة والاستقرار. وان مسارا حياتيا جديدا قد بدا على الدرب الطويل وبخاصة عندما برز (محمد) في عمله على مسرح الجامعة العربية. وظهر ان سلاح المقاطعة الاقتصادية ضد (اسرائيل) كان سلاحا قاطعا فاعلا. فقد عادت دارنا مفتوحة للجميع من عراقيين وعرب. وأصبحنا نتنسم انباء العراق بكل حرية وفي كل وقت.... ولكننا مع كل هذا. فقد اقسمنا على ان نظل نتشح بالسواد حتى نأخذ بثأر الشهداء...

وكان من زوارنا في القاهرة السيد انور السادات الملازم في الجيش المصري حينذاك. ومن الضباط الاحرار الذين يشار اليهم بالبنان. وغيره من رجال الفكر والمعرفة في مصر الشقيقة...

محمد سلمان ومكتب البترول

وكان – محمد – بحكم عمله في مكاتب المقاطعة للجامعة العربية. يقوم بجولات خاطفة الى دول الجامعة العربية كافة. لدراسة الاوضاع الاقتصادية. واحكام الطوق الاقتصادي العربي ضد اسرائيل. وتقديم التقارير الوافية حول جولاته هذه... ولعل اهم تقرير رفعه بهذا الصدد.

كان بعد عودته من زيارة للبنان، فقد وضع فيه النقاط على الحروف، وسمى المسميات بأسمائها، وادان بعض المسؤولين اللبنانيين الذين كانوا على اطلاع بعمليات التهريب من والى اسرائيل! وقد كان لهذا التقرير صداه العميق في اوساط الجامعة العربية، وتسبب في مشادة كلامية مع الامين العام للجامعة العربية، حيث نقل «محمد» من مكاتب المقاطعة الاقتصادية الى مكتب «البترول» الذي كان يعتبر في حينه مكتبا ثانويا! وقد اعتبر الاخوان المتعاطفون مع «محمد» ان هذا النقل تجميد لمواهب «محمد» وقابلياته، وانه ماكان ينقل الى هذا المكتب لولا صراحته التي انطوى عليها التقرير المذكور! ولكن «محمدا» لم يفت هذا في عضده ونشاطه، بل اجاب اخوانه بأن «الوظيفة» ابدا لاتصنع – محمد سلمان – انما هو الذي يصنع الوظيفة، ويخلق الموقع. وقد تحقق كلامه هذا بأنه استطاع عبر اعوام قصار ان يجعل مكتب البترول من اهم مكاتب الجامعة العربية الآخرى، وان يكون له اثره في نشر الوعي النفطي لدى دول الخليج كافة.. وقد اقام معرضا للنفط في القاهرة، شاركت فيه كل الدول العربية المنتجة للنفط... ولعل هذا المعرض، ومن خلال ما كان يدور في الكواليس، بين الوفود العربية المشاركة، كان المنطلق الاول الى فكرة المنظمة للدول المصدرة للنفط، وذلك لمنع استغلال، الشركات الاجنبية، وكسر إحتكاراتها!

وليس ادل على نجاح المعرض هذا، من ان الرئيس جمال عبد الناصر بالذات قد قام بزيارة المعرض، واثني على جهود القائمين به، وفي طليعتهم (محمد سلمان) الذي اصبح يثير قلق الشركات الاجنبية ويؤلف علامة مضيئة على طريق التأميم!



القاهرة من اليمين، محمد سلمان، امير الريف عبد الكريم الخطابي، يونس بحري

ثورة في بغداد!!

كم كانت المفاجأة كبيرة وتأريخية، عندما دق جرس التلفون من قبل احد الاصدقاء، الذي بشرنا بتفجر ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨، وان علينا ان نفتح المذياع لاستماع البشائر وانباء الثورة المدوية في كل مكان.... وكم كان سرورنا بالغا بالثورة التي ثأرت لشهداء ثورة مايس ١٩٤١... حقا، انها ارادة الله، وان الله في المرصاد للظالمين العملاء الذين لاينجون من القصاص ان عاجلا او اجلا.... وماكان منا في تلك اللحظة التأريخية الحاسمة - ونحن في القاهرة - الا ان ننزع ثياب الحداد والسواد، ويلح علينا الشوق بالعودة الى الوطن الحبيب العراق، بعد تلك الغربة والتشرد، عبر اعوام طوال عجاف!! وفعلا فقد شددت الرحال الى بغداد التي تطهرت من نوري السعيد والحكام الذين مالأوا الانكليز طوال (٣٧) عاما، وتنسمت هواءها ووطأت ثراها، وانا اذرف دموع الفرح والسرور والغبطة للثأر لدماء الشهداء... الشهداء الذين لم تذهب تضحياتهم ودماؤهم مع الريح، بل اثمرت ونضجت في ثورة الرابع عشر من تموز... هكذا هو العراق الحبيب المناضل، انه كالطود الاشم في علاه وسماه، وكالمعدن الاصيل في جوهره ونقاه...

مقابلة عبد الكريم قاسم

... وقد هنأت عبد الكريم قاسم في اثناء المقابلة التي عين لي موعدها، وقابلت بعض رجال الثورة الذين كانوا في غاية الحماسة والعنفوان الثوري في البداية، وترجمت لهم عواطفنا ه نحن عوائل الشهداء الخالدين -... وفي اثناء مقابلة «الزعيم» عبد الكريم قاسم، انبأني بأن (محمد سلمان) بعد الثورة سيكون محله وموقعه في بغداد، وان علي ان ابلغه بهذه الرسالة الشفوية! وبعد عودتي الى القاهرة، اخبرت «محمدا» عن الوضع العام في العراق، وعن مقابلتي لعبد الكريم قاسم وقد اجابني «محمد».. يامديحة! ان الثورة ماتزال في مهدها وبدايتها، ونحن لم نكتشف هويات الكثيرين من القائمين بها! فلا داعي الى التسرع بالعودة، وماعلينا الا الانتظار بعض الوقت.. وقد ايدته على فكرته هذه... والذي حدث بعد هذا ان «محمد» بحكم عمله في مكتب البترول، للجامعة العربية، كان يشارك في جميع المؤتمرات التي تعقد في كل العواصم العربية.. وفي احدى المؤتمرات التي عقدت في بغداد، واجه - عبد الكريم قاسم - بل في اكثر من مؤتمر واحد! وكان - قاسم - يقول لمحمد ، ان وجوده الان في «الجامعة العربية» فيه مصلحة لكل العرب، وان الامور مرهونة بأوقاتها!

زيارة هاشم جواد لي

وفي احدى زياراتي الى بغداد، زارني السيد هاشم جواد في داري وانبأني بأن عبد الكريم قاسم يقول بأن الثورة في حاجة ملحة الى «محمد سلمان» وانه مرشح لتسلم (وزارة النفط) في الوقت الحاضر، لان العراق سيدخل في القريب العاجل مفاوضات صعبة مع شركات النفط الاحتكارية، وان استقالته من الجامعة العربية لابد منها في هذه المرحلة!

والمعروف، ان الوضع في بغداد مايزال في غاية الحراجة والصعوبة، وان «بعض» العناصر المتطرفة قد بدات في تعطيل عجلة الثورة وجرها الى وراء وان عبد الكريم قاسم كان على مفترق طرق! أنبأني – هاشم جواد – برغبة عبد الكريم قاسم هذه ولدى عودتي الى القاهرة، نقلت الى محمد تلك الرغبة، فقال، يامديحة! كفانا تشردا وغربة! وان نداء الوطن مقدس، وقد يفسر عدم الاستجابة بالانهزامية... اذن، فلابد من العودة الى بغداد وتحّمل مسؤولياتي كاملة، ولئن كان هنالك طرف متطرف او طرف شعوبي يعمل في غير صالح الثورة، فمن واجبي الوطني ان اشارك في كسر ذلك الطرف على قدر طاقتي ووطنيتي وقوميتي... وانا كنت ومازال – كما تعرفين – اترسم خطى الشهداء الابرار، وبخاصة شقيقي الشهيد (محمود سلمان)، فضلا عن هذا فان الصراع الذي سيكون حادا وفاصلا مع شركات النفط، انما هو جزء لايتجزأ من معركتنا التحررية ضد الانكليز في (٢ مايس سنة ١٩٤١).. اذن، فلا مناص من الاسراع في العودة...

وعندما سمع الرئيس عبد الناصر بعودة «محمد سمان» الى بغداد، واستيزاره لوزارة النفط بالذات كان تعليقه بالحرف الواحد... «الان انتقلت معركة النفط الى بغداد!!» حقا انها لمقولة مأثورة لرجل عظيم..

العودة الى بغداد

شرعنا في التحضير والتأهب للعودة الى بغداد، وقبيل العودة، فاتحني ولدي «معد» بقوله... لقد كنت خير ام وكان بابا خير اب.

وقد تحمّلتما اكثر مما يحتمله انسان، وضحّيتما من اجلنا، حتى شببنا عن الطوق، وبلغنا هذه المرحلة من الرشد والشباب! واسمحي لي ياماما ان افاتحك في امر مايزال يجول في خاطري ليلا ونهارا.

هذا الامر، هو ان تتزوجا بعد اعوام التضحية والجهاد، وبعد ان خلعتما اثواب الحداد، وبعد ان زالت جميع الاسباب التي كانت تحول دون الزواج! فالوضع النفسي والمادي، واخذ

الثأر لوالدي ورفاقه الاحرار. وقرب العودة الى بغداد... كل هذا يشجع على الزواج.... والحق انى فوجئت بهذه الكلمات تصدر من «معد» بهذه السهولة والصراحة!! ذلك لاني و «محمد» قد عشنا في دار واحدة طوال تلك الاعوام. ولم يفتح مثل هذا الموضوع نهائيا! ولم يكن لنا من هدف الا تربية الاولاد. والتغلب على الصعوبات، وتجاوز ايام المحن والازمات... ولان منزلة «الشهيد محمود» لدي وشقيقه «محمد» هي اكبر من كبيرة. ولان كبرياءه الوطني والقومي، تملأ نفوسنا زهوا وفخرا ولاننا نستظل خيمته وارفة الظلال. ونستلهم من روحه الطاهرة القوة والايمان والمبدأ، ونستهدي بوصيته التأريخية الخالدة. كل هذا كان يحدونا الى عدم التفكير في الزواج! ولكنني الان امام موقف جديد يطرحه «معد». انه حقا لموقف مباغت لي كما قلت! لذا، فقد سألت «معد» عما اذا كان قد فاتح عمه محمد بهذا الامر. فأجاب. بأنه قد فاتح عمه قبلي، بالامر. فقاله له... احتراما لذكرى الشهيد محمود. فانه لم يفكر في هذا الامر، ولكن. اذا ماكانت رغبة الاولاد هكذا، فانه سيكون سعيدا بتحقيق الزواج. وعسى ان ينعكس هذا سعادة واستقرارا وراحة نفسية على العائلة كلها... وهكذا تم إقتراني بمحمد في سفارتنا بالقاهرة، وعدنا في خاتمة المطاف. وبعد رحلة شاقة. هي اشبه ماتكون بالخيال والاساطير الى العراق الحبيب. فاستلم «محمد» وزارة النفط...

تطهير وزارة النفط من الشعوبيين!!

أول مشكلة واجهها «محمد» في وزارة النفط هي مشكلة الموظفين الشعوبيين الذين كانوا يمثلون تيارا قويا في الوزارة ولا يركن اليهم في إتخاذ أي أمر خطير!. ولهذا فقد تخلّص من جميعهم بالطريقة الآتية... فلقد نقل جميع العناصر الشعوبية الى الهيأة العامة للنفط التي أصبحت عشالهم وبعد فترة طلب «محمد» الى (عبد الكريم قاسم) الغاء الهيئة برمتها جملة وتفصيلا لأنها قد تنازع الوزارة مسؤولياتها واختصاصاتها ولأن سفينة الوزارة لا يمكن بأي حال أن يقودها ربانان بل ربان واحد! وبعد مناقشة حادة وتثبيت الأسباب الموجبة لالغاء الهيأة وافق (عبد الكريم قاسم) على الالغاء وطهر -محمد- وزارة النفط بجرة قلم وضربة معلم وسجل هذا الموقف الفريد من نوعه لمحمد في تأريخ الوزارة..



محمد سلمان وهو برتبة نقيب في الجيش العراقي ١٩٣٨ واحيل على التقاعد وهو برتبة (رائد) توفي في بغداد يوم ٣١/٤/١٩٧١.

المفاوضات الصعبة مع شركات النفط

وبعد هذا دخل العراق في مفاوضات النفط مع الشركات فطالب «محمد» بالحقوق المشروعة للعراق في ثرواته النفطية بكل قوة وجرأة وتصلّبت الشركات من جانبها بامتيازاتها «اللا مشروعة»؟ وكانت المسافة بعيدة بين وجهتي النظر هاتين.. وقد لوح «محمد» في أثناء المفاوضات الى تأميم النفط في الوقت المناسب وأن العراق قد استفاد كثيرا من تجربة (مصدق) في إيران التي مازال عالقة في الأذهان! وفي اثناء هذه المفاوضات كانت الجهود تبذل لاعداد وتشريع القانون

رقم (٨٠) والذي بموجبه يسترجع العراق جميع أراضيه. غير المستغلة من قبل الشركات الأجنبية باعتباره دولة ذات سيادة على جميع أراضيه وان من حقه المشروع استغلالها في كل وقت لحسابه! ومعنى هذا ان الشركات قد حرمت من استغلال واستثمار ٩٩٫٥٪ من الأراضي وأن أعمالها حصرت في (٠٫٥٪) فقط من الأراضي فكانت الضربة الكبرى على يافوخ الشركات!

ن كيف وقعت الضربة على اليافوخ ووقع الفاس بالرأس!؟



حفل افتتاح نادي النفط بغداد
مديحة، محمد

محمد سلمان في لندن
يدق ساعة الصفر لانهاء الاستغلال
ويوقع الضربة بالشركات.

كان «محمد» في لندن وقد أقيمت على شرفه دعوة عشاء من قبل المسؤولين الأنكليز فأرتأى محمد أن يوقت الاعلان عن تشريع قانون رقم (٨٠) في تلك الدعوة الكبرى وهكذا كان وهنا أحست الشركات بجسامة الضربة لمصالحها في نفط العراق وبداية عهد جديد للسياسة النفطية في العراق وأن المارد العراقي الجبار قد خرج من «القمقم بعد ثورة الرابع عشر من تموز...وقد انعكس

اعلان «محمد سلمان» وزير النفط العراقي عن تشريع وتنفيذ قانون رقم (٨٠) في لندن على جميع أجهزة الاعلام في العالم! حتى أن جريدة (الايكونومست) في حينه نشرت مقالا بعنوان (شخص غير مرغوب فيه!!) أشارت فيه الى تاريخ حياة «محمد» وحياة شقيقه الشهيد «محمود» وركزت على عدائهما للانكليز والاستعمار....



حفل استقبال خلال مفاوضات النفط
مديحة ، محمد

مشكلة بيع النفط!!

برزت أمام «محمد» مشكلة بيع النفط في أسواق احتكرتها الشركات الأجنبية ولهذا فقد جرت الاتصالات مع إيطاليا ومع شركة (إيني) والتي يرأسها «ماتاي ملك النفط في إيطاليا حيث تمت معها الموافقات المبدأية على شراء النفط العراقي.. كما قامت الحكومة العراقية بتشريع قانون شركة النفط لتكون بدورها هي الشركة التي تتعامل في العالم الخارجي في تسويق النفط وليست الحكومة بصورة مباشرة وهذا طبعا يتطلب من العراق الدخول في اتفاقيات وعقود جديدة لأول مرة. ومادمت بصدد الحديث أو الأشارة الى شركة «إيني» و«ماتاي» ملك النفط فان ملك النفط

هذا قد توفي بسبب حادث سقوط طائرته الخاصة وقد ترددت الاشاعات والتعليقات حول ما اذا كان ذلك الحادث قد وقع لخلل في الطائرة أم أن لشركة النفط ضلعا في الحادث بسبب تعامله مع العراق!!



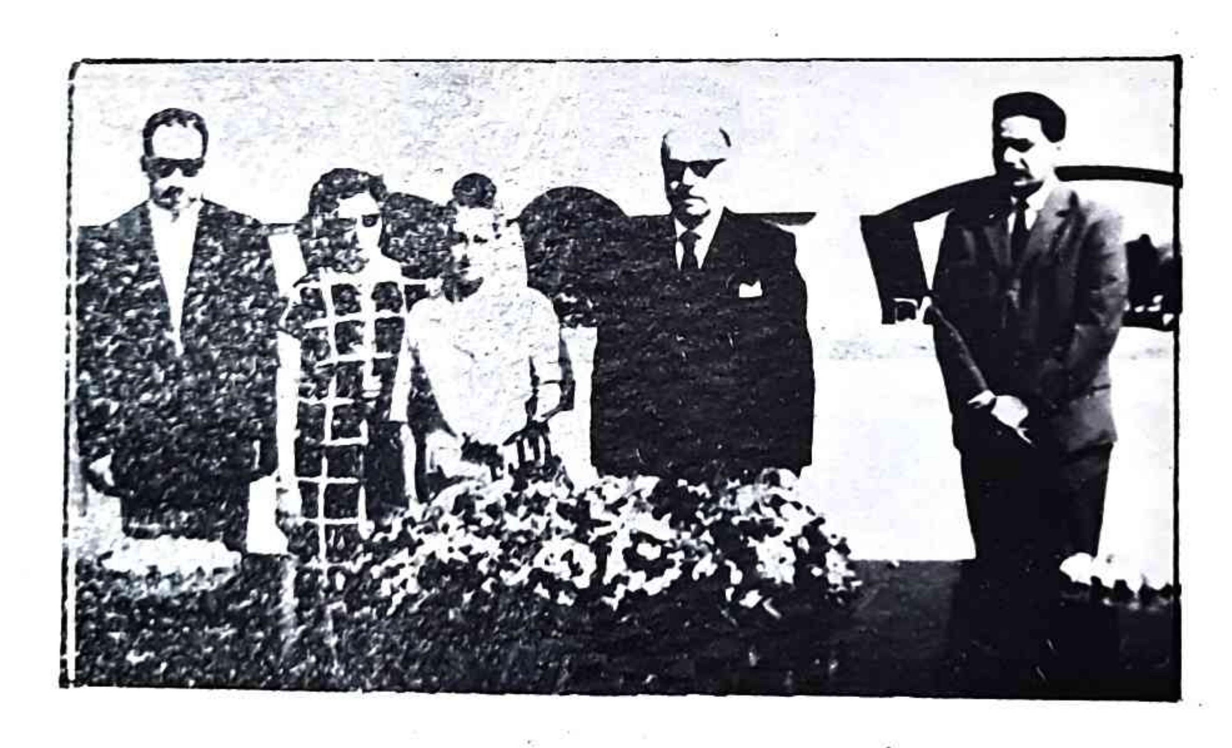
الرئيس جمال عبد الناصر يفتتح المؤتمر الدولي الاول الذي نظمه محمد سلمان في القاهرة عام ١٩٦٠ عندما كان سلمان يشغل منصب مدير مكتب البترول العربي في جامعة الدول العربية



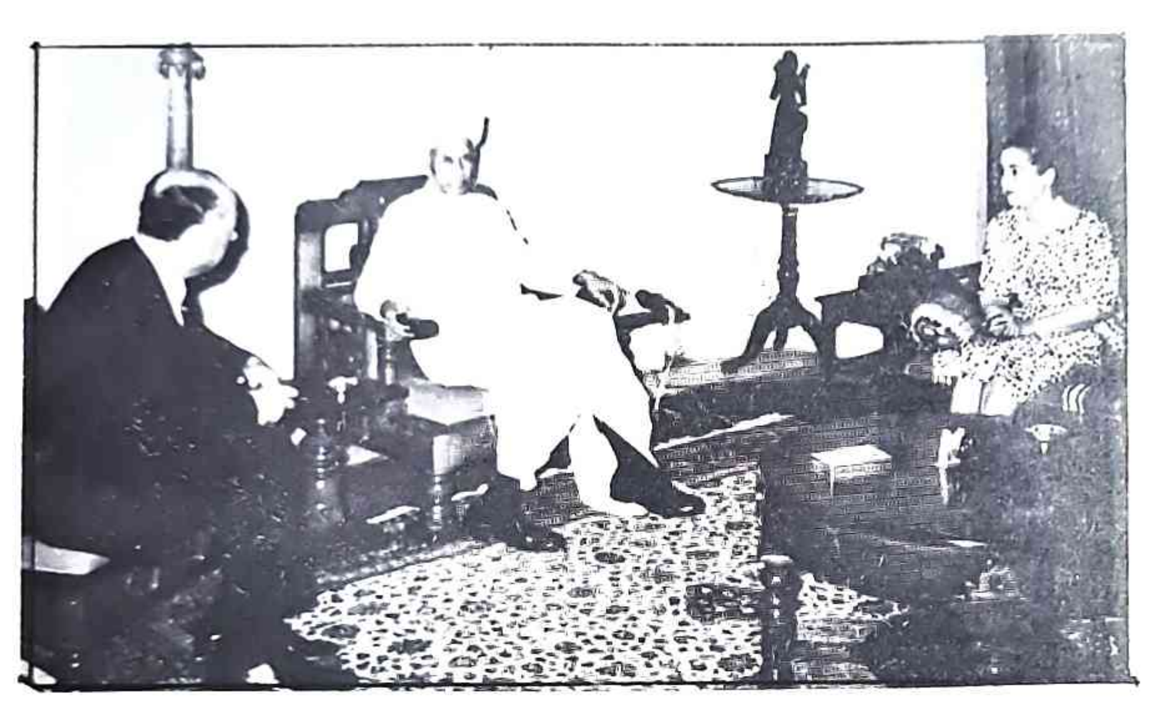
القاهرة يشاهد في الصورة من اليمين محمد سلمان وامير الريف المجاهد عبد الكريم الخطابي (في الوسط) وطه الهاشمي



في حفل استقبال مديحة – محمد



محمد سلمان وعقيلته في الوسط وعلى يسار الصورة نوري جميل سفير العراق في الهند وعقيلته امام نصب الجندي المجهول عام ١٩٦٢



محمد سلمان وعقيلته في زيارة الرئيس رادهاكريشنان – رئيس جمهورية الهند اكتوبر ١٩٦٢
تشرين الاول



السيدة مديحة كامل ويظهر في الصورة احمد زكي اليماني وزير النفط السعودي وبعض المدعوين في احدى الحفلات ١٩٦١



في زيارة رسمية الى المانيا الغربية   مديحة - محمد

خلاف محمد مع عبد الكريم قاسم

....وقبيل إعلان قانون شركة النفط الوطنية فوجئ «محمد» بأن عبد الكريم قاسم قد أجرى تعديلا فيه وأن هذا التعديل ينص على أن وزير النفط بدلا من أن يكون هو رئيس مجلس الادارة فان محمد حديد هو الذي يكون رئيسا لمجلس الادارة!

ولم يجد «محمد» مناصا من أن يقابل (عبد الكريم قاسم) بالذات ويلفت نظره بأن هذا التعديل -إن شرع- فان مأساة الهيأة العامة للنفط ستتكرر وأنه -بالذات- أي -محمد- لا يوافق على هذا التعديل! وقد جرت المقابلة مع عبد الكريم قاسم واختلفت وجهات النظر بينهما أو بين تيارين اثنين تيار يمثله «الزعيم» وآخر يمثله «محمد سلمان» واحتدمت المناقشة الى درجة الخلاف السياسي بينهما!

بعدها اختتم «محمد» المناقشة بقوله... إنه ذاهب للاعتكاف في داره الى حين صدور قانون شركة النفط. فإن صدر بالنص المقترح في البداية فانه راجع الى الوزارة وان صدر بالصيغة التي يصر عليها .عبدالكريم قاسم فإنه مستقيل من وزارة النفط لا محالة!

ويشاء القدر وبعد أن يعتكف «محمد» يومين فقط في بيته أن تتفجر ثورة (١٤) رمضان (٨شباط ١٩٦٣) لتقضي على عهد عبد الكريم قاسم وتشكل للثورة الجديدة وزارة جديدة خمسة من أعضائها من وزارة النفط التي كانت قلعة حصينة في أثناء حكم عبد الكريم قاسم تتمثل فيها جميع القوى الوطنية..

ثورة (١٤) رمضان وتوقيف محمد سلمان

بين لحظة وأخرى وبعد ثورة الرابع عشر من رمضان كنا نتوقع اعتقال «محمد» لأنه تحمل المسؤولية الوزارية في عهد قاسمي قد انتهى. ولكنه لم يوقف الا بعد اسبوع كامل وأن سبب الأعتقال كان بسبب التقارير التي رفعها السيد وزير النفط الجديد ضد «محمد» وضرورة استجوابه عنها! وقد علمت -فيما بعد- أن تلك التقارير كانت لا تنطوي على اتهامات جوهرية ورئيسة وانما على أمور ثانوية وتافهة! ! من ذلك قضية نقل مبنى وزارة النفط من الباب الشرقي الى مبناها الجديد! ! من ذلك قضايا تتعلق بالمحسوبية والمنسوبية التي عمل -محمد- بالذات على مكافحتها... تماما... كما كافح التيار الشعوبي الذي كان طاغيا في وزارة النفط بالطريقة التي أشرت اليها سابقا! !

وأصدق دليل على قولي هذا الذي أسجله في مذكراتي كجزء من تاريخ العراق الحديث هو أن لجنة التحقيق كانت قد استدعت الأشخاص ذوي العلاقة بالتهم التي وجهت الى «محمد فقالوا بأنها تهم لا تمت الى الحقيقة بصلة وأنها باطلة! . كما استدعت اللجنة «محمد» لاستجوابه أمامها وكان رهن الاعتقال فلم تجد ما يدينه بالمرة وعلى العكس من ذلك فقد كان موضع تقدير وثناء اللجنة على وطنيته ونزاهته وكفاءته في مضمار النفط ولاسيما قانون رقم (٨٠) الذي قلم أضفار الشركات الاحتكارية... والواقع ان هذا الموقف من قبل حكومة الثورة الجديدة ممثلا في قرار «لجنة التحقيق» التي قررت اطلاق سراح «محمد» وتثمين وطنيّته كان مدعاة فخر واعتزاز لنا جميعا وعزز ثقتنا بان هنالك في السويداء رجالا يقدرون الكفاءة والاخلاص..

نقل رفات الشهداء الى أم الطبول...

...حقا انها لمأثره وطنية وقومية سجلتها ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك عندما أصدرت الحكومة قرارها التأريخي بنقل رفات شهداء (٢مايس سنة ١٩٤١) الى مقبرة الشهداء في «أم الطبول» وقد شارك أبناء الشهداء .وذووهم وعوائلهم بذلك اليوم الخالد... كما شارك في الموكب ومراسم النقل كل من «محمد سلمان» وطارق محمود سلمان وعدنان محمود سلمان والمغيرة محمود سلمان أما محمد محمود سلمان فقد كان في تلك الفترة في انكلترا لدراسة اختصاصه في الطب.

إن ماقامت به حكومة الثورة تجاه الشهداء الأحرار الأبرار قد حقق أملا من أمالنا الوطنية لطالما كنت أتمناه واتناقش فيه مع «محمد» سنين عديدة! ! فقد رفض -في حينه عبد الكريم قاسم طلبا كنا قدمناه شخصيا لبناء جامع تدفن فيه رفات الشهداء! !



تشييع رفاة الشهداء محمود سلمان، فهمي سعيد، صلاح الدين الصباغ، يونس السبعاوي، كامل شبيب الى مقبرة الشهداء في ام الطبول يوم١٥ /٥ /١٩٧٠ في احتفال عسكري مهيب شارك فيه رئيس اركان الجيش الفريق الركن عبد الجبار شنشل والاستاذ خير الله [illegible] . افراد الشعب وفي مقدمتهم اسر الشهداء

«محمد» مستشار لشؤون النفط
في دولة الكويت

وبسبب الخبرات والتجارب التي اكتسبها «محمد» في شؤون النفط كانت قد طلبته حكومة الكويت للعمل عندها فوافقت الحكومة العراقية مشكورة على هذا الطلب فمارس العمل هنالك بجدارة وكفاءة وظل في ذلك الموقع العربي حتى وافاه الأجل المحتوم في (١٩٧١/٣/٣١) وانطوت الصفحة الأخيرة من حياة ذلك الرجل التي كانت مملوءة بالدراسة الدؤوبة وبالعمل الجاد المثمر وبالنضال في سبيل وطنه وعروبته وبالنسبة لي فقد افتقدت بفقده رفيق العمر والرجل الذي سما بتضحياته الى أعلى المراتب والقيم الانسانية... فلقد كان شابا زاهيا في مقتبل العمر بالاضافة الى ثقافته وكفاءته وكان في امكانه أن ينحو منحىً آخر في حياته العائلية الا أنه فضل أن يعيش معي ويقف الى جانبي في أشد الظروف حراجة من أجل تربية أولاد أخيه والسهر المتواصل من أجلهم وتهيئتهم لتحمل مسؤولياتهم فكان لهم أكثر من أب ومرب وموجه وكان لي أكثر من أخ كريم وزوج مخلص بعد هذا... ويكفيه فخرا وعزة وخلودا أنه غرس في أولادي بذور الوطنية والتضحية ولقنهم وصية أبيهم الشهيد الخالد فأبرى ذمته الوطنية أمام كل الشهداء بالاضافة الى ماقدمه للوطن الغالي من أعمال وطنية وتضحيات عديدة فكان أن تمتع بسيرة وطنية نادرة لا تقل عن سيرة أخيه الشهيد محمود سلمان. ورضوان الله على الشهداء الخالدين

مقابلة الرجل العظيم صدام حسين حفظه الله.

ويشاء الله أن أحقق رغبتي فأقابل الرجل الكبير الذي جسد لنا الحلم الكبير باعادة الكرامة الى شهدائنا الأبرار.... انه السيد الكبير نائب رئيس الجمهورية الذي طلب مقابلة عوائل الشهداء في حركة مايس التحررية سنة ١٩٤١... لقد كانت المقابلة في عام ١٩٧٩ فلبينا الطلب وذهبت ومعي أولادي طارق وعدنان ومعد حيث استمعنا الى كلماته التي كانت تلتهب جذوة وحماسة ووطنية وحكمة ورؤية صادقة للمستقبل ....وبعد أن ترحم على الشهداء الخالدين أعلن عن وعده القاطع بأن يستكمل المسيرة الوطنية والقومية التي رسمها الشهداء ويسير بها حتى آخر الشوط وحتى تعيد الأمة العربية أمجادها الذهبية ويعود العراق -كما كان- طوداً راسخا وقطب الرحى ومركزا للاشعاع الفكري والقومي وللتقدم والتطور والابداع! وكنت والرجل الكبير يتحدث لنا بهذه الطلاقة والصراحة والايمان أتفحص كل كلمة من كلماته وماتنطوي عليه من ذكاء حاد وتصميم جاد وكنت أتوسم في تلك الشخصية القدرة على تحقيق كل الأحلام الذهبية

والأطياف التي تراود أبناء الشعب كافة..

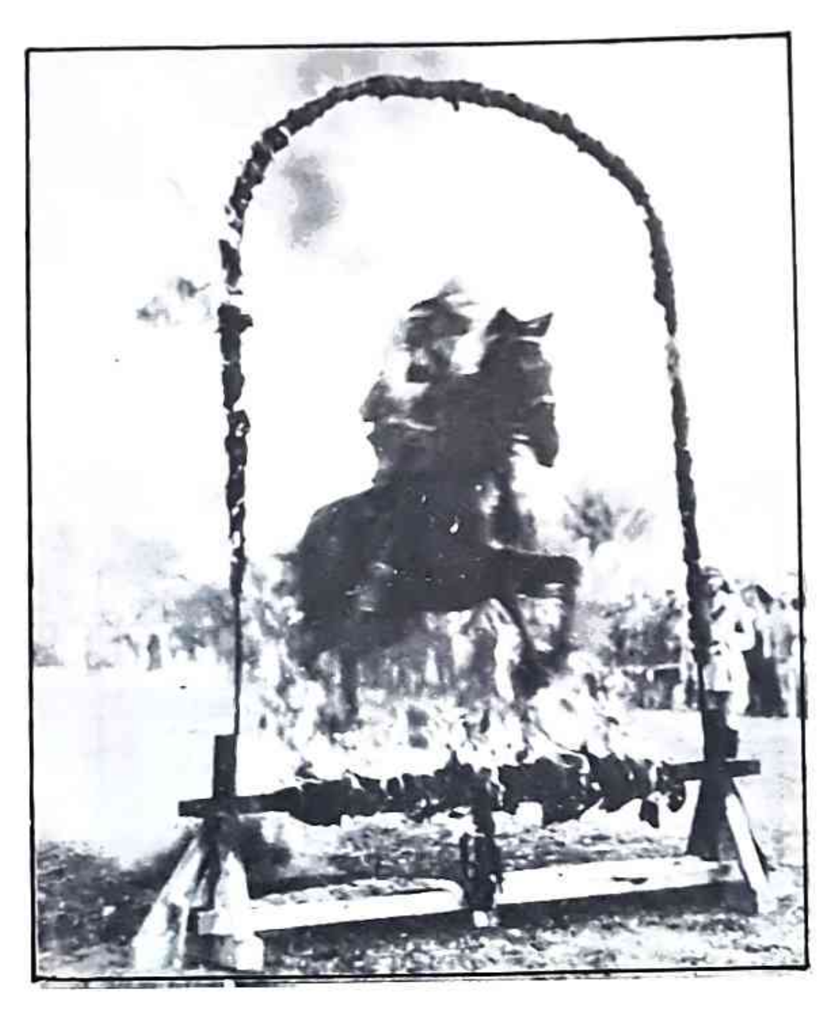
ولم أتمالك نفسي -والرجل الكبير يتحدث- حتى شكرته بدوري بكلمة قصيرة على كل ماقام به وحكومة ثورة السابع عشر والثلاثين من تموز ١٩٦٨ من مآثر تجاه الشهداء وعوائلهم وتجاه هذا الوطن الأبي الذي لا يقبل الضيم ولا يروم دون العزة والكرامة بديلا.. فصافحني الرجل الكبير صدام حسين وقال بأن بابه مفتوح أمام الجميع وأمام عوائل الشهداء قبل غيرهم لأن الشهداء الأوائل الذين قدموا أرواحهم ودماءهم قرابين لهذا الوطن العزيز لا يمكن أن يكافأوا أو يعوضوا فهم ودماؤهم الطاهرة أعظم من كل مكافأة وتقدير... ولكن المكافأة الكبرى والثواب الأوفى هما لدى رب العالمين ومثواهم الجنة في أعلى عليين... وهنا شكرت الرجل الكبير فكانت كلماته مسك الختام وختام هذه المذكرات... والتأريخ لا يغادر صغيرة أو كبيرة الا أحصاها في كتاب...

وانتهى بعونه تعالى

تحقيق مصور



الشهيد محمود سلمان بملابس القتال في الجيش العربي ١٩١٨ في دمشق بعد مشاركته في معركة ميسلون



الشهيد محمود سلمان اثناء طفره من بين حلقة نارية بمناسبة ختام دورة ضباط الصف الخيالة السابعة عشرة في ١٩٣٠/٥/٦ وكان برتبة نقيب



محمود سلمان اثناء طفره من فوق سرير ينام عليه شخص يطالع جريدة في مظاهرات مدرسة الخيالة في ١٩٣٠/٥/٦ وكان برتبة نقيب



الشهيد محمود سلمان معاون آمر المدرسة العسكرية في ١٩٣٢/٥/١٥





الدكتور

معد محمود سلمان

شهيد الوطنية

رفيق رزق سلوم

وكم حملوا على الاعواد ظلما   وكم سقوا المنية من شهيد

صورة احد شهداء الوطن العربي من ضحايا جمال باشا السفاح وقد وجدت في اوراق الشهيد محمود سلمان



العقيد المدفعي داود سلمان في الجيش العثماني في الحرب العالمية الاولى.



العقيد المدفعي داود سلمان الشقيق الاكبر للشهيد محمود سلمان توفي يوم ١٩٨٥/٣/٧ في بغداد



العقيد داود سلمان شقيق الشهيد محمود سلمان في اللباس المدني

الفهرست

التعريف بالمذكرات.

الفصل الأول.

– ولادتي. هويتي. مدرستي ٣١
– يتيمة لا تعرف أنها يتيمة. ٣٤
– خمسة طلبوا يدي!! ٣٩
– سفر الملك فيصل الأول الى انكلترا ٤١
– مات الملك.. عاش الملك!! ٤١
– زواج سعيد... وحب مبارك. ٤٢
– مديحة تجمع شمل العائلة.. ٤٨
– الخلاف بين القصر والوزارة!! ٥٠
– موقف من الملك. ٥٢
– ثورة الشيخ شعلان ٥٥
– مع جعفر باشا العسكري ٥٦
– المفاجأة الكبرى وانقلاب بكر صدقي. ٥٦
– ماذا عن طه الهاشمي وهو في تركيا!؟ ٥٨
– محمود وصلاح الدين الصباغ...
– مؤامرات لاغتيال بكر صدقي!! ٦١
– محمود يؤدب عصابة بكر صدقي! ٦٤
– كيف تلقينا نبأ اغتيال بكر صدقي؟! ٧١
– محمود آمراً للحرس الملكي.. ٧٣
– عودة محمود الى لعبة (البولو) ٧٧
– رد الفعل في الموصل بعد مقتل بكر صدقي!! ٧٩

الفصل الثاني

– الملك الجديد... والوصي عيه.. ٨٧
– محمود قائداً للسلاح الجوي ٨٩
– سفري الى لبنان.. ٩٧
– الملكة والملك في عالية ٩٧
– جميل المدفعي ونوري السعيد
– إعلان الحرب العامة الثانية. ١٠٠
– نجاة محمود بأعجوبة ١٠٤
– سقوط وزارة السعيد وتشكيل وزارة الكيلاني ١٠٦

- مع العقيد فهمي سعيد. ١٠٧
- القادة والانكليز ١٠٨
- المربع الذهبي! والسفير البريطاني ١٠٩
- إجتماع الكيلاني مع القادة في دارنا. ١١٠
- ما علاقة الأمومة بمقابلة الوصي!؟ ١١٣
- هروب الوصي الى الديوانية. ١١٣
- إنعقاد مجلس الأمة. ١١٤
- إتصال القادة مع الملكة الوالدة. ١١٥

الفصل الثالث.

- محمود في المعركة... ١٢٢
- وصول طيارات ألمانية. ١٢٣
- موقف صلاح الدين الصباغ ١٢٣
- الخلاف بين الكيلاني والصباغ. ١٢٤
- سفر عائلة الكيلاني الى الخارج!! ١٢٦
- هكذا انقطع الأمل الأخضر! ١٢٧
- اليهود في بغداد.. ١٢٨
- الرسالة الأولى من محمود ١٢٩
- الخلاف بين الكيلاني والمفتي!! ١٣١
- فهمي سعيد يزورنا.. ١٣١
- ماذا عن إيران!؟ ١٣٢
- الصباغ والسبعاوي!! ١٣٤
- إلقاء القبض على محمود سلمان!! ١٣٦
- موقف المفتي.. ١٣٦
- فهمي سعيد يسلمّ نفسه. ١٣٧
- مع السفير المصري... ١٣٩
- أين المفتي !؟ ١٤١
- مع إسماعيل صبري ١٤٣
- مقابلة (ذو الفقار باشا) ١٤٤
- رسالة من يونس السبعاوي ١٤٥
- مقابلة مع ناجي السويدي ١٤٦
- السويدي يزورنا في الدار ١٥٠
- لماذا سفر اللاجئون العراقيون!؟ ١٥١
- الوصول الى الأهواز ١٥٤

الفصل الرابع

- زوجة تعود الى بيتها المهجور.
- ناقوس الخطر يدق من جديد!!
- الرسالة التي اقضّت المضاجع!!
- استقالة المدفعي من الحكم ومجئ السعيد.
- أول زيارة لمحمود في المعتقل..
- هكذا يتكلم الرجل الرجل..
- موقف قائد الحرس الملكي..
- مع محمود في المعتقل..
- مع مصطفى العمري..
- مع آمر المعتقل الجلآد!!
- في المحكمة العسكرية..
- الى بيت السبعاوي. ١٧٥
- موقف السيد محمد الصدر. ١٧٦
- ماذا عن المحاكمة الصورية!؟ ١٨٠
- يوم ليس كالايام!! ١٨٠
- الى أين !؟ الى أين!؟ ١٨٢
- كيف نفذ حكم الاعدام!؟ ١٨٦
- خوف نوري السعيد!! ١٩٠
- مضايقات نوري السعيد لنا ١٩١
- زيارة أخت نوري السعيد لي.. ١٩٢
- حلم غريب ورهيب!! ١٩٤

الفصل الخامس

- وداعاً يابغداد الأباء والأجداد!! ١٩٩
- في الطريق الى تركيا... ٢٠٠
- مع مدير الأمن العام!! ٢٠٥
- لوحة تأريخية تستحق التعليق!!
- محمد سلمان شقيق زوجي في المانيا
- سفري الى المانيا... ٢٠٩
- سيّدان عربيان يزورانني في الأوتيل. ٢١١
- غارة جوية على صوفيا.. ٢١٤
- وفود العرب تزورني.. ٢١٥
- الليلة الثالثة والعشرون!! ٢١٨

- من هذا الرجل القصير النحيف الأعرج!؟ ٢١٩
- رشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي!! ٢٢٠
- ماذا عن صلاح الدين الصباغ!؟ ٢٢١
- انقسام العراقيين الى فريقين في ألمانيا!؟ ٢٢٤
- إستئناف الغارات الجوية.. ٢٢٧
- ألمانيا فوق الجميع!! ٢٢٧
- فتح الجبهة الثانية.. ٢٢٩
- وصلنا النمسا... ٢٣٠
- أنباء الحرب العامة. ٢٣٠

الفصل السادس. ٢٣٥

- خاتمة المطاف... والكيلاني يبكي!! ٢٣٥
- الى ايطاليا.. .. .. .. ٢٣٦
- وماذا عن مصيرنا !؟... ٢٣٧
- رسالة الى عفيف الطيبي.. ٢٣٨
- الى نابولي ومن ثم الى بور سعيد.. فالقاهرة.. ٢٣٩
- محمد سلمان يبحث عن عمل!! ٢٣٩
- السفير السعودي يزورنا في القاهرة ٢٣٩
- خطة لقتل عبد الاله ونوري السعيد!! ٢٤١
- محمد يقابل رئيس الوزراء المصري.. ٢٤٢
- بدء حياة عائلية جديدة. ٢٤٢
- محمد سلمان ومكتب البترول.. ٢٤٤
- ثورة في بغداد في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ٢٤٤
- مقابلتي لعبد الكريم قاسم ورجال الثورة. ٢٤٥
- زيارة هاشم جواد لي.. ٢٤٥
- العودة الى بغداد بعد تعيين محمد سلمان وزيراً للنفط ٢٤٦
- تطهير وزارة النفط من الشعوبيين!! ٢٤٧
- المفاوضات الصعبة مع شركات النفط ٢٤٨
- محمد سلمان في لندن يعلن انتهاء استغلال الشركات!! ٢٥٣
- خلاف محمد سلمان مع عبد الكريم قاسم ٢٥٤
- ثورة (١٤) رمضان وتوقيف محمد سلمان!! ٢٥٤
- نقل رفات الشهداء الى أم الطبول ٢٥٦
- محمد سلمان مستشاراً للنفط في الكويت. ٢٥٦
- مقابلة الرجل العظيم صدام حسين حفظه الله.

ه

شكر

اشكر السيدين عدنان شاكر علي ورعد شاكر علي اللذين كانا لي خير عون في تصحيح مسودات هذا الكتاب.



مديحة السلمان

أول سيدة عراقية تكتب مذكراتها الوطنية . صور ومواقف ووقائع أغرب من الخيال . ! الملكة ـ عالية ـ تروي ـ لمديحة ـ حادث مصرع الملك غازي . ! رسالة تهديد سرية الى «محمود سلمان! واجتماع خطير في دار محمود سلمان لوزارة الكيلاني!! كيف تعرفت ـ مديحة ـ على وزير دعاية هتلر! دفاع ـ مديحة ـ عن «السبعاوي» أمام الكيلاني!! الخلاف بين جماعتي، الكيلاني والمفتي الحسيني!! صاحبة المذكرات تعيش المآسي في ايران وتركيا وألمانيا والقاهرة!! وصية ـ محمود سلمان ـ لزوجته وولده قبل تنفيذ حكم الاعدام!!

شاكر علي التكريتي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٧٧ لسنة ٩٩٠

دار واسط للنشر والتوزيع
بغداد ـ العراق ـ المنصور ـ هاتف: ٥٤١٣١٦٠
ص . ب (٦٢٥٠) تلكس ٣٣٣٨ ـ ٢١ واسط للدراسات

الثمن ٣,٥٠٠ دينار

تصميم الغلاف
ضياء الاعرجي